عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته

عند ربه عز وجل

الطبعة الحادية عشرة

١٤٢٨هـ

عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل

ملخص لمائة خصلة انفرد بها ﷺ عن بقية الأنبياء السابقين عليهم السلام

تأليف
الأستاذ الدكتور
خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزامي
أستاذ الحديث وعلومه، بجامعة طيبة
بالمدينة المنورة



مقدمة الطبعة العاشرة

بقلم سماحة العلامة السيد أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى[1]

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فإن شخصية سيد الأنبياء وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم هي الشخصية الفريدة البديعة ، الجامعة المعجزة ـ بخصائصه ومواهبه ومعجزاته ، وما أحدثته من إصلاحات وتغييرات بنائية ، وتطويرات جذرية

---

(١) الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد :

لقد طلب مني بعضُ الأخوة السماحَ لهم بإعادة طبع هذا الكتاب ، وشرعت بكتابة مقدمة له ، وكان ذلك في وقت السحر ، في الحرم النبوي الشريف ، ثم نقلت ذلك إلى جهاز « الحاسب الآلي » وتابعت الكتابةَ فيه ، وإذا بالصفحات قد تجاوزت (١٣٠صفحة). فلا يصلح ذلك أن يكون مقدمة ، خاصة وأنها لم تنته ، لذا أكملت تلك المقدمة ، وأشار عليَّ بعضُ الإخوة بإفرادها ككتاب . وكذلك كان ، وهو « مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بين الأنبياء عليهم السلام » وفي هذه الأثناء أكرمني الله تعالى بالسيد الجليل ـ كعادته رحمه الله تعالى في السنوات الأخيرة إذا قدم المدينة المنورة ـ فأخبرته بما حصل لي ، وطلبتُ منه كتابة هذه المقدمة ، فكتبها جزاه الله تعالى كل خير عن دينه وعن نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، مع كثرة مشاغله ، وكبر سِنه ، وانحراف صحته .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

رحمه الله تعالى رحمةً واسعة ، وجبر الله تعالى مصاب المسلمين به ، وعوّضهم ما هو خير ، فالخسارة فيه فادحة ، والتعويض عنه عزيزٌ في هذا الزمان ، وأسأل الله تعالى أن يجعل في خلفه ـ السيد محمد ـ ما يسد الفراغ الذي أحدثه رحيلُ السيد أبي الحسن ، وأن يجمع شتات المسلمين في الهند ـ وفي غيرها من أقطار المسلمين ـ على خير ، ويوحِّدَ كلمتهم ، ويلمَّ شعثهم ، ويجمع شملهم ، ويصرفَ عنهم طوارق السوء ، إنه قادر كريم ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم ، والحمد لله رب العالمين .

ـ وأتحاشى أن أقول ثورات ؛ لأن هذا التعبير غير لائق برسالته ومكانته ، ومنصب نبوته ـ.

وهي الشخصية التي لا يمكن تأدية حقوقها ، واستيعاب ذكر مواهبها وخصائصها ، وما أكرمها الله به من تفردات ومعجزات ، ومن حسنات على الإنسانية كلها ، تصل إلى حد الإنقاذ والتخليص ، ومنح البشرية إلى آخر الزمان ، حق البقاء والازدهار ، إذا عملت بتعليماته . لذلك كان هذا الموضوع « وصفُه ، والحديثُ عن مِنَّتِه ، وخصائصه » موضوعاً بِكراً في كل زمان ومكان ، وفي كل فترة وأوان .

كما يقول الشاعر :

يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

والمكتبةُ التي تختص بما كُتب وأُلف في سيرته صلى الله عليه وآله وسلَّم من أغنى مكتبات العالم ، وأزخرها ، وأكبرها قيمة وقامة ، وكمّاً وكيفاً ، وتأثيراً ، في أكثر لغات العالم الإسلامي ، والأقطار الإسلامية ، لا يمكن إحصاءُ مدخراتها وتقييم درجاتها ـ كمّاً وكيفاً وبحثاً وتحقيقاً ـ استفيد فيها من لغات العالم والدراسة المقارنة ، واعترافات المؤرخين والباحثين من ديانات مختلفة ، وشعوب مختلفة ، ولغات مختلفة ، ولا يزال هذا العدد يزداد ويتضخم ويتنوع ، بسبب ما وهب الله تعالى نبيه العظيم من سُمُوِّ المكانة ، وانفراد الشخصية ، وحاجة البشرية إليه ، وإلى رسالته ، إلى آخر الزمان .

ويسرُّ الكاتبُ ويشرِّفُه أن ينوِّه في هذا الموضوع العالمي الخالص إلى كتاب جديد ، يضاف إلى هذه المكتبة العالمية ، ويُثير بعض مشاعر الإجلال والحب للرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم . ويحدث اللفتة الجديدة إلى بعض

مشاعر واستحضار لجوانب عظمته ، لم تنل حظَّها وحقَّها من الاستحضار والتقدير ، وهو كتاب « **عظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل** » للعالم المحدِّث الكبير فضيلة الشيخ خليل إبراهيم مُلّا خاطر ، وهو مُلخَّصٌ لمائة خصلة انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلَّم عن بقية الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ، وهو استعراض علميٌّ نقدي ، لِما أكرم الله تعالى به نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلَّم لذاته في الدنيا ، ولذاته في الآخرة ، يدل على دراسة المؤلِّف الواسعةِ ، وقدرته على المقارنة الأمينة ، وأمانته في تصوير المجتمع الإنساني والإسلامي في تقدير هذه الخصائص والاعتراف بها .

والكتاب لا يزيد في المعرفة والاطلاع فقط ، بل في الإيمان ، وحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومعرفة حقوقه ومِنَنِه على الإنسانية كلها ، فكانت للكتاب قيمةٌ أرفع عن قامته ، والعبرةُ بالقيمة لا بالقامة ، فللمؤلِّف الأجرُ على ذلك ، وتقديرٌ من القُرّاء والمستفيدين .

وما عند الله أعظمُ قدراً ، وأكثرُ أجراً ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

دار العلوم ندوة العلماء

لكهنؤ (الهند)

أبو الحسن علي الحسني الندوي

١٣ من جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ

٦ أكتوبر ١٩٩٨م





مقدمة الطبعة التاسعة

الحمدُ لله رب العالمين كفاءَ حقه ، والحمد لله الذي أقام الحجةَ على جميع خلقه ، والحمد لله الذي اصطفى مَن شاء مِن خلقه ، واجتبى مِن الأمم لشرعه وهدايته ، والحمد لله الذي هدانا لدينه ، وعبادته ، وخدمة شرعه ، والحمد لله الذي خصَّنا بالنبي الأمي ، والرسول المكِّي المدنّي ، مَن جعله مولاه خيرَ عباده من مخلوقاته ، في أرضه وسماواته ، عليه وآله الصلاة وأتم تسليماته .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث إلى جميع الخلق ، الذي جعله تعالى رحمةً مهداةً ، وسراجاً منيراً لجميع الأنام ، أقام به الحجة ، بتبليغه الرسالة ، وأدائه الأمانة ، وتعليمه الشريعة ، ونصحه الأمة ، حتى تركهم صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين فارقهم إلى الرفيق الأعلى ـ على المحجة البيضاء الواضحة ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

فصلى الله وسلَّم وبارك على النبيِّ الكريمِ ، والرسولِ العظيمِ ، وخيرةِ خلقه المصطفى ، وأمينِ وحيه المجتبى ، ومُبلِّغِ شرعه ، وموضِّحِ دينه ، أكرم مخلوق ، وأفضل مولود ، وأنبل موجود ... صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحابته وإخوانه من الأنبياء والمرسلين وأتباعه المقتدين المقتفين ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

وزكانا بالصلاة والسلام عليه ، وحشرنا ـ مع آبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأحبابنا وأهلينا وأولادنا ومشايخنا ومن يلوذ بنا ـ تحت لوائه ، وسقانا ـ جميعاً ـ من يده الشريفة شربةً هنيئةً مريئةً ، لا نظمأ بعدها في عرصات القيامة ، وجعلنا في زمرته ، وخصّنا بمحبته ، وجمّلنا بمتابعته ، وألهمنا رشدَنا ، وسلك

بنا سبيلَ الاستقامة على شرعه ،... وأخذ بنواصينا إلى طريق الحق الأبلج ، وحضرنا بالعصمة ، ورزقنا الاتباعَ الكاملَ لنبيه وصفيه وحبيبه سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام .

وبعد :

فهذا كتاب « **عظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل** » أقدمه في طبعته التاسعة ، بعد أن نفدت جميع طبعاته السابقات ، وجاء الإلحاح في طبعه طبعةً جديدة ، أرجو أن يكون قد حصل له القبول ـ إن شاء الله تعالى ـ حيث تُرجم للغات متعددة ، ووصلني عدد من النسخ من بلاد لا أعلم أن أهلها استأذنوني في ترجمته ، من تركيا وباكستان والهند ، كما استأذنني أناس متعددون من ذوي الفضل والعلم من إسبانيا وإنكلترا وفرنسا وإندونيسيا وإفريقيا،...الخ. في ترجمته وطبعه[1] فأذنت لهم جميعاً . وأرجو من الله عز وجل أن ينفع به عباده ، ويزدادوا محبةً لنبيهم وحبيبهم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويزدادوا اتباعاً واقتفاءً به صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ولما وافقت على طبعه ـ بعد استئذان بعض أهل العلم والفضل في إعادة

---

(١) آخر ترجمة وصلتني كانت بلغة التركستان الشرقي ، وأخرى بلغة الأورمو ، في أفريقيا ، كما أخبرني أحد الكُتْبِيَّة ـ من مصر قبل شهرين ـ أنه رآه مترجماً بلغة السواحلية ، وتم طبع (٥٠٠٠٠) خمسين ألف نسخة منه في القاهرة ، وعنده نسخة منها .

وأرجو الله تعالى أن جعل له القبول ، فقد رأيت بعض الناس طبعه وغيَّر عنوانه من غير علم مني ، وسماه « الرحمة المهداة » وآخر فعل مثلَه ، وسماه « مائة خصلة من خصال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم » ولكنه حرّف في اسمي ، وثالثاً أخذ نصفه وطبعه ، ورابعاً ضمّنه رسالة علمية ،... وأسأل الله تعالى أن يكتب لهم نياتهم .

طبعه مع بعض كتبي الأخرى التي كانت قد نفدت ـ فرَّغت نفسي في ليالي رمضان لإعادة النظر فيه ، لأنني شعرت بوجوب ذلك .

ولم أغير من أصل الكتاب عن طبعاته السابقة ، بل أبقيت الكتاب على ترتيبه السابق ، غير أن زدت فيه بعض الأمور ، وهي كالتالي :

١ ـ أضفت نصوصاً جديدة ـ من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ـ زيادة في توضيح المقصود ، وبياناً لمجمل ما فيه ، وتوسعة في البحث ، حتى لا يظن الظانُّ أن ما كان قد ذُكر هو الموجود فقط ، علماً بأني لم أستوعب كل ما في الفقرات من نصوص ، وتركت ذلك إلى أصله .

٢ ـ زدت في تخريج الأحاديث السابقة ، التي ليست في الصحيحين أو أحدهما ، وذلك أني كنت قد اقتصرت سابقاً على ذكر بعض من خرج الحديث ، لكنني رأيت من المصلحة الزيادة في ذلك ، مع حرصي على بيان من حكم بالصحة أو الحسن . فإن لم أجد بينت ثقةَ الرواة ، وصحَّة الحديث ، ليطمئن القارئ ، مع بقاء الشرط بعدم الضعيف في الكتاب .

٣ ـ حذفتُ بعضَ الأحاديث المكتوبة سابقاً ، وذكرت مكانها أحاديث أصح منها ، كأن يكون الحديث في الصحيحين أو أحدهما ، فأذكره بدل حديث ليس فيهما ، أو ليس في الكتب الستة مثلاً ، وإن كان هذا قليلاً ، فإنه في موطنين أو ثلاثة فقط .

٤ ـ كنت قد أشرت إلى بعض الروايات سابقاً ، فذكرت الحديث بنصه مع بقاء العزوِ له ، زيادة في الاطمئنان .

٥ ـ ذكرت بعض التعليقات على بعض الأحاديث ؛ سواء من استنباط حكم ، أو جمع بين الأحاديث ، أو بيانِ أمرٍ ما .. سواء نقلتُه عن غيري ـ فأبينه ـ

أو فهم أعطاه الله تعالى عبداً من عباده .

هذه أهم التغييرات التي حصلت في الكتاب .

وأسأل الله تعالى كما نفع في طبعاته السابقة ، أن ينفع عباده بهذه الطبعة وما بعدها ، إنه جواد كريم . وأسأله تعالى أن يجعله عنده مقبولاً ، ويكتب لي ثوابَه ، وحسنَ النِّيَّة ، وصدقَ التوجه إليه ، ويرزقني الصدقَ في القول ، والإخلاصَ في العمل ، ويحشرني يوم القيامة مع نبيه وصفيه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويتولاني بعنايته ، ويحفظني في نفسي وديني وأهلي وأولادي وإخواني وزوجي وأحبابي ومن يلوذ بي ، إنه على كل شيء قدير .

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة : صبيحة عيد الفطر المبارك

الموافق ١ شوال ١٤١٣ هـ

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم بن مُلّا خاطر العزّامي

نزيل المدينة المنورة



تقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، الذي اصطفى من خلقه من شاء، فجعلهم الخيرة من خلقه ، وخصَّ ممن اصطفى بما شاء من فضله ، فأوجب الثناء والفضل ، فله الفضل والثناءُ في الأولى والآخرة .

والصلاة والسلام على سيد ولد آدم ، المبعوث رحمة للعالمين ، والرحيم الرؤوف بالمؤمنين ، والمخصوص بالشفاعة العظمى يوم الدين ، والمكرَّم بالمزايا الكرام ، والخصائص العظام ، إمام الأنبياء ، وخاتم الرسل الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام ، المصطفى من الخلق ، والذي جعله ربه عز وجل خَيْرَ الخِيَرَةِ ، وشاهدَ الشاهِدين ، وسيدَ الأوَّلين والآخِرين ، الشافِعَ والمشفَّع ، والمبشِّرَ والمنذِرَ ، صاحبَ اللواء والكوثر ، والوسيلة والفضيلة ، والمقام المحمود ، وهو المنَّة العظمى ، والأمَنَةُ المحفوظة ، حيث عمَّمَ رسالته ، وألزم جميع الخلق الإيمان به وطاعته .

كيف لا ... وهو الأَوْلى بالأنبياء من أممهم بهم ، وبالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتُهم ، وهو النبيُّ وآدمُ منجدلٌ في طينته ، وهو[1] ومن بعدَه من الأنبياء عليهم السلام من ذريته يوم القيامة تحت لوائه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو الذي تكفَّل الله عز وجل بحفظه وعصمته ، كما تكفَّل بدينه ، وأَقْسَمَ به وبحياته ، وببلده ، وله ، ولم يناده باسمه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وهو أول من يُبعث ، وأولُ من يَقرَعُ بابَ الجنة ، وأولُ من يُجيز على الصراط ، وأولُ من يدخل الجنة .

---

(١) أي آدم عليه السلام .

صلى الله وبارك عليه كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، أطيبَ وأفضلَ وأزكى ما صلّى على أحدٍ من خلقه ، وزكّانا بالصلاة عليه أفضل ما زكى أحداً من أمته بصلاته عليه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وجزاه الله عنا أفضل ما جزى مرسلاً عن من أُرسل إليه .

وعلى آله الطَّيِّبين الطّاهرين ، وزوجاتِه ـ الطاهرات ـ أمهاتِ المؤمنين ، وصحابته الأبرار الأخيار المتقين ، والعلماء العاملين ، والصالحين المصلحين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين ، وجعلنا منهم ، وحشرنا معهم ، تحت لواء سيد المرسلين ، عليه من الله ألف صلاة وتسليم .

وبعد :

فإني أحب أن أبين سبب كتابتي لهذا الكتاب ، والعوامل التي حملتني على كتابته ، وأنا أقدم هذا الكتاب في طبعته الثانية .

منذ أربع عشرة سنة تقريباً ألقيت محاضرة وكانت بعنوان : « الأمانة العظمى ونبيها عليه الصلاة والسلام » وقد رتبتها في مبحثين . الأول منهما : بحث قرآني ، وهو إثبات : أن الأمانة التي وردت في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾[1] إنما هي الإسلام ، واستعرضت هذا الموضوع من خلال الآيات القرآنية ، ولم أذكر من الأحاديث إلا القليل النادر ، والذي جاء منها مفسِّراً أو موضِّحاً أو رابطاً لمعانٍ في الآيات . وأن جميع الأنبياء عليهم السلام كانوا على الإسلام ، وأن الديانات السماوية كلها قد اتفقت بخطوطها العريضة العامة ، وإنما كان الاختلاف حسب الأزمنة والأقوام والظروف ،

---

(١) سورة الأحزاب (٧٢).

فيما يتعلق بالفروع من تلك الديانات .

وهكذا خلصتُ ـ ولله الحمد والمِنَّة ـ من خلال تلك الدراسة القرآنية إلى ما أريد أن أصل إليه .

وأن الذي نراه اليوم من الاختلاف بين أصول الديانات السماوية إنما مرجعه إلى تغيير وتبديل وتزوير معتنقي تلك الديانات لكتبهم ومعتقداتهم ودياناتهم وأفكارهم . وحِفظِ اللهِ تعالى لدين نبيه الكريم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم وكتابِهِ .

والشق الثاني من المحاضرة : هو بحث ما امتاز به هذا النبي الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم عن غيره من الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام .

وعند جمعي لمادة هذا البحث شعرت بالحاجة الماسة إلى كتاب يجمع هذه المادة بين دفتيه ، لأنها متفرقة ومبثوثة في ثنايا كتب الحديث الشريف ، وآيات كتاب الله عز وجل ، وليست مجموعة في مكان واحد ، أو كتاب واحد ، حسب علمي آنذاك .

لكن الأعمال تراكمت ، والظروف صعبت ، والشواغل كثرت ، حتى انشغلتُ عن هذا الموضوع ـ زمناً طويلاً ـ حتى عام ١٣٩٧هـ ـ سبعة وتسعين ثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة ـ عندما كتبتُ الموضوعَ نفسه ، مع إضافات كثيرة ، وتنسيق جديد ، لكن يحمل نفسَ المعنى ونفس المغزى ، وقد نُشر في مجلة « هذه سبيلي »[١] ، وهنا شعرت بالحاجة أكثر إلى جمع شتات

---

(١) في عددها الأول الذي صدر سنة ١٣٩٨هـ ، ويصدرها المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض ، ويسمى الآن كلية الدعوة .

هذا الموضوع ، وبدأت أبحث في الكتب المحدَثَةِ والكتب القديمة[1] ، فلم أجد كتاباً جمع الخصائص التي انفرد بها نبينا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم في كتاب مستقل ، وإنما هي مبثوثة في كتب الحديث ، وفي أماكن متباعدة .

إن خُلوَّ المكتبة الإسلامية من كتاب يجمع الخصال والخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلَّم عن غيره من الأنبياء عليهم السلام أمر غير جيد ، ولا سديد .

كما أن عدم وجود كتاب ـ في حد علمي واطلاعي ـ في كتب من سبقنا يجمع ذلك ، أمر غير جيد أيضاً . إلّا إذا كان ، ولم أطَّلع عليه ، ولعله كذلك .

وهذا ما يجعل حصر هذه الخصائص وتلك الخصال في كتاب مستقل أمانةً في أعناق أهل العلم ـ كما فُعل بمعجزاته صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأن من لازم المحبة له صلى الله عليه وآله وسلَّم : إظهارَ مزاياه ، وإفرادَ خصائصه[2] التي تُظهر ميزَتَه ومكانَتَهُ ، بحيث لا يصح ـ بعد ذكرها وبيانها أيضاً ـ أن يُتبع غيرُه ، أو يُقتفى أثرُ غيرِه ، أو يُنتهج نهجَ غيره ، صلى الله عليه وآله وسلَّم .

يضاف إلى ذلك ما حصل في كثير من المجتمعات الإسلامية وعلى مختلف المستويات ـ نتيجة التأثرات الطارئة والوافدة ـ من نقصٍ في محبة هذا

---

(١) وذلك قبل اطلاعي على كتاب « سبل الهدى والرشاد » للإمام الصالحي رحمه الله تعالى ، لكن بعد قراءتي لما كتبه وجدت فرقاً كبيراً بين العملين .

(٢) لا أقصد التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلَّم عن أمته ، إذ في هذا كتب متعددة لابن الملقن والسيوطي وغيرهما .

النبيِّ الكريم عليه وآله الصلاة والسلام[1]، هذا النقصُ أو الضعفُ قد ظهر جلياً في تخلي أو ابتعاد كثير من الناشئة في بلاد المسلمين عن دينهم، وبالمقارنة بين هذا الجيل وسابقَيْه، وبين عصر السلف، يظهر الفارق جلياً في الأنظار، إذ حُبُّ صاحب الرسالة هو الحامل على اعتناقها، والذود عنها، وحملها وتبليغها، وكلما كان الحبُّ متكاملاً، والفهمُ السليمُ لمرامي وأفكار الدعوة ناضجاً، كان التبليغ والصبر عليها والذود عنها أكثرَ وأشدّ

وإن الحبَّ الشرعي أمرٌ مطلوب ومفروض ـ حتى يكونَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم أحبَّ إلى الفرد المسلم من نفسه وأهله... وماله... والناس أجمعين، وحتى يكونَ هوى المحب تبعاً لما جاء به النبي الكريم عليه وآله الصلاة والسلام، والذي هو ثمرة الاتباع الكامل لما جاء عن الله عز وجل.

واتباعُه صلى الله عليه وآله وسلَّم الطريقُ الموصلُ إلى محبة الله عز وجل للعبد: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] حيث جعل اتباعَه صلى الله عليه وآله وسلَّم بين المحبتين.

وحتى يكون هو المقياسَ الفصلَ في خواطر الإنسان وآرائه وأهوائه ورغباته وخلجات نفسه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3].

---

(١) انظر: محبة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد. فقد أطلت النفَس في بيان الأدلة على وجوب محبته صلى الله عليه وآله وسلم وفوائدها وثمراتها، ومقارنة ذلك بمحبة الجماد والحيوان والنبات له صلى الله عليه وآله وسلم، وقد طبع عدة طبعات.

(٢) سورة آل عمران (٣١).

(٣) سورة النساء (٦٥).

أجل ؛ إن الذي يزيد هذه المحبة وينميها ، إنما هو التعرف على كمالِ ذات المحبوب ، وتميزه بصفاته ، وتفرده بأخلاقه ، وانفرادِهِ بصفات الجمال والكمال ، والأحوال والأخلاق ،... وفي كل الشؤون المعدودة من المبرّات ومقاييس الرجال .

ومكثت سنتين وأنا أتهيب في كتابه هذا الموضوع ، وأستخير الله تعالى ، حتى كان ليلة عشرين من رمضان ، سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وألف ، وبعد عودتي من صلاة التراويح ، من الحرم النبوي الشريف ، سمعت صوت خطيب يخطب في الإذاعة ، ويذكر أمثلةً فقهيةً دقيقةً ، فتابعت حديثَه ، ومن خلال حديثه ـ حيث صرح باسمه عدة مرات ـ عرفت أنه زعيمٌ من زعماء الدول العربية الثورية ، ويخطب في مؤتمرٍ للقضاة في عاصمة بلده ، وكان ذلك بعد استلامه لدفة الحكم ؛ كرئيس للجمهورية في ذلك البلد .

وكان مما قال : عليكم بأمرين اثنين :

أولاً : ـ وهو الأهم ـ : التعمق في فهم الشريعة الإسلامية ، والفقه الإسلامي ،... وأفاض في هذا الموضوع .

ثانياً : التعمق في فهم مبادئ الحزب ـ الذي ينتمي إليه ذلك الرئيس ـ وأفاض في الحديث عنه أيضاً .

ثم قال : لعل بعضكم يسألني قائلاً : إذا كنتَ تحث على التعمق في فهم الشريعة الإسلامية ، لأنها التراثُ الأصيلُ لهذه الأمة ، وإذا كانت الشريعةُ الإسلامية لها هذه المكانة في نفسك ، فلم لا تُعلن تطبيقَ الشريعة الإسلامية ، وتجعلها دستور البلاد ، والمصدر الوحيد للقانون ،...؟

ثم أجاب هو نفسه عن هذا السؤال . فقال : تعلمون أنه يوجد فينا

مسلمون ويهود ومسيحيون وغيرهم ، وكل هذه الديانات سماوية ، وكل منهم يدعي صحةَ دينه وكمالَه ، لذا لم نعد نستطع التوفيق و ... فعزف عن تطبيق الشريعة الإسلامية إلى مبادئ الحزب الذي يعتنقه .

وفي تلك الليلة بدأت بكتابة أصل هذا الكتاب ، الذي شعرت أنه أصبح أمانةً في عنقي ، مع الكتاب الآخر[1] ؛ الذي هو بمثابة المقدمة لهذا الكتاب الأصل ، فيكون الكتابان جواباً لما قاله وتشكَّك فيه .

فالإسلامُ هو دينُ الله عز وجل ، ولا يَقبلُ اللهُ جل شأنه بعد نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ديناً غير دينه ، ثم يأتي بيانُ رجحانه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتقدمه وتفضيله وعلو قدرِه على غيره من الأنبياء السابقين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، بحيث لا يصح أن يُتبع غيرُه ، مع ما يتصف به من تقدّم وتفضيل واختصاص ، والله تعالى أعلم .

ولما رأيت أن ذلك الكتاب هو للطبقة العليا من المثقفين ؛ في كثرة ما ذكرت من الخصائص والكتابة فيها ، أحببت أن أقتصر على بعضٍ منها ، وبعض أدلتها ، من ذلك الكتاب الذي سميته بـ « **الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلَّم عن جميع الأنبياء عليهم السلام** » وسيطبع قريباً إن شاء الله تعالى .

فاقتصرت على مائة خصلة منها ، واقتصرت على ذكر بعض أدلتها ، لتكون في متناول كل يد ، ويسهل قراءتها وحفظها .

وقد شعرت من خلال ما ألقيته من محاضرات ـ في هذا الموضوع على

---

(١) وهو : **الأمانة العظمى ونبيّها صلى الله عليه وآله وسلم** . وقد طُبع قديماً ، وأعيد طبعه مع هذا الكتاب ، مع غيره أيضاً هذا العام .

طلاب الدراسات العليا في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة[1]، على ساكنها الصلاة والسلام ، ما يفعله سَرْدُ تلك الخصائص ، مع التعليق عليها ؛ من تأثير في نفوسهم ، وتحسسهم نحو هذا النبي الكريم ، عليه وآله الصلاة والسلام ، ورجوعهم إلى أنفسهم باللوم على تقصيرهم ، وشحذ هممهم في اتباعه ، والاقتداء به ، وحمل راية دينه من جديد .

وشعرت أيضاً بذلك التوفيق الرباني ـ الذي أشكر ربي عز وجل عليه ـ مع اعترافي بأن شكري يحتاج إلى شكر آخر ، لأن الأولَ نعمةٌ ، والثاني نعمة ، والشكر على النعمة يحتاج إلى شكر آخر ، وهو نعمة أيضاً ، لذا يصبح الإنسان عاجزاً أمام توفيق الله عز وجل ، وهكذا كان ، فقد تم طبع الكتاب ـ المختصر[2] ـ في شهر ربيع الأول ، سنة أربعمائة وألف ، وعلى نفقة بعض أهل الخير رحمه الله تعالى ، وممن رغب في كتم اسمه ـ لكنه معروف عند خالقه ـ ونفذت أغلب النسخ في ذلك الشهر بالذات .

وازداد الطلب على الكتاب ، وتقدم عدد من أهل الخير يطلبون طبعه وترجمته إلى عدد من اللغات ـ الأُردية ، والتركية ، والإنجليزية ـ ...إلخ.

وفوجئت بطبع الكتاب من أحد المحسنين من غير علمي واطلاعي ، وإني إذ أعتقد أن الذي حمل هذا الخيِّر الطيِّب المحِبَّ على طبع الكتاب إنما هو محبةٌ ورغبة في الخير ، ورؤيته رغبة الناس باقتنائه ، لكنني أعتب عليه لو أنه طلب مني ذلك لأعطيته هذه النسخة التي صححتها ، خاصة وأن النسخة الأصلية قد فُقدت في مصر ، ولم تصل إليَّ عند طبع الكتاب حتى الآن ، مما

---

(١) ويسمّى الآن : كلية الدعوة ، وألحق بجامعة طيبة .

(٢) وهو كتابنا هذا .

اضطرني إلى إعادة النظر في الكتاب ، وإضافة بعض النصوص الجديدة ، وشرح بعض الكلمات الغامضة .

وعلى كلٍّ كتبَ اللهُ سبحانه وتعالى له نيتَه وأثابه عليها ، وجزاه الله تعالى على ما أراد من الخير ، ووفَّق المسلمين للعمل الصالح ، والعلم النافع .

هذا وإني لم أغَيِّر من موضوع الكتاب ومحتواه عن طبعته الأولى ، وإنما أضفت بعض النصوص ، وشرحت بعض الكلمات توضيحاً للقارئ .

والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يثيبني على نيتي ، وأن يجعل كلَّ أعمالي صالحةً ، ويرزقني الصدقَ في القول ، والإخلاصَ في العمل ، ويصلح لي ديني ودنياي ، ويصلح لي ذريتي : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1] .

كما أسأله تعالى أن يلهم القائمين على أمور المسلمين أن يعتنقوا الإسلامَ عقيدةً وشريعةً وسلوكاً ومنهاجَ حياة ، وأن يطبِّقوا ذلك على أنفسهم ثم على غيرهم ـ فإنه القادر عليه ـ وأن يرفع البلاء عن المسلمين ، ويرزقهم العودة إلى دينهم ، إنه جواد كريم .

كما أسأله عز وجل أن يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، وأن يرزقنا حبَّه وحبَّ نبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن يجعل ذلك أحبَّ إلينا من أنفسنا وأهلينا ومن الماء البارد على الظمأ ، وأن يحشرنا تحت لواء نبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن يجعل هذا العملَ ـ وغيره من أعمالي ـ ذخيرةً نافعةً مدخرةً إلى يوم الدين ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ،

(١) سورة النمل (١٩).

وأن يغفر لنا ولوالدينا ولوالد والدينا ولأزواجنا ولأولادنا ولمشايخنا ، ولمن له حقٌّ علينا، وللمتسبب في طبعه ونشره ، ويجعله في صحيفته، وللمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات ، آمين ، آمين ، آمين .

وصلى الله على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدٍ ، وعلى آله وصحبه وأزواجه وأتباعه ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ليلة الخميس ، الثاني عشر ، من شهر ربيع الأول .

١٤٠٢هـ المدينة المنورة

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم بن مُلّا خاطر العزّامي

نزيل المدينة المنورة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

أما بعد :

فالذي يستعرض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الصحيحةَ ، يجد النصوصَ الكثيرة ـ والكثيرة جداً ـ التي تنطق وتنبئ وتصرح بمكانة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبعِظَم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه تعالى ، بما حباه من النعم ، وفضله على جميع الخلق ، وأكرمه تعالى بخصائص لم يُعطها غيرَه من الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وبما لاطفه به وبرَّه ، وبما أورده عليه موردَ الشفقة والإكرام ، وبما شهد تعالى له به ، وامتدحه وأثنى عليه ،... وبما أظهره عليه ، وعلى يديه من الكرامات والإنعام ، وبما كمّل به محاسنه خَلقاً وخُلقاً ، وبما سمّاه به من أسمائه ، وما أطلعه عليه من الغيوب ، وعصمه من الناس ، وكفاه من أذاهم ، وبما أعطاه في الدنيا من : خلود دينه وبقائه واجتبائه ، وجعله المرسَلَ بدينه ، صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ.

وفي الآخرة من : عُلوِّ قدرِه صلى الله عليه وآله وسلم ، ورفعةِ مكانته ، وكونه صاحبَ الشفاعة العظمى ، والمقامِ المحمودِ ، والحوضِ المورود ، والشهادةِ ، والوسيلةِ ، والمنبرِ ، واللواءِ ،... وكل الأنبياء عليهم السلام تحت لوائه ، وهو سيدُ الأولين والآخِرين ، وأول شافِع ومشفَّع ، وأكثر الأنبياء تبعاً ، صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ.

وبما أكرمه في أمته من : تسميتها بالمسلمين ، وجعلها خيرَ الأمم ، وأنها

الباقيةُ على الحق ، فلا تجتمع على ضلالة ، وبما خاطبها بما خاطب به الأنبياء عليهم السلام ، وزاد في ثواب أعمالها ، وجعل مثلَها في الكتب السابقة ، وأورد وصفَها فيها ، وحفظها من الغُلُوِّ في نبيها صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والطعن في بارئها جل شأنه ، ورفع عنها الإصرَ والحرجَ والأغلالَ التي كانت في الأمم السابقة ، وأكملَ لها الدينَ ،...إلخ.

وفي الآخرة : حيث سيرضيه صلى الله عليه وآله وسلَّم في أُمَّتِه ولا يسوؤه ، وسيُفدي هذه الأمةَ بغيرها ، ويكون مجموعُها في الجنة ، وتكون شاهدةً للأنبياء السابقين عليهم السلام على أممهم ، كما تكون شاهدةً على نفسها ، وهم الآخِرون في الدنيا ، السابقون يوم القيامة ، ولها العلامةُ الفارقة : حيث تأتي غُرّاً مُحَجَّلِين ، واختصها المولى تعالى بعلامةٍ خاصةٍ تعرف بها ربَّها تعالى ، وفيها سيدا كُهول أهل الجنة ، وسيدا شباب أهل الجنة ، وسيدةُ نساء أهل الجنة ، وسيدُ الشهداء ، حيث يتمنى الكفار لو كانوا منها ،...إلخ.

كل هذا وكثيرٌ غيرُه مما خصه الله تعالى به ، ولم يعطه ـ مجموعاً أو مفرداً ـ لأحد من خلقه سواه صلى الله عليه وآله وسلَّم[1].

ومن المعروف يقيناً ـ أن الإنسان كلما انفرد بصفاتٍ وميزاتٍ كمالية وجمالية ،... لا توجد عند غيره : عَظُم قدرُه ، وارتفع شأنه ، وعلا كعبُه ، وارتفعت مكانتُه ، وسمت منزلتُه ، وصار محلَّ الإجلال والتقدير والتبجيل والاحترام ، فكيف بمن جمع من الصفات والكمالات والميزات ما لا يوجد عند الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ؟ وهم خيرةُ الخلق ، وسادةُ البشر ، وأكملُ الناس وأفضلهم . فهذا مما لا شك فيه يدل على عظمِ

---

(١) سيأتي في الفصل القادم إن شاء الله تعالى عناوينُ تلك الخصائص .

قدرِه ، ورفعةِ مكانتِه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وإذا كان الله تعالى ـ وهو المتفضِّل بكل ذلك ـ هو الذي خصَّ نبيَّه الكريم سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك دون غيره من الأنبياء عليهم السلام ، فهذا ـ بلا شك ـ مما يدل على تفضيله ، ورفعة مكانته ، وعلوِّ شأنه ، وارتفاعِ منزلتِه صلى الله عليه وآله وسلَّم عنده عز وجل .

ولم يكن الأمر موقوفاً عند اتصافه صلى الله عليه وآله وسلَّم بهذه الصفات الكمالية والجمالية ، المتفرد بها دون غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فحسب ، بل ألزمهم الله تعالى بأن أخذ له العهدَ عليهم ، وجعله خيرَهم ، وسيدَهم ، وإمامَهم ، وخطيبَهم ، ومبشِّرَهم ، وشاهداً ، وشهيداً لهم وعليهم ،... فهذا كله وغيره كثير ـ كما سأذكر بعضَه إن شاء الله تعالى ـ يدل بلا ريب ، وبالقطع على رفعة قدره ، وتخصُّصِه بالدرجة العليا التي لم ينلها مَلَكٌ مُقرَّب ، ولا نبيٌّ مرسَلٌ ، صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وإذا كان الناس يستطيعون وصفَ المحسوس ، ويقتربون من وصف أو إدراك غير المحسوس ، فإن الناس ـ كل الناس ـ متمثلين في الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ؛ عجزوا عن وصف هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، بما حواه من صفات خَلْقية وخُلُقية ، وبما حواه من كمال الصفات ، وجميل الميزات ، والعلو في الأخلاق ، والتفرد في الذات .

وإذا كان الناس يتعلَّقون بمن اتصف بصفات الكمال ـ أو قارب ـ قياساً على عدم وجود ذلك في الآخرين ، فكيف بمن امتاز عن الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، فضلاً عن بقية الخلق .

ولعلي في الصفحات التاليات أذكر بعضاً مما امتاز به صلى الله عليه وآله

وسلَّم ، عن غيره من الأنبياء الآخرين ، عليه وعليهم الصلاة والسلام ، مما يجعل عند المسلم اليقينَ بنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويدعو غيرَ المسلم لإعادة النظر فيما يعتقد .

فالمسلم يطمئن ويركن ، ويزدادُ إيماناً مع إيمانه ، ومحبةً ، وشوقاً إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويتحلى بما يتصف به هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، لكونه مدعواً بذلك .

وغير المسلم مدعوٌ هو الآخر لدراسة أحوال هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، باعتباره مدعواً أيضاً للإيمان به ، والتصديق بما جاء به ، والاعتقاد بدينه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأنه قد أُخذ عليه العهد بذلك ؛ من قِبَل أنبيائه عليهم السلام .

فإن استطعتُ إعطاءَ الصورة الحقة التي تتناسب والمقامَ الكريم ، فهذا ما أرجوه ، وإن كانت الأخرى ، فحسبي أني بذلت الجهد ، وأستغفر الله عز وجل من الزلل والخطأ .

هذا وقد التزمت القبولَ (صحيح ، أو حسن) في كل حديث ذكرته في هذا البحث ـ كما هي عادتي في كلِّ كتبيُ ـ طلباً لراحة واطمئنان القارئ فيما يعتقد ويركن إليه . مع عزوِ كل حديث لمكانه وتخريجه .

فإذا كان الحديث في الصحيحين ـ أو أحدهما ـ فلا أعرج على سواهما ، ولا أذكر غيرهما ـ إلا لأمر ما ـ لأنهما أصح كتب الحديث قاطبة ، باتفاق أهل العلم ، وكلُّ حديث ذُكر فيهما فقد تجاوز القنطرة ، كما نص عليه المحققون من أهل الحديث ، وقد أوضحته في (مكانة الصحيحين).

وإن لم يكن فيهما نظرت في غيرهما ، مع تصحيح أو تحسين المتقدمين

من أهل العلم بالحديث .

ولا أذكر حديثاً ضعيفاً في بابه[1]، إذ عندي من الصحيح ما يغنيني ، ولله الحمد والمنة على فضله ونعمائه .

كما أني اقتصرت على ذكر النصوص دون التعرض للشرح لها ، ونقل أقوال أهل العلم - إلا نادراً - لأن القصد هو إثباتُ المنقبة لا تفسيرها ، حتى لا يطول البحث ، لأن القصد هو الاستدلال والاختصار .

هذا وقد قسمت البحث إلى فصلين رئيسيين ؛ هما :

الفصل الأول : (ما أكرمه الله تعالى به لذاته).

وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : ما أكرمه الله تعالى به لذاته في الدنيا .

المبحث الثاني : ما أكرمه الله تعالى به لذاته في الآخرة .

الفصل الثاني : (ما أكرمه الله تعالى به في أمته)

وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : ما أكرمه الله تعالى به في أمته في الدنيا .

المبحث الثاني : ما أكرمه الله تعالى به في أمته في الآخرة[2].

---

(١) وإن كان علماء الحديث مجمعون على العمل بالحديث الضعيف - خاصة في فضائل الأعمال - كما أوضحته في (خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع) وقد ذكرت الأدلة على ذلك . فانظره فإنه مهم في بابه . ولكن كما قلت : عندي من الصحيح أو الحسن ما يغنيني .

(٢) لكن قبل البدء في هذه المباحث : أذكر مختصراً لمجمل خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم التي انفرد بها عن جميع الأنبياء عليهم السلام ، وهذا المختصر أضفته في هذه الطبعة (الحادية عشرة) ولم يكن موجوداً في هذا الكتاب في الطبعات السابقة ، وأسأل الله تعالى أن ينفع به عباده المؤمنين .

وأسأل الله تعالى أن يرزقنا الصدق في القول ، والإخلاصَ في العمل ، والحبَّ الكامل له جل شأنه ولنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن يحقِّقنا بما يرضاه لعباده الصالحين ، ويجعلنا من خدَمة دينه وسنةِ نبيِّه الأمين صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويقينا الزَّلّات والعثرات ، ويغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا ولمشايخنا ولمن له حقٌ علينا ، وأسأله جلت قدرته أن يجعله ذخيرةً خالصةً نافعةً يوم الدين ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين .

المدينة المنورة - ربيع الأول - ١٤٠٠هـ

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم بن مُلّا خاطر العزّامي

نزيل المدينة المنورة



فصل
الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم عن جميع الأنبياء عليهم السلام(١)

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد فاضل بين الأنبياء عليهم السلام ـ كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى بعد قليل ـ وفاضل بين الرسل عليهم السلام ، وفضّل رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم جميعاً ، فلا أدلَّ مِن أن نعرف بعضاً مما امتاز به هذا النبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلم ، وما فضل به عن جميع الخلق ، وما ميَّزه الله تعالى به عن الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، بعد أخذه تعالى له العهدَ عليهم جميعاً ؛ أن يؤمنوا به ويتَّبعوه وينصروه ،... صلى الله عليه وآله وسلم .

لله تعالى خواص ؛ في الأمكنة والأزمنة والأشخاص .

لقد خصَّ الله تعالى من الأمكنة الكثير ؛ خصَّ الحرمين الشريفين ، وخصَّ فيهما الكثير، حيث خصّ المسجدَيْن العامِرَين ، وخص الروضةَ الشريفة ، والمنبرَ الشريفَ ، والحجرَ الأسودَ ، والمقامَ ، ومسجدَ قباء ، وجبلَ أُحدٍ ،... وخصَّ بيتَ المقدس ، وخص المساجد ،...إلخ.

وخصّ تعالى من الزمان الكثير : شهرَ رمضان ، وليلةَ القدر ، ويومَ الجمعة ، وليلتَها ، وساعةَ الإجابة فيه ، ويومَ عرفة ، وعشرَ ذي الحجة ،

---

(١) لقد ذكرت هذا الفصل في عدد من كتبي ، لما أرى من ضرورته حتى يُعلم ، فانظر : الأمانة العظمى ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، والرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم ، كما أضفته في هذا الكتاب في هذه الطبعة الجديدة (الحادية عشرة) وأسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بأخواتها السابقات .

والثلثَ الأخيرَ من الليل ،...إلخ.

وخص البشرَ من سائر المخلوقات ، وخصَّ الأنبياء عليهم السلام من البشر ، وخصَّ الرسل عليهم السلام من الأنبياء ، وخصَّ أولي العزم عليهم السلام من سائر الرسل ، وخصَّ نبيَّنا الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم من سائر أولي العزم ، كما خصَّ تعالى هذه الأمةَ من سائر الأمم ، وخصَّ قرونَها الأُوَل على سائر القرون ؛ السابقة والتالية ،...إلخ.

قال الله تعالى عن تفضيل البشر : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

وقال جل شأنه عن تفضيل الأنبياء عليهم السلام : ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وقال جل شأنه عن المفاضلة بين الأنبياء عليهم السلام : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[3].

وقال تعالى عن اصطفاء الرسل : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[4].

وقال تعالى عن المفاضلة بين الرسل عليهم السلام : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء (٧٠).

(٢) سورة الأنعام (٨٦).

(٣) سورة الإسراء (٥٥).

(٤) سورة الحج (٧٥).

(٥) سورة البقرة (٢٣٥).

وأما بالنسبة للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :

فعن واثلةَ بنِ الأسقع رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الله اصطفى كنانةَ من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم[1].

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة ، فرُفعت إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منها نهسةً ، وقال : « أنا سيدُ الناس يومَ القيامة ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وإذا علمنا أن واثلةَ رضي الله تعالى عنه أسلم والنبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلم يتهيأ لغزوة تبوك ، وأن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه هاجر والنبيُّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر ، وهو هنا يخبر رضي الله تعالى عنه أنه كان مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ؛ علمنا أن هذا الإخبارَ من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إنما كان في آخر حياته صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى أعلم .

فهو إذاً : خيارٌ ، من خيارٍ ، من خيارٍ[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧ ، ٣٢٨).

(٣) انظر ما كتبته في (مكانة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام) مما ظاهره التعارض بين هذه الأحاديث وغيرها .

ثم إن عظمةَ الإنسان ومكانتَه تنبع من أمرين اثنين هما :

١ـ ما يتصف به من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته ، سواء وافقه غيرُه فيها أو في بعضها ، أم لا[1].

٢ـ ما ينفرد به عن غيره من أقرانه ، من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته[2].

وقد أكرم الله تعالى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فحوى من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته ـ مما انفرد به عن غيره من الرسل والأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ ما يزيد على (٣٠٠) ثلاثمائة خصلة ، لا يشاركه في واحدة منها أحدٌ منهم .

أما ما يتصف به صلى الله عليه وآله وسلم مما يشاركه فيه غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فهو كثير أيضاً ، والله تعالى أعلم .

الذين شهدوا له صلى الله عليه وآله وسلم :

إن الذين شهدوا له صلى الله عليه وآله وسلم بالتفرد والتميُّز : الله عز وجل ، ثم الملائكة الكرام ، ثم الرسل عليهم السلام ، ثم هو صلى الله عليه وآله وسلم ، لكن يقول : « ولا فخر »[3].

---

(١) لقد كتبت في ذلك : فضائل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كما وردت في القرآن العظيم ، وقد طبع مع هذه الطبعة ، وغيره .

(٢) لقد كتبت في ذلك : الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم عن جميع الأنبياء عليهم السلام ، وهذا مختصرٌ لمائة خصلة منه . كما ذكرت المقارنة بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين أولي العزم ومعهم آدم عليهم السلام ، في مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام ، وفي غيره .

(٣) انظر : مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام ، فقد ذكرتُ ذلك وأدلتَه .

ولما كانت الخصائص التي ينفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم عن جميع الأنبياء والمرسلين كثيرةً، تزيد ـ حسب جمعي، سواء من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الصحيحة[1] ـ على (٣٠٠) ثلاثمائة خصلة، لذا فإني سأذكر كثيراً منها على سبيل الإجمال، ثم أقتصر على (١٠٠) مائة منها، وأترك الحديث عنها جميعاً للكتاب الأصل، وهو (**الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم عن جميع الأنبياء عليهم السلام**).

والخصائص التي ينفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم عن غيره من الأنبياء عليهم السلام على نوعين:

١ ـ ما يختص به صلى الله عليه وآله وسلم في ذاته؛ سواء في الدنيا أو في الآخرة.

٢ ـ ما يختص به صلى الله عليه وآله وسلم في أمته؛ سواء في الدنيا أو في الآخرة، مما تنفرد به عن غيرها من الأمم، ولولاه لما أُعطيت ذلك.

وهذا ما سأذكره على سبيل الإجمال، على هذا النسق إن شاء الله تعالى. لكن لن أذكر كلَّ تلك الخصائص، بل أذكر بعضها، ومن أراد معرفتَها كلَّها فلينظر في كتبي الأخرى[2].

---

(١) إن الذي ورد بالأحاديث الضعيفة، أو التي ذُكرت لكن لم أجد لها مستنداً: تفوق هذا العدد عدة مرات، لكن اقتصرت على ما صح، كما هو منهجي، وإن كان علماء الحديث يجوِّزون العملَ بالحديث الضعيف في مثل هذا الموضوع، كما بينته في (خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع) فانظره فإنه مهم جدّاً.

(٢) انظر: الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم عن جميع الأنبياء عليهم السلام، والأمانة العظمى ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وفضائل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كما وردت في القرآن العظيم.

أ ـ فمما خصه الله تعالى به لذاته صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا :

أخذ الله عز وجل له العهد على جميع الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وكان نبيّاً وآدمُ عليه السلام منجدل في طينته ، وجعل عند أهل الكتاب عِلْماً تامّاً به ، وهو أولُ المسلمين ، وخاتمُ النَّبِيّين ، وهو نبيُّ الإسلام ، وأَوْلى بالأنبياء من أممهم ، وبالمؤمنين من أنفسهم ، وجعل أزواجه رضي الله تعالى عنهن أمهاتٍ للمؤمنين ، وحرّم نكاحهن من بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعله مِنَّةً يمتنُّ بها على العباد ، وخيرَ الخلائق ، وسيدَ ولد آدم ، وجعل طاعته صلى الله عليه وآله وسلم طاعةً لله عز وجل ، وجعلها مقرونةً بطاعته تعالى ، ومبايعتَه مبايعةً لله تعالى ، والإيمانَ به مقروناً بالإيمان به جل شأنه ، وجعله رحمةً للعالمين ، وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، وهو أَمَنَةٌ لأمته ، وعمَّم رسالتَه ، وتكفَّل تعالى بحفظه وعصمتِه ، وحفظِ دينِه ، وكتابِه ، وكفاه تعالى المستهزئين ، وأقسم تعالى بحياته ، وببلده ، وبعصره صلى الله عليه وآله وسلم .

ولم يناده تعالى باسمه الشريف المجرّد (يا محمد) ونهى عن مناداته به ، بل يخاطبه : يا رسول الله ، يا نبي الله ، وحرّم تعالى رفعَ الصوت فوق صوته صلى الله عليه وآله وسلم ، وذكره عز وجل في أول مَن ذَكر من الأنبياء عليهم السلام ، وجعله عز شأنه نوراً ، وفرض بعضَ شرعه في السماء ، وتولّى الإجابةَ عنه ، وجعل تعالى صلاةَ الله وملائكته عليه صلى الله عليه وآله وسلم متجددةً باستمرار ، وأعطاه تعالى من المعجزات ما زاد على معجزات الرسل السابقين عليهم السلام ، وجعل معجزتَه ـ الوحيَ ـ مستمرةً في إعجازها إلى قيام الساعة .

لقد غفر الله جل ذكره له ما تقدَّم مِن ذنبه وما تأخَّر ، وأخَّر دعوته المستجابة ليوم القيامة ؛ يوم يحتاج إليه الخلق كلهم ، وأعطاه جل جلاله جوامعَ الكلم ، ومفاتيحَ خزائن الأرض ، ومفاتيح الجنة ، وأكرمه تعالى بإسلام قرينه ؛ فلا يأمره إلا بخير ، ونصره تعالى بالرعب مسيرة شهر ، ونصره بالصَّبا ، وشهد تعالى له بالتبليغ ، والرسالة ، كما شهد له الملائكة بذلك أيضاً ، وخصه عز وجل بالإمامة بالأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ؛ بعد حشرهم له في بيت المقدس .

خصَّه تعالى بالإسراء والمعراج ، وأطلعه على الجنة والنار ، وأراه من آيات ربه الكبرى ، فما زاغ بصرُه وما طغى ، وما كذب فؤادُه ما رأى ، وسمع صلى الله عليه وآله وسلم صريفَ الأقلام ، ورأى ربَّه تعالى[1] ، وأعطاه انشقاقَ القمر ، ورأى جبريلَ عليه السلام على حقيقته ، وجعل ما بين بيته ومنبره روضةً من رياض الجنة ، وجعل قوائمَ منبره رواتبَ في الجنة ، ومنبرَه على تُرعة من تُرع الجنة ، ومَن صلّى عليه صلى الله عليه وآله وسلم صلّى الله تعالى عليه بها عشراً ، وأعطاه الكثيرَ من الخيرات ، ومن سلّم عليه صلى الله عليه وآله وسلم سلّم الله عز وجل عليه ، ومن سلّم عليه صلى الله عليه وآله وسلم مِن قُرب سمعه وردّ عليه، وإن كان بعيداً أُبلغه وردّ عليه .

جعله تعالى يرى من ورائه كما يرى من أمامه ، كما جعل رؤيتَه صلى الله عليه وآله وسلم في المنام حقّاً ، فلا يتمثل به الشيطان ، وأن مَن رآه في المنام فسيراه في اليقظة ، وعَرَض عليه الأنبياءَ عليه وعليهم الصلاة والسلام مع

---

(١) على مذهب الجمهور ، وانظر مكانة الصحيحين ، والآيات البينات بها في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات ، فقد بينت الآراء في ذلك .

أممهم ، وأطلعه تعالى على المغيَّبات ، وجعل خاتمَ النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وضاعف تعالى أجرَ الكتابيِّ إذا أسلم ، وعقوبتَه إذا تنكب ، ومنحه الله عز وجل بعضَ السور والآيات من كنز تحت العرش ، وتمنّى الأنبياءُ عليهم السلام ودعَوا أن يموتوا على دينه الإسلام ، وسماه الله تعالى بأسماء لم تكن معلومةً ، وهي كثيرة .

جعل تعالى دينَه صلى الله عليه وآله وسلم حاكماً على جميع الأديان ، ولاطفه في كتابه بما لم يكن لأحد قبله ، وأعطاه ما في سورتي الضحى ، والانشراح ، ما لم يعط أحداً من خلقه ، فشرح صدره ، ووضع وزرَه ، ورفع ذكرَه صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعله أكرمَ الخلق عليه تعالى ، وخصَّه تعالى بعدد من السور والآيات ، وجعله أكثرَ الأنبياء معجزات ، فسلَّم عليه الحجر ، وحنَّ له الجذع ، وخاطبه الشجر ، ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم ، وكثَّر تعالى له الطعامَ ، والماءَ ، وشهد له الحيوان والنبات والأشجار ، واستجابت لدعوته .

أظلَّته صلى الله عليه وآله وسلم الملائكةُ في سفره ، وكانت نصرةً له ، وحُرست السماء يوم بعثته ، وانقطعت الكهانة ، وفَرض تعالى على العالَم طاعتَه ، وتولّى الردَّ والإجابةَ عنه ، وخاطبه تعالى بألطف ما خاطب به رسلَه ، ولو أدركه نبيٌّ وجب عليه اتباعُه ونصرتُه ، ولن يريه الله تعالى في أمته ما يسوؤه .

هو صلى الله عليه وآله وسلم حبيبُ الله عز وجل ، جمع له بين الخُلة والمحبة ، وبين الكلام والرؤية ، وبين القبلتين ، وبين الظاهر والباطن ، كلَّمه الله تعالى فوق سدرة المنتهى ، وجعل شرعَه ناسخاً لكل الشرائع ، وينسخ بعضُه بعضاً ، ولا ينسخُه شرعٌ آخر، وجعل تعالى كتابَه مُعجِزاً ، مهيمِناً ،

ميسَّراً للحفظ ، نزَّله منجماً ، وعلى سبعة أحرف .

فضَّل تعالى بلده ، ومهاجَرَه ، وحرَّم مدينتَه وفضَّلها ، وجعل مسجدَه آخرَ مساجد الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وضاعف الله تعالى أجرَ الصلاة فيه ، لا يدخل مدينتَه الدجالُ ، ولا الطاعونَ ، وصرف الله تعالى الحُمّى عنها ، وجعل كثيراً منها في الجنة ، مِن روضتها إلى أُحُدِها إلى عجوتها ، وفضَّل حجرتها الشريفةَ ، تُعرضُ عليه صلى الله عليه وآله وسلم أعمالُ وصلاةُ أمته ، وأحل له مكةَ ساعةً من نهار .

جعله تعالى نوراً ، وسراجاً منيراً ، ولم يجعله سراجاً وهّاجاً ، كما جعله أجملَ الناس ، وأزواجه رضي الله تعالى عنهن عوناً له صلى الله عليه وآله وسلم ، وضاعف أجرهن ، وجعل بناته رضي الله تعالى عنهن أفضلَ النساء ، وذكر اسمَه الشريفَ مع اسمه تعالى في الشهادتين ، وفي الأذان ، وجعله الله تعالى وليّاً للمؤمنين ، ويُخاطَبُ في الصلاة بكاف الخطاب ، ويُسأل الميت عنه في قبره ، وجعل تعالى صلاتَه صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين سكناً لهم ، ومنوِّرةً لقبورهم ، ووصفه تعالى في كل المقامات العليَّة بالعبديَّة ، وأضافه تعالى إليه ، وجعل كتابَه شفاءً للمؤمنين ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

ب ـ ومما خصَّه الله تعالى به لذاته صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة :

جعله الله تعالى شاهداً لأمته ، وشهيداً عليها ، كما جعله شهيداً على الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وأعطاه الله تعالى من الشفاعات ما لم يعط أحداً من رسله عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ابتداءً من تخفيف العذاب عن العصاة من أمته إلى الشفاعة العظمى ، وجعله تعالى أولَ من

يُبعث يوم القيامة ، وأولَ من يُجيز على الصراط ، وأولَ من يَقرعُ بابَ الجنة ، وأولَ من يدخلُها ، وأولَ من يُؤذنُ له في السجود ، وأولَ من يرفعُ رأسَه صلى الله عليه وآله وسلم .

وهو صلى الله عليه وآله وسلم إمامُ الأنبياء عليهم السلام ، وقائدُهم ، وخطيبُهم ، يمشي صلى الله عليه وآله وسلم ويمشون وراءه ، ويكونون جميعاً تحت لوائه صلى الله عليه وآله وسلم ، ويُكسى أحلى الحلل .

هو صلى الله عليه وآله وسلم سيدُ الأوَّلين والآخِرين ، وأولُ شافِع ، وأول مشفَّع ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم أكثرُهم تَبعاً ، بيده لواءُ الحمد ، ومفاتيحُ الجنة ، وكلُّ نسب وسبب مقطوعٌ يوم القيامة إلا نسبه وسببه صلى الله عليه وآله وسلم .

أعطاه الله تعالى الوسيلةَ والفضيلةَ ، والمقامَ المحمودَ ، والكوثرَ ، جعل تعالى حوضه صلى الله عليه وآله وسلم أكبر الأحواض وأكثرَها وروداً ، ويكون منبرُه صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ على حوضه ، ويكون له صلى الله عليه وآله وسلم كرسيٌّ عن يمين العرش ، ويفتح الله تعالى عليه صلى الله عليه وآله وسلم في سجوده تحت العرش ما لم يفتحه على أحدٍ من قَبل ولا من بعد . فصلوات الله عليه وآله وصحبه وسلَّم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

ج ـ ومما خصه الله تعالى به في أمته صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا :

أن جعلها الله عز وجل خيرَ الأمم ، فسمّاها المسلمين ، وخصَّها تعالى بالإسلام ، فرضيه لها ، وأكمله ، وأتمَّ عليها النعمةَ ، وحطَّ تعالى عنها الإصرَ ، والأغلالَ التي كانت على من سبقنا ، وأحل لها الغنائمَ ، ولن يُهلكها بجوع

أو غرق ، ولا يسلِّط عليها عدوّاً من غيرها فيستبيح بيضتَها .

جعل تعالى صفوفَها في الصلاة كصفوف الملائكة ، وجعل الأرضَ لها طُهوراً ومسجداً ، فيصلي المسلِمُ حيث تدركه الصلاة ، ومن لم يجد الماء ـ أو لم يقدر عليه ـ تيمَّم ، وسيصلّي عيسى عليه السلام خلف إمامها إذا نزل ، جعلها الله عز وجل شاهدةً للأنبياء عليهم السلام على أممهم ، وجعل تعالى نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم شاهداً لها وعليها ، ولم يفضحها أمام الأمم ، وذكر تعالى أوصافَها ومَثَلها في الكتب السابقة .

خصَّها الله عز وجل بيوم الجمعة ، وبساعة الإجابة فيه ، وبليلة القدر ، كما خصّها تعالى بالأذان ، والإقامةِ ، والتأمين ، وتحيةِ الإسلام ، وصلاةِ الجماعة ، واستقبال القبلة في الصلاة ـ إلّا النافلة للمسافر الراكب فجاز له الصلاة لغيرها ـ ويجب استقبالها في القبر عند الدفن ، وعدم استقبالها عند قضاء الحاجة ـ لمن كان في فضاء ـ والمسحِ على الخفَّين ، وإزالةِ النجاسة بالماء ، والجمعِ بين الماء والحجر ، وأن كثرةَ الماء لا تؤثِّر فيه النجاسة ـ ما لم تُغيِّر أحدَ أوصافه ـ وأكرمها الله عز وجل بعدد من الصلوات ؛ التي لم توجد في أمة سابقة (صلاة العشاء ، والاستسقاء ، والعيدين ، والكسوف ، والخوف ، والجمع والقصر في السفر ،...إلخ).

خصَّها الله تعالى بصيام رمضان ، والسحور ، وتعجيل الفطر ، وكثرة من يُغفر لهم فيه ، وتصفيد الشياطين ، وخُلوف فم الصائم أطيب عند الله عز وجل من ريح المسك ، والنهي عن الوصال ، وإباحة الكلام في الصيام ، وفضل صوم عاشوراء ، وفضل يوم عرفة ، وصومه لمن لم يكن فيه في الحج ، وتعجيل المغرب ، والوضوء قبل الطعام ، والاغتسال من العين ، وتربة الجنة ،

والاسترجاع ، والحوقلة ، والعقيقة عن الذَّكَر والأنثى ، وتضعيف الحسنات مع بقاء السيئات .

هي آخرُ الأمم ، فأحلَّ الله تعالى لها كثيراً مما شُدِّد على من سبقها ، لم يجعل عليهم في الدِّين من حرج ، رفع تعالى عنهم الخطأ والنسيان ، وما استكرِهوا عليه ، أباح لهم الطيبات ، ومخالطةَ الحائض من غير وطء ، وحرَّم عليهم الخبائثَ ، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة ، فإن عملها كُتبت إلى سبعمائة حسنة ، ويُضاعف لمن يشاء ،... ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كُتبت له حسنة ، فإن عملها كُتبت عليه سيئة واحدة ، وخفَّف تعالى عنها القتلَ في التوبة ، فجعل الندمَ توبةً ، وأجاز لها الانتقال من القتل إلى الدية في القصاص .

لا تجتمع على ضلالة ، ولا يدعو عليها نبيُّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيهلكوا ، لا يعمهم الله تعالى بسَنَةٍ عامَّة ، يؤمنون بالأنبياء والرسل عليهم السلام ، كما يؤمنون بكتبِهِم ، هم أقلُّ الأمم أعماراً ، وأكثرُهم أجراً ، وصلّى الله تعالى عليهم وملائكتُه ، وأكرمهم بالمجدِّدين ؛ على رأس كل قرن ، جعل فيهم الأولياء ، مصاحفهم في صدورهم ، وتسبيحهم في آخر الزمان يُغني عن الطعام ، حتى يقاتل آخرُهم الدجال ، ويأرز الإيمان بين مسجديه صلى الله عليه وآله وسلم (مكة والمدينة) ، وجعل تعالى مهاجَرَه آخرَ قرى الإسلام خراباً .

هي الأمة الوسط ، خاطبهم الله تعالى في كتابه بما خاطب به الأنبياء عليهم السلام ، ناداهم الله عز وجل بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ولم ينادهم بالعرب ونحوه ، لا تزال طائفة منها على الحق ، حفظها الله تعالى من التنقيص في حقّ ربها تعالى ، جعل شهادتهم على من سواهم ، لا العكس ، جعل فيهم من

رضي الله عنهم وهم أحياء ، وفيهم من اهتز له عرش الرحمن ،...إلخ، كل ذلك بسبب رسولها الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

د ـ ومما خصه الله تعالى به في أمته صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة :

هي أول من تنشق عنها الأرض ، وأولُ من تُبعثُ تبعاً لنبيها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وصاحبيه الكريمين رضي الله تعالى عنهما ، وأول من يُقضى لهم يوم القيامة ، مع أنهم آخر الأمم في الخلق « نحن الآخِرون السابقون » يكونون في الموقف مع رسولهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على كوم عال ، هي شاهدةٌ للرسل عليهم السلام على أممهم ، هم أولُ من يجتاز الصراط ، وأولُ من يدخل الجنة ، وأن الجنة محرَّمةٌ على الناس حتى تدخلها ، وأولُ من يدخل الجنةَ فقراءُ المهاجرين رضي الله تعالى عنهم وقد فعل ، وتنفرد بالباب الأيمن من الجنة ، وهم شركاءُ الناس في الأبواب الأخرى ، تأتي يوم القيامة غرّاً محجَّلين من أثر الوضوء ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود .

سيفديها الله تعالى بغيرها من الأمم ، وهم أكثرُ أهل الجنة ، وسيُرضي تعالى نبيَّه المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم فيها ولا يسوؤه ، هم أقلُّ الأمم أعمالاً وأكثرُها ثواباً ، وكلُّها تدخل الجنة ، بخلاف الأمم الأخرى ـ قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذ بعضُها في الجنة وبعضُها في النار .

أعطاها الله عز وجل الشفاعة، فيشفع الكثيرُ منهم ، وفيهم من يشفع للطائفة الكبيرة من الناس ، فإذا رأى الكفار إكرامَ الله تعالى لهم تمنَّوا لو كانوا مسلمين ، كما سيدخل الكثيرُ منهم الجنةَ بغير حساب ، جعل الله عز وجل لها علامةً تعرف بها ربَّها جل شأنه يوم القيامة ، كما جعل فيها سادات أهل

الجنة ، وفيها من يدخل من أبواب الجنة الثمانية .

نورُهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، ومنهم أولُ زمرة تدخل الجنةَ ؛ تكون وجوههم كالقمر ليلة البدر ، وهي أعرف بمنازلها في الجنة منها في الدنيا ، ويكون الكثير منها ـ يوم الحشر ـ تحت العرش ، تدعوهم الملائكة إلى الدخول من أبواب الجنة حسب أعمالهم ، ويحاسَب العاصي منها حساباً يسيراً ، ويفدي الله تعالى مَن يستحق العذاب منها بغيره من الأمم ويكون فكاكَه من النار، ثم يضع الله تعالى عنهم ذنوبَهم ، ويضعها على اليهود والنصارى ،...إلخ، كل ذلك بسبب رسولهم الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .



الفصل الأول
ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به لذاته

وينقسم إلى مبحثين

المبحث الأول : ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به لذاته في الدنيا .

المبحث الثاني : ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به لذاته في الآخرة .

المبحث الأول
ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به لذاته في الدنيا

لقد أكرم الله تعالى نبيَّه الكريم سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم ، دون غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ بخصائص في الدنيا كثيرة ، تبلغ نحواً من خمسين ومائة خصلة ، ولا أستطيع استعراضها كلها هنا في هذا المختصر ، لذا سأقتصر على ذكر بعضها ، إن شاء الله تعالى[1].

لأن حياته صلى الله عليه وآله وسلَّم وما أكرمه الله سبحانه وتعالى به ، وما اختصه به ، كل ذلك لا يمكن أن يحويه إلا هو ، ولا يتصف به إلا هو صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأن اللهَ سبحانه وتعالى خصَّه بذلك ، وفرَّده وأفرده ، وذكَر عنه قبل ظهوره إلى عالم الدنيا ، وجمّله بعد وجوده صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك . لذا عَلِمنا أنه المختص بذلك دون سواه من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

فمن ذلك :

١ ـ أخذ العهد له صلى الله عليه وآله وسلَّم على جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام :

إن مما خَصَّ الله سبحانه وتعالى به رسولَه الكريمَ سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم أن أخذ له العهدَ على جميع الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم

---

(١) لقد استوعبت كثيراً من ذلك ولله الحمد والمنة في كتابي « الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم عن جميع الأنبياء عليهم السلام » وذكرت الأدلة على كل واحدة من هذه الخصائص ، والحمد لله على فضله ونعمائه .

الصلاة والسلام ، إنْ بُعث صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهم أحياءٌ ، أو أحدٌ منهم : يجب عليهم أن يؤمنوا به ، ويتبعوه ، وينصروه .

كما أخذ الله سبحانه وتعالى عليهم أيضاً أن يأخذوا هذا العهدَ على جميع أممهم ، إن بُعث صلى الله عليه وآله وسلَّم يجبُ على هذه الأمم أن تؤمنَ به وتتبعه وتنصره وتؤيده ، فإن لم تفعل فقد خالفت أمرَ الله عز وجل .

قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1] .

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ حيث يشمل كلَّ نبي وكلَّ رسول من البشر . ذلك لأن كل رسول هو نبيٌ ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً ، فلما قال تعالى : ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كان شاملاً للأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، والله تعالى أعلم .

ولهذا قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله تعالى عنهم ، وقتادة والسُّديُّ ـ وقريب منه قول الحسن ، وطاووس ـ كما ذكر ذلك الطبريُّ وابنُ كثير وغيرُهما من أهل التفسير : ما بعث اللهُ نبيّاً من الأنبياء ـ من لدن نوح ـ إلا أَخذ ميثاقَه ، ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولينصرنه إن خرج وهم أحياء .

قال الإمام السبكيُّ رحمه الله تعالى في شرحه لهذه الآية الشريفة[2] : قول المفسرين هنا : إن الرسول هو نبيُّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه ما

---

(١) سورة آل عمران (٨١).

(٢) فتاوى السبكي (١ : ٣٨ ـ ٤٠) وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية (١ : ٦٧) مختصراً .

من نبيٍّ إلّا أُمر أنه : إن بُعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم في زمانه ليُؤمننَّ به ولينصرنَّه ، ويوصي أمته بذلك .

وفي ذلك من التنويه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى ، وفيه مع ذلك : أنه على تقدير مجيئه في زمانهم ؛ يكون مرسَلاً إليهم ، فتكون نبوَّتُه ورسالتُه عامةً لجميع الخلق ، من زمن آدم إلى يوم القيامة ، ويكون الأنبياءُ وأُممُهُم كلهم من أمته ، ويكون قولُه صلى الله عليه وآله وسلم : « ...وبُعثتُ إلى الناس كافَّةً »[1]. لا يختص به الناس في زمانه إلى يوم القيامة ، بل يتناول مَنْ قبلهم أيضاً ، ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كنتُ نبيّاً وآدمُ بين الروح والجسد »[2]... وأنه ـ تعالى ـ أعطاه النبوة من ذلك الوقت [أي قبل خلق آدم عليه السلام] ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء وعلى أممهم ؛ ليعلموا أنه المقدَّمُ عليهم ، وأنه نبيُّهم ورسولُهم .

وفي أخذ المواثيق ـ وهي في معنى الاستحلاف ، ولذلك دخلت لام القَسم في ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ ـ لطيفة أخرى ، وهي : كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ،...

ثم قال : فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من ربِّه سبحانه وتعالى ، فإذا عُرف ذلك ؛ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم هو نبيُّ الأنبياء ، ولهذا ظهر ذلك في الآخرة ؛ جميعُ الأنبياء تحت لوائه ، وفي الدنيا ؛ كذلك ليلة الإسراء صلّى بهم .

---

(١) جزء من حديث متفق عليه ، انظر : صحيح البخاري : كتاب التيمم : الباب الأول . وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٣) ، وسيأتي ذكره كاملاً بعد قليل .

(٢) سيأتي ذكرُه في الفقرة الثالثة ، لأنه ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ولو اتفق مجيئُه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ـ عليهم السلام ـ : وجب عليهم وعلى أممهم الإيمانُ به ونصرتُه ، وبذلك أخذ اللهُ تعالى الميثاقَ عليهم.اهـ.

ولهذا فما من نبيٍّ من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ؛ إلا عنده علمٌ به صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبمبعثه ، وزمانه ، ومهاجَرِه ، وعلاماته وأوصافه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى في الفقرة التالية .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني عند الله لخاتَمُ النَّبِيِّين ، وإنَّ آدمَ لمنجَدِلٌ في طينته . وسأخبرُكم بأول أمري : أنا دعوةُ إبراهيم ، وبشارةُ عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني ، وقد خرج منها نورٌ ساطعٌ أضاءت منه قصور الشام »[1].

فدعوةُ إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا ... ﴾[2].

وبشارةُ عيسى عليه السلام : ﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ... ﴾[3]. صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وقد اتضح أخذُ العهد له صلى الله عليه وآله وسلَّم على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين عليهم السلام بأمور كثيرة ، يهمني منها :

* إمامتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم بهم في بيت المقدس .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه ، وسيأتي بعد قليل ذكر مواضع وجوده فيها : انظر تخريجه عند رقم (٣).

(٢) سورة البقرة (١٢٩).

(٣) سورة الصف (٦).

وآله وسلَّم : « ... ولقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء ،... فحانت الصلاة فأممتهم ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ثم دخلت بيت المقدس ، فجُمع لي الأنبياءُ عليهم السلام ، فقدَّمني جبريلُ حتى أممتُهم... ». الحديث بطوله ، رواه النسائي والطبري[2].

* ومنها : قولهم له عليه وعليهم الصلاة والسلام يوم المعراج عندما مرَّ بهم : « مرحباً بالنبيِّ الصالحِ والأخِ الصالحِ » إلا ما كان من آدم وإبراهيم عليهما السلام حيث قالا : « مرحباً بالنبيِّ الصالح ، والابن الصالح ،... ». كما في حديثي مالك بنِ صعصعة وأبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنهما ، وغيرهما[3].

وهذا اعتراف منهم بنبوته ورسالته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم . وهناك أمور أخرى كثيرة .

٢ ـ كان عند أهل الكتاب علم تام به صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد كان عند أهل الكتاب علمٌ تامٌّ به صلى الله عليه وآله وسلَّم وبمبعثه ،

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام ، والمسيح الدجال ، رقم (٢٧٨).

(٢) سنن النسائي : كتاب الصلاة : باب فرض الصلاة (١ : ٢٢١ ـ ٢٢٢) وتهذيب الآثار (١ : ٤٥٢ ـ ٤٥٣) وتفسير الطبري (١٧ : ٣٣٣) وَ (١٧ : ٣٣١) لحديث مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه ، وقد توسعت في بيان طرق الحديث في (الآيات البينات بما في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات).

(٣) انظر : صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ ، وكتاب الصلاة : باب كيف فرضت الصلاة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٢٦٣ ـ ٢٦٤).

ومكان بِعثته ، ومهاجَرِه ، كما ورد وصفُ أُمتهِ صلى الله عليه وآله وسلَّم أيضاً في كتبهم ، حتى لا تكون لهم حجةٌ أثناء إنكارهم .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ....﴾[1] .

وقال جل شأنه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...﴾[2] .

وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] . في آيات كثيرة ذكرتها في (فضائل النبيِّ الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم) .

وعن عبد الله بن عَمْرِو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ـ حينما سُئل عن وصفِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ وحرزاً للأُمِّيِّين ، فأنت عبدي ورسولي ، سمَّيتُك المتوكِّل ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يدفعُ السيئةَ بالسيِّئةِ ، ولكن يعفو ويغفرُ ، ولن يقبضَه اللهُ حتى يقيم به الملَّةَ العوجاءَ ، بأن يقولوا : لا إله إلا اللهُ ، فيفتحُ به أعيناً عمياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلفاً ،... الحديث ، رواه

---

(١) سورة البقرة (٨٩).

(٢) سورة الأعراف (١٥٧).

(٣) سورة البقرة (١٤٦).

البخاري[1].

وهذا سلمانُ الفارسيُّ رضي الله تعالى عنه يذكر ما أوصاه به صاحبُ عموريةَ ، بقوله : « ... أيْ بُنَيَّ ؛ والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحدٌ من الناس ؛ آمرك أن تأتيَه ، ولكنه قد أظلَّكَ زمان نبيٍّ ؛ هو مبعوثٌ بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجَرُه إلى أرضٍ بين حرَّتين ، بينهما نخلٌ ، به علامات لا تخفى : يأكل الهديةَ ، ولا يأكلُ الصدقةَ ، بين كتفيه خاتمُ النُّبُوَّة ، فإن استطعتَ أن تلحقَ بتلك البلاد فافعل ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن إسحاق وابن سعد وابن أبي شيبة وابن حبان والطبراني في الكبير والبزار وأبو نعيم والبيهقي بأسانيد صحيحة ، وغيرهم[2].

وقوله : « بين حرَّتين » واحدتها حَرَّة : وهي أرض ذات حجارة سوداء .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب كراهية السخب في الأسواق ، وكتاب التفسير : تفسير سورة الفتح .

(٢) السير والمغازي (٨٧ ـ ٩١) والطبقات الكبرى (٤ : ٧٥ ـ ٨٠) والسيرة لابن هشام بشرح الروض (١ : ٢٤٧ ـ ٢٥٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٣٢١ ـ ٣٢٤) ومسند أحمد (٥ : ٤٣٨ ، ٤٤١ ـ ٤٤٤) بأسانيد ، والشمائل للترمذي (٩١ ـ ١٠٠) والمعجم الكبير (٦ : ٢٧٢ ـ ٢٧٧ رقم٦٠٦٥) وكشف الأستار (٣ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩) وتاريخ بغداد (١ : ١٦٤ ـ ١٦٩) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٣٩ ـ ٣٤٧) وحلية الأولياء (١ : ١٩٠ ـ ١٩٣ بنحوه) وصحيح ابن حبان (٩: ١٢٧ـ ١٢٨) والسيرة النبوية له (٢٤١ـ٢٤٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٨٢ ـ ١٠٠) وطبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ (١ : ٥١ ـ ٥٤، ٢٠٩ ـ ٢١٧) وغيرها ، وسيأتي ذكره عند رقم (٤٦) وفيه زيادة تخريج ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ : ٣٣٦) : إسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالهما رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق ، وقد صرح بالسماع ، ورجال الرواية الثانية : انفرد بها أحمد ، ورجالها رجال الصحيح غير عمرو بن أبي قرة الكندي ، وهو ثقة .

والمدينة بين حرَّتين : شرقية وغربية .

والأحاديث فيما نقل عن أهل الكتاب في ذلك كثيرة[1].

٣ ـ كان صلى الله عليه وآله وسلَّم نبيّاً وآدم عليه السلام مُنْجَدِلٌ في طينته[2] :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه كان نبياً وآدم عليه السلام مُنْجَدِلٌ في طينته .

فعن العِرْباض بن سارِيةَ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني عند الله لخاتَمُ النَّبِيّين ، وإن آدمَ لَـمُنْجَدلٌ في طينته ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد والبخاري في تاريخه ، والحاكم وابن حبان وصححاه وأقره الذهبي، ورواه البزار والطبراني وابن سعد والبيهقي ، في آخرين[3].

وعن مَيْسرةَ الفَجْرِ رضي الله تعالى عنه قال : قلتُ : يا رسول الله ، متى

---

(١) ذكرت كثيراً من ذلك في كتابي « سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ». كما ذكرتُ جملةً صالحةً منها في أوائل (أُمِّيَّة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم) وفي (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) فانظرها .

(٢) قوله : « منجدل في طينته » أي ملقى على الجدالة ، وهي الأرض (النهاية ١ : ٢٤٨).

(٣) مسند أحمد (٤ : ١٢٧ ـ ١٢٨) والتاريخ الكبير (٦ : ٦٨ ـ ٦٩) والطبقات الكبرى (١ : ١٤٨ ـ ١٤٩) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٣٤٥) والمعجم الكبير (١٨ : ٢٥٢ ـ ٢٥٣ من طرق) والشريعة (٤٢١) وحلية الأولياء (٦: ٨٩ ـ ٩٠) ودلائل النبوة له (١ : ٥٣ ـ ٥٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٠٦) وموارد الظمآن ، رقم (٢٠٩٣) والمستدرك (٢: ٤١٨، ٦٠٠) وكشف الأستار (٣ : ١١٢ ـ ١١٣) وقال : لا نعلم يُروى بإسناد أحسن من هذا ،... ، ودلائل النبوة للبيهقي (١: ٨٠، ٨٣)(٢: ١٣٠) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٢٣) ورواه آخرون مختصراً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور للطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه .

كنتَ نبياً ؟ - وفي لفظ : متى كُتبتَ؟ - قال : « وآدم بين الروح والجسد ». رواه أحمد ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وغيرهما[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قالوا : يا رسول الله ؛ متى وَجَبَتْ لك النبوةُ ؟ قال : « وآدمُ بين الروح والجسدِ ». رواه الترمذي والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، ورواه آخرون[2].

وعن عبد الله بن شَقيقٍ ، عن رجل قال : قلتُ : يا رسول الله ؛ متى جُعلتَ نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد ». رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن سعد وابن أبي عاصم والطحاوي ، بإسناد صحيح[3].

وهناك روايات وأحاديث أخرى من غير طريق هؤلاء أيضاً .

---

(١) مسند أحمد (٥: ٥٩) والسنة (١: ١٧٨) والتاريخ الكبير (٧ :٣٧٤) والشريعة (٧ :٦٠) وشرح مشكل الآثار (١٥: ٢٣١ -٢٣٢من طبعة الشيخ شعيب لسقوطه من الطبعة القديمة) ومعجم الصحابة لابن قانع (٣ : ١٢٩ - ١٣٠ ، ١٣٠) والمعجم الكبير (٢٠ : ٣٥٣) وحلية الأولياء (٩ : ٥٣) والمستدرك (٢ : ٦٠٧ - ٦٠٩) ودلائل النبوة للبيهقي (١: ٨٤ - ٨٥) (٢ : ١٢٩) وقال الهيثمي في المجمع (٨ : ٢٢٣) : رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح . وانظر : الإصابة (٦ : ٢٣٩ - ٢٤٠).

(٢) سنن الترمذي :كتاب المناقب : باب في فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رقم (٣٦٠٩) والشريعة (٤٢١) وأخبار أصبهان (٢ : ٢٢٦) ودلائل النبوة له (١: ٥٢ -٥٣) والمستدرك (٢ : ٦٠٩) ودلائل النبوة وللبيهقي (٢ : ١٣٠).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٢٩٢) والطبقات الكبرى (١: ١٤٨) (٧ : ٥٩) والسنة (١ : ١٧٨) والآحاد والمثاني (٥ : ٣٤٧) ومسند أحمد (٤ : ٦٦) و(٥ : ٣٧٩) وشرح مشكل الآثار (١٥ : ٢٣١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ : ٢٢٣) : رجاله رجال الصحيح . وقد جاء عند ابن سعد - في روايتين - والطحاوي تسميته : ابن أبي الجدعاء رضي الله تعالى عنه .

وقوله (عن رجل) : أي عن رجل من الصحابة ، ولا تضر الجهالة بالصحابي ، كما هو معروف في كتب الحديث وعند أهل العلم ، والله تعالى أعلم .

٤ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أول المسلمين :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن نبيِّه الكريم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم : أنه أولُ المسلمين ، كما أخبرنا سبحانه وتعالى أنه أمره أنْ يكونَ كذلك .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] .

وعن عَليٍّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا استفتح الصلاةَ كَبَّرَ ، ثم قال : « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ للذي فَطَرَ السمواتِ والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين . إنَّ صلاتي ونُسكي ومَحيايَ ومماتي لله ربِّ العالمين ، لا شريكَ له ، وبذلك أمرت ، وأنا أولُ المسلمين ،... » . رواه مسلم[3] .

٥ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم خاتم النَّبِيِّين :

لقد ختم اللهُ سبحانه وتعالى بنبيِّه الكريم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة الأنعام (١٤).

(٢) سورة الأنعام (١٦٢ ـ ١٦٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم (٢٠٢).

تنبيه : نحن نقول في صلاتنا : « وبذلك أمرت وأنا من المسلمين » . كما هي الرواية الثانية عند مسلم ـ بنفس الباب ـ رقم (٢٠١) وهي عند أصحاب السنن أيضاً ، والله تعالى أعلم .

وسلَّم الأنبياءَ والرسل الكرام عليهم السلام ، كما ختم بدينِه ـ الإسلام ـ الديانات السماوية السابقة ، فكما لا دين بعد دينه ، كذلك لا نبي بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

لقد وصف الله تعالى رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية الكريمة بثلاث صفات : كونه رسولاً، وكونه نبيّاً ، وكونه خاتم النَّبِّيِّين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وانظر نهاية البحث ففيه زيادة تعليق .

وعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ رضي الله تعالى عنه : « أنت مِنِّي بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبيَّ بعدي ». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسُهم الأنبياءُ : كلما هلك نبيٌّ خَلَفَهُ نبيٌّ ، وإنه لا نبيَّ بعدي ، وسيكون خلفاءُ فيكثرون » قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : « فُوا ببيعة الأول فالأولِ ، أعطوهم حقَّهم ، فإن الله سائلُهم عما استرعاهم ». متفق عليه[3].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

---

(١) سورة الأحزاب (٤٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة تبوك ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب ما ذكر عن بني إسرائيل . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ، رقم (٤٤).

« مثلي ومَثَلُ الأنبياء من قبلي ، كمَثَلِ رَجُلٍ بَنى بنياناً فأحسنه وأجمله ، إلا موضعَ لَبِنَةٍ من زاويةٍ من زواياه ، فجعل الناسُ يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هَلّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنة ؟ قال : فأنا اللَّبِنةُ ، وأنا خاتمُ النَّبيِّين ». متفق عليه[1].

وقد مر قبل قليل حديثُ العِرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه ، وفيه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني عند الله لخاتَمُ النبيِّين ، وإن آدمَ لمنجدل في طينته ». الحديث ، رواه أحمد والبخاري في التاريخ ، والحاكم وابن حبان وصححاه وأقرّه الذهبي ، والبزار والطبراني وابن سعد وغيرهم .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « مَثَلي ومَثَلُ الأنبياء كمَثَلِ رجلٍ بنَى داراً... ». الحديث بطوله ، وفيه : « فأنا موضعُ اللبنة ، جئتُ فختمتُ الأنبياء ». عليهم السلام . رواه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ ،... وخُتِم بي النَّبيّون ». الحديث ، بطوله ، رواه مسلم[3]. وسيأتي ذكره كاملاً إن شاء الله تعالى عند رقم (١٥).

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة ، فرفعت إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ الحديث بطوله ،... في قصة أهل العَرْض يوم القيامة ، وفَزَعِ الناسِ إلى الأنبياءِ عليهم السلام ـ وفيه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب ذكر كونه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين ، رقم (٢٠ ـ ٢٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، رقم (٢٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٥).

قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سَيِّدُ الناسِ يومَ القيامة ،... ». الحديث ، وفيه : « فيأتوني فيقولون : يا محمد ؛ أنتَ رسولُ الله ، وخاتَمُ الأنبياء ، وقد غُفِر لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِك وما تأخَّر ، اشفع لنا إلى ربك ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وقوله في الآية الكريمة وفي الحديث الشريف : ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ شامل لكل نبيٍّ ورسول ، باعتبار أن كلَّ رسول من البشر هو في الأصل نبيٌّ ، فإذا ختم اللهُ سبحانه وتعالى برسوله وصفيِّه الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم النبوة فقال : ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كان خاتماً للرسل أيضاً . لأنه لو قال : (خاتم الرسل) لاحتمل وجود نبيٍّ بعده ، فلما ختم به سبحانه وتعالى النبوةَ كان قد ختم به الرسالةَ من باب أولى . لذا لا يتصوّر وجود نبي ولا رسول بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا كان هذا اللفظ أبلغ مما لو قال : (خاتم المرسلين)، والله تعالى أعلم .

٦ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم نبيُّ الإسلام :

لقد اختار اللهُ سبحانه وتعالى بِمنِّه وفضله وكرمه نبيَّه الكريم سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم لأن يكون نبيَّ الإسلام ، ورسولَ الإسلام ، الدين الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لنفسه ، ولم يقبلْ من أحد غيرَه بعد بعثة نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، والذي تمنَّى الأنبياءُ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام أن يموتوا عليه ، ودعَوْا إليه ، وكان مدعاةَ فخر واعتزاز : أن يكون رسولُه الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم نبيَّ هذا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : تفسير سورة الإسراء : باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧).

الدّين ، فجعله خيرَ رسلِه ، وسَمَّى أتباعه بالمسلمين .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[١] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾[٣] .

والذي سماهم المسلمين هو اللهُ عز وجل ، وليس إبراهيم عليه السلام - كما يظنه بعضُ أهل العلم . وقد نبّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن الذي سماهم المسلمين إنما هو الله عز وجل .

فعن الحارث الأشعريِّ رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...وأنا آمركم بخمسٍ ، اللهُ أمرني بهن : بالجماعة ، والسمعِ ، والطاعةِ ، والهجرةِ ، والجهادِ في سبيل الله ، فإنه مَنْ خرج من الجماعة قيدَ شبرٍ فقد خلعَ رِبقة الإسلام من عنقه ، إلّا أن يرجع ، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثاءِ جهنم » .

قالوا : يا رسول الله ؛ وإن صامَ ، وإن صلى ؟ قال : « وإن صامَ ، وإن صلى ، وزعم أنه مسلمٌ . فادعوا المسلمين بأسمائهم ، بما سمَّاهم الله عز وجل : المسلمين ، المؤمنين ، عبادَ الله » . رواه أحمد وعبد الرزاق والطيالسي والبخاري

---

(١) سورة آل عمران (١٩).

(٢) سورة آل عمران (٨٥).

(٣) سورة الحج (٧٨).

في تاريخه ، والنسائي ، وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم وابن حبان وأقره الذهبي ، والطبراني وأبو يعلى وابن منده ، وغيرهم[1] وأسانيد الباقين صحيحة أيضاً .

فقد سمّاهم اللهُ سبحانه وتعالى ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم نبيُّ الإسلام ، ومن أراد اللهُ عز وجل هدايته ؛ هداه للإسلام ، ومن هداه الله سبحانه وتعالى للإسلام فهو على نورٍ من الله عز وجل .

قال جل شأنه : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[3] .

وسيأتي في الخصلة (٦٨) ما يتعلق بشأن أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

---

(١) مسند أحمد (٤: ٢٠٢،١٣٠) (٥ : ٣٤٤) ومصنف عبد الرزاق (١١: ٣٤٠-٣٤١) ومسند الطيالسي (١٥٩ - ١٦٠) ومنحة المعبود (٢ : ٥٣ - ٥٤) وسنن الترمذي : كتاب الأمثال : باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ، رقم (٢٨٦٣ - ٢٨٦٤) وتفسير النسائي (٢ : ٩٤) والسنن الكبرى له : كتاب السير : باب الوعيد لمن دعا بدعوة الجاهلية ، رقم (٨٨٦٦) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٦٤ - ٦٥) (٣ : ١٩٥ - ١٩٦) وصحيح ابن حبان (٨ : ٤٣ - ٤٤) وموارد الظمآن (٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٣٧٢ - ٣٧٣) والمستدرك (١ : ١١٧ - ١١٨ ، ٢٣٦ ، ٤٢١ - ٤٢٢) والتمهيد (٢١ : ٢٧٩ - ٢٨٠) والمعجم الكبير (٣ : ٣٢٣ - ٣٢٨ من طرق) ومسند الشاميين (٤ : ١١٢- ١١٣) والإيمان لابن منده (٢ : ٣٧٥ - ٣٧٧) ومسند أبي يعلى (٣ : ١٤٠ - ١٤٢) وشرح السنة (١٠ : ٤٩ - ٥٠) وشعب الإيمان (٦ : ٥٩ - ٦٠) وانظر تهذيب الكمال (٥ : ٢١٧ - ٢١٩) والترغيب والترهيب والدر المنثور - عند آية الحج - والفتح الكبير (١ : ٣٢٥ - ٣٢٦)وقد روى كثير من المصنفين أجزاء منه ، أو مختصراً .

(٢) سورة الأنعام (١٢٥).

(٣) سورة الزمر (٢٢).

٧ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولى بالأنبياء عليهم السلام من أممهم :

عندما ادعى كلٌّ من اليهود والنصارى أنَّ إبراهيم عليه السلام منهم ، نفى الله سبحانه وتعالى هذا الادعاءَ ، وبيَّن جل شأنه أنه ليس كذلك ، وإنما أولى الناسِ به : هذا النبيُّ الكريم سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن اتَّبعه من المؤمنين ، لأنهم التَقوا وإياه في المنهج والخط المستقيم .

أما اليهود والنصارى ، فقد غيَّروا وبدَّلوا وكفروا ،... ثم هم بعده ، فكيف يزعمون أنه عليه السلام منهم ، لذا أعلن الله سبحانه وتعالى براءة إبراهيم عليه السلام منهم .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ * هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ * مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(١) .

وقال الله جلَّ شأنه : ﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٢) .

والذي هو أولى الناس بإبراهيمَ عليه السلام ـ مع أنه هو أبو كلِّ الأنبياء عليهم السلام بعده ـ هو أولى الناس بالرسل من ذريته أيضاً .

ولما كان موسى وعيسى عليهما السلام من أولي العزم ، وبعد إبراهيم عليه السلام ، وهما أشهرُ أنبياءِ بني إسرائيل ، لذا فقد بَيَّنَ رسولُ الله صلى

(١) سورة آل عمران (٦٥ ـ ٦٧).

(٢) سورة آل عمران (٦٨).

الله عليه وآله وسلَّم أنه هو أولى بهما مِنْ أتباعهما ، بل جعل أُمَّته صلى الله عليه وآله وسلَّم أولى بهما من أتباعهما أيضاً ، وأنهما عليهما السلام يبرءان إلى الله سبحانه وتعالى مما ادعاه أتباعُهما ، لهما أو عليهما ، وهما منه براء .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ، فوجد اليهودَ يصومون يومَ عاشوراءَ ، فسُئِلوا عن ذلك ، فقالوا : هذا اليومُ الذي أظهر اللهُ فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون ، فنحن نصومُه تعظيماً له . فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نحن أولى بموسى منكم ».

وفي لفظ : « نحن أحقُّ وأولى بموسى منكم ».

وفي لفظ : « أنا أولى بموسى منهم ». متفق عليه[1].

وفي لفظ للبخاري[2] : « أنتم أحق بموسى منهم ».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أولى بعيسى ابنِ مريمَ في الدنيا والآخرة ... ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[3].

وكيف لا ، وقد حرَّف اليهودُ والنصارى كتابيهما ، وادَّعَوا عليهما ولهما ـ عليهما السلام ـ ما لم يقولاه هما ، وخالفوا أوامرَهما ، والتي فيها الإيمانُ بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، واتِّباعُه ونُصرتُه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) كتاب البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم حين قدم المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب صوم يوم عاشوراء ، رقم (١٢٧ـ١٢٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : تفسير سورة يونس : باب ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾.

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾. وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضائل عيسى ابن مريم عليه السلام ، رقم (١٤٣).

٨ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم ، وتحريم نكاحهن رضي الله تعالى عنهن من بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم :

وكما جعل الله سبحانه وتعالى نبيَّه وصفيَّه سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم هو أولى بالأنبياء السابقين عليهم السلام من أممهم ، فقد جعله سبحانه وتعالى أيضاً هو أولى بالمؤمنين ، لكن حتى مِنْ أنفُسِهِم بأنفسهم ، كما جعل أزواجه صلى الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله تعالى عنهن أمهات المؤمنين ، لذا حرَّم اللهُ سبحانه وتعالى نكاحَهن من بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجعل الله تعالى ذلك أمراً عظيماً عنده ، ولأنهن زوجاتُه صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة .

فقال عز وجل : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ﴾[1] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[2] .

لقد جعل الله تعالى إيذاءَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كنكاح أزواجه رضي الله تعالى عنهن من بعده ، كلاهما أمر عظيم عنده تعالى ، لأن من تزوّج امرأةً ؛ فإنه ـ غالباً ـ سيكره من كان زوجاً لها قبله ، وفي هذا خطرٌ عظيمٌ على من يفعل ذلك، إضافة إلى أنهن زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة ، فكيف يتزوّج المسلم زوجة نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهي زوجته في الآخرة ؟؟؟

---

(١) سورة الأحزاب (٦).

(٢) سورة الأحزاب (٥٣).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ». متفق عليه[1].

وفي رواية لهما[2] عنه رضي الله عنه ـ واللفظ للبخاري ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ »[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا خطب احمرَّتْ عيناهُ ، وعلا صوتُه ، واشتد غضبُه ، حتى كأنه منذرُ جيشٍ ،... الحديث بطوله ، وفيه ـ ثم يقول : « أنا أولى بكل مؤمنٍ من نفسِهِ ». رواه مسلم[4] .

ومن ولايته صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمؤمنين : حرصُه عليهم ، وتأثُّره عليهم ، ورأفتُه ورحمتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم بهم . وقد توسّعت في بيان ذلك في (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) فانظره .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[5].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الكفالة : باب الدين ، ورواه في غيره . وصحيح مسلم : كتاب الفرائض : باب من ترك مالاً فلورثته ، رقم (١٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاستقراض : باب : الصلاة على من ترك دَيْناً . وصحيح مسلم ـ بأخصر ـ كتاب الفرائض : باب من ترك مالاً فلورثته ، رقم (١٥).

(٣) سورة الأحزاب (٦).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم (٤٣).

(٥) سورة التوبة (١٢٨).

٩ ـ كونه صلى الله عليه وآله وسلَّم مِنَّةً يمتنُّ اللهُ تعالى بها على عباده :

لقد امتنَّ الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما امتنَّ الله سبحانه وتعالى بهدايتهم إليه ، وكان ذلك عن طريقه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الداعي إليه ، ولم يذكر اللهُ سبحانه وتعالى ذلك لأحد من الأنبياء السابقين عليهم السلام .

ومن المعلوم أن نعم الله تعالى على عباده كثيرةٌ جدّاً ، لا تُحصى ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾[1]. ومع هذا إنه تعالى لم يمتنَّ على المؤمنين إلّا بهاتين النعمتين ؛ نعمة هدايتهم للإيمان ، ونعمة بعثة هذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الله عز وجل : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[3].

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[4].

---

(١) سورة إبراهيم (٣٤) وسورة النحل (١٨).

(٢) سورة الحجرات (١٧).

(٣) سورة آل عمران (١٦٤).

(٤) سورة الجمعة (٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خرج على حلقةٍ من أصحابه ، فقال : « ما أجلسكم؟ » قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمدُه على ما هدانا لدينه ومَنَّ علينا بك ،... الحديث ، وفي آخره قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة ». رواه الطيالسي وأحمد والنسائي ـ واللفظ لهم ـ ورواه مسلم وغيره بلفظ (ومنّ علينا به)[1].

فهاتان المنَّتان لا تنفصلان ولا تنفكّان ، لأنهما تمثلان بطاقة الدخول في دين الله سبحانه وتعالى ، فالأُولى ـ وهي منَّةُ الإيمان به سبحانه وتعالى (لا إله إلا الله) والثانية ـ المِنَّةُ بنبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم (محمد رسول الله) وتبقيان مستمرتين مع المؤمن المسلم ، حتى إذا تلفظ بهما في آخر لحظة من حياته : كانتا بطاقةَ دخوله الجنة أيضاً ، بإذن الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

لقد عرف الصحابةُ الكرام رضي الله تعالى عنهم تلك المنَّةَ ، وقَدَروها حقَّ قدرها ، حتى كانوا يقولون له صلى الله عليه وآله وسلَّم في كل ما يقول لهم ـ بعد إعطائه المؤلفة قلوبهم من الغنائم بعد غزوة حُنين ـ : (الله ورسوله أَمَن) كما في حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، رقم (٤٠) ومنحة المعبود (١ : ٢٤٩) ومسند أحمد (٤ : ٩٢) وسنن النسائي : كتاب أدب القاضي : باب كيف يستحلف الحاكم (٨ : ٢٤٩) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات باب : ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله عز وجل ما لهم من الفضل ، رقم (٣٣٧٩). والمعجم الكبير (١٩ : ٣١١) وإتحاف المهرة (١٣ : ٣٥٧) وهو عند ابن المبارك وابن أبي شيبة وأبي يعلى وابن حبان ـ كما عند مسلم .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح =

وكذا جاء من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، عند أحمد والنسائي في الكبرى بسند صحيح ، وصححه الحافظ في الفتح أيضاً ـ وهو في الصحيحين سوى هذه اللفظة .

وكذا جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عند أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي ، وسنده صحيح هو الآخر[1]، والله تعالى أعلم .

١٠ ـ كونه صلى الله عليه وآله وسلَّم خِيرةَ الخلقِ وسيدَ وَلدِ آدم عليه السلام :

لقد اختار الله سبحانه وتعالى نبيَّه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم من بين الخَلْقِ بالمنزلة الرفيعة ، والمكانة العالية ، واصطفاه من البشر كلهم ، ليكون صفوةَ خلقه ، وأحبَّهم إليه سبحانه وتعالى ، ونبيَّه لدينه الإسلام ، ورسولَه إلى الأنام ، وإمامَ الأنبياء عليهم السلام ، وسيدَ الخلق ، وخيرَ الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ،...إلخ، وذلك ـ كله ـ فضلُ الله تعالى يُؤتيه من يشاء .

فعن واثلةَ بن الأسقَعِ رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن الله اصطفى كِنانةَ من ولد إسماعيلَ ،

= مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، رقم (١٣٩).

(١) مسند أحمد (٣ : ٧٦ ـ ٧٧ ، ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ٢٥٣) وفضائل الصحابة له (٢ : ٨٠٠) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٩١ ـ ٩٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٥٢٨ ـ ٥٢٩) ودلائل النبوة (٥ : ١٧٦ ـ ١٧٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٢٩ ـ ٣٠) وفتح الباري (٨ : ٥٠ ـ ٥١) وانظر مجمع الزوائد (١٠ : ٣٠ ـ ٣١) لحديث السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه أيضاً . وانظر صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وغيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : الباب السابق أيضاً .

واصطفى قريشاً من كنانةَ ، واصطفى من قريش بني هاشمٍ ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله عز وجل اصطفى من وَلدِ إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولدِ إسماعيل بني كِنانةَ ، واصطفى من كِنانةَ قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه أحمد ، والترمذي وصححه .

وزاد ابن حبان بإسناد صحيح[2] : « فأنا سيدُ ولد آدم ولا فخر ، وأولُ من تنشق عنه الأرضُ ، وأول شافِعٍ ، وأولُ مشفَّعٍ ».

وعن المطلب بن أبي وداعة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ... أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلقَ ، فجعلني في خيرهم فرقةً ، ثم جعلهم فرقتين ، فجعلني في خيرهم فرقةً ، ثم جعلهم قبائلَ ، فجعلني في خيرهم قبيلةً ، ثم جعلهم بيوتاً ، فجعلني في خيرهم بيتاً ، وخيرهم نفساً ». رواه الفسوي والترمذي وحسنه[3].

وروى أحمدُ والفسوي والترمذيُّ وحسنه ، وأبو نعيم والبيهقي نحوَه عن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه[4] أيضاً .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... رقم (١).

(٢) مسند أحمد (٤ : ١٠٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٣٦٠٥ـ٣٦٠٦) وصحيح ابن حبان (٨ : ٤٧ ، ١٣٤).

(٣) سنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٦٠٨) والمعرفة والتاريخ (١ : ٤٩٩) ودلائل النبوة للبيهقي (١ : ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٤) مسند أحمد (١ : ٢١٠) وانظر نسخة أحمد شاكر حيث صحح السند . والمعرفة والتاريخ =

وروى أحمد وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم والطبراني نحوَه عن عبد المطلب بن ربيعةَ بنِ الحارث رضي الله تعالى عنه، برجال الصحيح[1].

وأما كونه صلى الله عليه وآله وسلَّم سيدَ الأولين والآخرين؛ فأحاديثه كثيرة، أكتفي بالتنبيه إليها، إذ سأذكر ذلك في المبحث الثاني، إن شاء الله تعالى.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «أنا سيدُ ولدِ أدمَ،...». الحديث بطوله، رواه مسلم[2].

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سيدُ ولَد آدم يومَ القيامة ولا فخر،...» والحديث بطوله، رواه أحمد، والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة[3].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ يوم، فصلى الغداةَ، ثم جلس،... الحديث في قصة العرض أثناء الحشر يوم القيامة، وانتقال الناس من نبيٍّ إلى نبيٍّ حتى يشفعوا

= (١: ٤٩٧) وسنن الترمذي: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٣٦٠٧) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١: ٦٦) وللبيهقي (١: ١٦٧ ـ ١٦٨).

(١) مسند أحمد (٤: ١٦٥ ـ ١٦٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١١: ٤٣٠ ـ ٤٣١) والسنة (٢: ٦٣٢ ـ ٦٣٣) والآحاد والمثاني (١: ٣١٨) والمعجم الكبير (٢٠: ٢٨٦ ـ ٢٨٧) ومجمع الزوائد (٨: ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الخلائق، رقم (٣).

(٣) مسند أحمد (٣: ٢) وسنن الترمذي: كتاب التفسير: باب ومن سورة بني إسرائيل، رقم (٣١٤٨) وكتاب المناقب: الباب السابق، رقم (٣٦١٥) وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب ذكر الشفاعة، رقم (٤٣٠٨) وكنز العمال (١٤: ٣٩٤).

لهم ـ حتى يأتوا عيسى عليه السلام ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : فيقول عيسى عليه السلام : « ليس ذاكم عندي ، ولكن انطلقوا إلى سيدِ ولدِ آدمَ ، فإنه أولُ من تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة ، انطلقوا إلى محمدٍ ؛ فيشفع لكم إلى ربكم... ». الحديث بطوله ، وفي آخره ، يقول صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أي ربِّ ؛ خلقتني سيدَ ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشقُّ عنه الأرضُ يوم القيامة ولا فخر ». الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن حبان وأبو عوانة وابن خزيمة وابن أبي عاصم وأبو يعلى والمروزي والبزار ، والدولابي في الكنى ورجاله ثقات[1].

وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى ـ كما نقله ابن حبان في نهاية الحديث ـ : هذا من أشرف الحديث.اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامة ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

فهو صلى الله عليه وآله وسلَّم سيدُ ولدِ آدمَ ، وسيدُ الناسِ ، والمصطفى من الخلق ، يحمدُه الأوَّلون والآخِرون ، يكون أدمُ فمن دونه ـ من الرسل والأنبياء عليهم السلام ، والذرية ـ تحت لوائه يوم القيامة ولا فخر ،... صلى

---

(١) مسند أحمد (١ : ٤ ـ ٥) صحيح ابن حبان (٨ : ١٣٤ ـ ١٣٦) والموارد ، رقم (٢٥٨٩) والسنة (٢ : ٣٤٩ ، ٣٨١ ـ ٣٨٢) ومسند أبي عوانة (١ : ١٧٥ ـ ١٧٨) ومسند أبي يعلى (١ : ٥٦ ـ ٥٩) والبحر الزخار (١ : ١٤٩ ـ ١٥٠) ومسند أبي بكر للمروزي (٤٨ ـ ٥٣) وكشف الأستار (٤ : ١٦٨ ـ ١٧٠) والكنى للدولابي (١ : ١٥٥ ـ ١٥٦) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٤ ـ ٣٧٥) وكتاب التوحيد (٢ : ٧٣٥ ـ ٧٣٧) ورجاله ثقات .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧ ـ ٣٢٨).

الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ.

وسيأتي مزيد بيان ، إن شاء الله تعالى ، في الفقرة (٦٢).

١١ ـ طاعته ومبايعتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم هي طاعة الله سبحانه وتعالى ومبايعته :

لقد جعل اللهُ سبحانه وتعالى طاعةَ نبيِّه وصفيِّه الكريم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم هي طاعة له عز وجل ـ لأن طاعة الرسول من مُرسِلِه ـ كما جعل تعالى مبايعةَ نبيِّه وصفيِّه الكريم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم هي مبايعة لله سبحانه وتعالى ، كما قرن اللهُ سبحانه وتعالى طاعةَ نبيِّه وصفيِّه الكريم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم بطاعته سبحانه وتعالى ، كما جعل اتِّباعَ نبيِّه وصفيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم موجباً لمحبته سبحانه وتعالى ، ولم نعرف ذلك لأحد من الأنبياء السابقين من قبل عليه وعليهم الصلاة والسلام .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[1].

فقد عبَّر عن طاعةِ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمضارع : ﴿يُطِعِ ﴾ وهو الذي يقتضي الحال والمستقبل ، وعبَّر عن طاعتِه جل شأنه بالماضي ﴿أَطَاعَ ﴾ الذي يدل على الوقوع والتحقق ، فمن أطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حالاً فقد وقعت طاعتُه قبل ذلك طاعةً لله تعالى ، الذي أرسله ، وأمَرَ بطاعتِه ، لذا فمن أطاعه صلى الله عليه وآله وسلَّم كان

---

(١) سورة النساء (٨٠).

في الحقيقة مطيعاً لله عز وجل الذي أرسله ، والله تعالى أعلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى اللهَ ،... ». متفق عليه[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في قصة رؤية الملائكة ،... وفي آخره : « فمن أطاع محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم فقد أطاعَ اللهَ ، ومن عصى محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم فقد عصى اللهَ ، ومحمدٌ صلى الله عليه وآله وسلَّم فرق بين الناس ». رواه البخاري[3].

وقال الله سبحانه وتعالى أيضاً : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4].

فالذي يباشر المبايعةَ هو رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى

---

(١) انظر محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجهاد ـ الباب الثاني : الفصل الثاني ـ فقد توسعت في بيان طاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، رقم (٣٢ـ٣٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وقد ضبطت (فرق) بثلاث صيغ : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وبضمتين فوق القاف ، وبفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المفتوحة وفتح القاف ، وبفتح الفاء والراء والقاف .

(٤) سورة الفتح (١٠).

يقول : ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ويقول : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ مع أن المبايعَ هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي ذلك من الحكم والأسرار ،... والمكانة العالية للمصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ما لا يخفى على المؤمن العاقل ، صاحب القلب الواعي ، والفهم الثاقب ، والعقل النيِّر ، نسأل الله سبحانه وتعالى مزيد فضله ورضاه .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وقال الله جل شأنه : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2].

وقال عز من قائل : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ...﴾[3].

ويلاحظ (واو) العطف ، حيث عطف الله تعالى لفظَ (الرسول) على لفظ الجلالة (الله) وقد ورد نحو ذلك في عدد من الأحاديث الصحيحة ، في الصحيحين وغيرهما . علماً بأن آيات الطاعة زادت على الثلاثين ، وقد جاءت على صيغ متعددة ، ذكرت ذلك في غير هذا الكتاب[4].

وقال الله سبحانه وتعالى عن اتِّباع نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنه موجبٌ لمحبة الله تعالى للمتَّبع : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

---

(١) سورة آل عمران (٣٢).

(٢) سورة آل عمران (١٣٢).

(٣) سورة النساء (١٤).

(٤) انظر (محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد) و (نشأة علوم الحديث) وغيرهما . حيث ذكرت الآيات في ذلك .

﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

كما ينظر (المغفرة) حيث جاءت ـ هنا ـ عامّة لكل الذنوب ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ بخلاف الأنبياء السابقين عليهم السلام ، حيث جاءت مقيدة بالتبعيض ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ وقد أوضحت ذلك في غير هذا الكتاب أيضاً .

فمُتَّبِعُ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مُحِبٌّ ومَحْبوبٌ ، فهو يحب اللهَ عز وجل ابتداء ، وبعد الاتِّباعِ يصير محبوباً لله تعالى ، والله تعالى أعلم .

فإذا كان اتباعه صلى الله عليه وآله وسلَّم يعطي مُتَّبِعَهُ محبةَ الله عز وجل ، فكيف هي محبة الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إذاً ؟...

لقد قفل اللهُ سبحانه وتعالى جميعَ الأبواب إلا بابَ اتباع النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فمن تبعه أحبَّه اللهُ سبحانه وتعالى ، وغفر له ذنوبه ، ورحمه سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

ولهذا لما نزلت هذه الآيةُ ، قال بعض الكفار : إن محمداً يريد أن نتخذه حناناً ، كما اتخذ النصارى عيسى حناناً[2]، فأنزل الله تعالى الآية التي بعدها : ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3].

١٢ ـ الإيمان به صلى الله عليه وآله وسلَّم مقرون بالإيمان بالله تعالى :

ومن علو مكانة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه عز وجل ، ورفعة قدره ، وعلو مقامه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... أن قَرَنَ

---

(١) سورة آل عمران (٣١).

(٢) الحنان ـ بالتخفيف ـ الرحمة والعطف ، والحنان : الرزق والبركة ، ويكون المعنى : يريد أن يُجعل مظنة من رحمة الله فيُتبرك به ويُحَبُّ ويُتمسَّح به ، وانظر النهاية (١ : ٤٥٢).

(٣) سورة آل عمران (٣٢).

اللهُ سبحانه وتعالى الإيمانَ برسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالإيمان به سبحانه وتعالى ، لذا لا يصح أيمانُ مَنْ لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وإن ادعى الإيمانَ بالله عز وجل ، بل لا بد من وجود الإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في وقت واحد ، ولم يذكر اللهُ سبحانه وتعالى في كتابه ذلك لأحدٍ من أنبيائه عليه وعليهم الصلاة والسلام .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾[1] .

وقال عز وجل أيضاً : ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[2] .

وقال الله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3] .

بل حصر الله سبحانه وتعالى الإيمان ـ الذي ينفع صاحبَه ـ بالإيمان به عز وجل وبرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يرتاب في ذلك به .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[4] .

وقد أمر الله عز وجل نبيَّه وصفيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يعلن لجميع الناس : أنه رسولُ الله إليهم جميعاً ، وأن عليهم جميعاً أن يؤمنوا به ويتبعوه .

---

(١) سورة النساء (١٣٦).

(٢) سورة الحديد (٧).

(٣) سورة التغابن (٧ ـ ٨).

(٤) سورة الحجرات (١٥).

فقال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

بل جعل الله سبحانه وتعالى غايةَ بعثة رسولِهِ وصفيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى يؤمن الناس ، لأنه هو المبلِّغُ عنه ، المبشرُ لعباده المتقين .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2].

وقال الله جل وعز : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ﴾[3].

في آيات كثيرة ، الحمد لله تعالى .

كما يلاحظ في جميع الآيات المذكورة : عطف لفظ (الرسول) على لفظ الجلالة (الله) في الإيمان ، وفي ذلك دلالة عالية على مكانة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عنده تعالى ، والله تعالى أعلم .

لهذا أَخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه أُمر أن يقاتِلَ الناسَ ؛ حتى يشهدوا : أن لا إله إلا الله ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم رسولُ الله . فمن فعل ذلك فقد عصم دمَه ومالَه وعرضَه .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى

---

(١) سورة الأعراف (١٥٨).

(٢) سورة الفتح (٨ ـ ٩).

(٣) سورة الصف (١٠ ـ ١١).

الله عليه وآله وسلَّم : « أُمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وعبَّر بالشهادة « حتى يشهدوا » لأن الشهادةَ بالتوحيد لله عز وجل ، وبالرسالة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم تنفي كلَّ ما يخالفها ويعارضها . ولهذا كانت الشهادتان أولَ ما يدعو إليه النبيُّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بعث معاذاً إلى اليمن فقال : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2]، والله تعالى أعلم .

١٣ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم رحمةٌ للعالمين :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى رسولَه وصفيَّه سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم رحمةً مهداةً للعالمين ـ مؤمنهم وكافرهم ـ كما جعله رؤوفاً رحيماً بأمته خاصة[3].

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[4].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ،... رقم (٣٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب وجوب الزكاة ـ وفي غيرهما ـ وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين ، رقم (٣٠).

(٣) انظر (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في مجلد كبير ، ومكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام .

(٤) سورة الأنبياء (١٠٧).

والعالَمون : السماوات والأرض وما بينهما ؛ من بحار وقفار ، وجبال ووديان ، ونبات وثمار ، وأنهار وأشجار ،... وما بين ذلك من الهواء والطير ، والحيوان والإنس والجان ، والجماد والسائل ،... والساكن والمتحرك ،... وما يحتوي عليه الجوُّ وباطنُ الأرض ،... وما نراه وما لا نراه ،...[1].

ويدل على هذا قولُ الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[2].

وقد كثر قوله تعالى : ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حيث بلغت في القرآن الكريم أكثر من (٤٠) أربعين مرة .

فالله تعالى ربُّ كلِّ هذه المخلوقات التي خلقها ، وجعل نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم رحمةً لها ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قيل : يا رسول الله ؛ ادع على المشركين ، قال : « إني لم أُبعث لعّاناً ، وإنما بُعثتُ رحمةً ». رواه مسلم[3].

وفي حديث سلمان رضي الله تعالى عنه ، قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...وإنما بعثني رحمةً للعالمين ». رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير برجال ثقات[4]. وأصل الحديث في الصحيحين .

---

(١) لقد توسعت في بيان هذه الرحمة في (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) ومكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام ، فانظرهما .

(٢) سورة الشعراء (١٦ ـ ٢٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن لعن الدواب ، رقم (٨٧).

(٤) مسند أحمد (٥ : ٤٣٧) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٤٦٥٩) والمعجم الكبير (٦ : ٣١٨ـ٣١٩).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا أيها الناس ؛ إنما أنا رحمةٌ مُهداةٌ ». رواه الحاكم وصححه على شرطهما وأقره الذهبي ، واللفظ له - والطبراني والبزار برجال الصحيح ، والشهاب والبيهقي في الدلائل وغيرهم[1].

وقد فسَّر ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما هذه الرحمةَ بقوله : من آمن بالله واليوم الآخر كُتب له الرحمةُ في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم عُوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف.اهـ من الطبري[2].

وإذا كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بُعث رحمةً للعالمين ، فهو نبيُّ الرحمة صلى الله عليه وآله وسلَّم إذاً .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يُسمي لنا نفسَه أسماءً ، فقال : « أنا محمدٌ ، وأحمد ، والمقفى ، والحاشِرُ ، ونبيُّ التوبةِ ، ونبيُّ الرحمةِ ». رواه مسلم[3].

وقد ظهرت هذه الرحمةُ من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله

---

(١) المستدرك (١ : ٣٥) ونسخة وكيع عن الأعمش ، رقم (٢٩) وكشف الأستار (٣ : ١١٤) والمعجم الصغير (١ : ١٦٨) والمعجم الأوسط (٣ : ٢٢٣) والمعجم لابن الأعرابي (٣ : ١١٣٦ـ ١١٣٧) ومسند الشهاب (٢ : ١٨٩ ـ١٩٠) والأمثال للرامهرمزي (٢٩) ودلائل النبوة (١ : ١٥٧ ـ١٥٨) ومجمع البحرين (٦ : ١٣٢) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٧).

(٢) لقد توسعت في بيان شمول رحمة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم للكفار في (رحمة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار) فانظره ، فهو واسع وشامل ، ولعله الفريد في ذلك ، والله تعالى أعلم .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب في أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (١٢٦).

وسلم بمظاهر مختلفة في الدنيا والآخرة، ابتداء من رحمته صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم، وانتهاء برحمته صلى الله عليه وآله وسلم بالمخلوقات الأخرى؛ كالحيوان والنبات والجماد، وكذا شمولها في الآخرة للكفار ـ بالشفاعة العظمى لبدء الحساب، وإراحتهم من هول الموقف وشدَّتِهِ ـ وأما بالنسبة لأمته فقد ظهرت بمظاهر كثيرة متعددة، وقد توسعت في بيان ذلك في (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) وكذا في (رحمة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار) فانظرهما.

وأما كونه صلى الله عليه وآله وسلم رحمةً للمؤمنين من هذه الأمة خاصة:

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقال الله جل شأنه: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

ومن رحمته صلى الله عليه وآله وسلَّم بأمته، ما قاله مالك بنُ الحُوَيْرِثِ رضي الله تعالى عنه: أتينا إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلةً، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم رحيماً رفيقاً، فلما ظنَّ أنّا قد اشتهينا أهلَنا ـ أو قد اشتقنا ـ سألَنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: «ارجعوا إلى أهليكم،...». الحديث بطوله،

---

(١) سورة التوبة (١٢٨).

(٢) سورة التوبة (٦١).

متفق عليه[1].

وهذا باب واسع يصعب حصره ، ويعسر استيعابه ، وما ذكرته كافٍ للتدليل ، ومن أراد الزيادة فلينظر في (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) وَ (رحمة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار) والله تعالى أعلم .

ومن مظاهر رحمته صلى الله عليه وآله وسلَّم بأمته اشتراطه على ربه عز وجل ؛ أن يجعل كلَّ دعوة دعا بها على أحد من أمته ـ وهو ليس لها بأهل ـ وكذا إذا سبَّ أحداً أو جلده أو آذاه ، وهو غيرُ أهل لذلك حقيقة ، أن يجعلها اللهُ سبحانه وتعالى له رحمة وزكاةً وصلاةً وقربةً يقربه الله سبحانه وتعالى بها إليه يوم القيامة .

قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم إنما أنا بشر ، وإني اشترطت على ربي عز وجل ».

وفي رواية : « اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تُخْلِفنِيه ، فإنما أنا بشر ؛ فأيّ المؤمنين آذيتُه ، شتمتُه ، لعنتُه ، جلدتُه ... » [زاد في رواية : « دعوتُ عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل »] فاجعلها له صلاةً وزكاةً [ورحمةً] وقربةً تُقرِّبه بها إليك يوم القيامة ». متفق عليه من حديث أبي هريرة ، ورواه مسلم من حديث السيدة عائشة وجابر وأنس رضي الله تعالى عنهم[2].

وزاد أبو داود وأحمد والطبراني في الكبير ـ برجال ثقات ـ من حديث

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب من أحق بالإمامة ، رقم (٢٩٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من آذيته فاجعلها زكاة ورحمة ». وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سبه أو دعا عليه ، رقم (٨٨ ـ ٩٥).

سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه : « وإنما بعثني رحمةً للعالمين »[1].

ومن مظهر رحمته سبحانه وتعالى بأمة الإسلام أن قَبض نبيَّها صلى الله عليه وآله وسلَّم قبلها ، ليكون لها فَرَطاً وسَلَفاً .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن الله عز وجل إذا أراد رحمةَ أُمَّةٍ من عباده ؛ قبض نبيَّها قبلها ، فجعله لها فَرَطاً[2]، وسَلَفاً بين يديها ، وإذا أراد هَلَكَةَ أُمَّةٍ ؛ عذَّبها ونبيُّها حيٌّ ، فأهلكها وهو ينظرُ ، فأَقرَّ عينَه بِهَلَكَتِها حين كذبوه ، وعَصَوا أمرَه ». رواه مسلم[3].

بل جعل الله سبحانه وتعالى حياة نبيِّه وصفيِّه وحبيبِه صلى الله عليه وآله وسلَّم كلها خيراً ورحمةً لأمته .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن لله ملائكةً سيّاحين في الأرض ، يبلِّغوني عن أمتي السلام ».

---

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة : باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٤٦٥٩) ومسند أحمد (٥ : ٤٣٧) والمعجم الكبير (٦ : ٣١٨ ـ ٣١٩) وقد سبق ذكره قبل قليل .

(٢) قوله : « فرطاً » الفَرَط بفتح الفاء والراء . من فرط يفرط فهو فارط . وفَرَط : إذا تقدَّم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ، ويهيء لهم الدِّلاء والأرشية.اهـ. من النهاية (٣ : ٤٣٤) فالمعنى : فقبضه ليكون متقدمهم إلى رحمة الله عز وجل ، وكما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا فرطكم على الحوض » أي متقدمكم إليه ، والله تعالى أعلم .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إذا أراد الله سبحانه وتعالى رحمةَ أمةٍ قبض نبيَّها قبلها ، رقم (٢٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « حياتي خيرٌ لكم ، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خيرٌ لكم ، تُعرض عليَّ أعمالُكم ، فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ اللهَ عليه ، وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم ». رواه البزار ، وعزاه الحافظ السيوطي للحارث أيضاً ، وقال الحافظ الهيثمي : رجال البزار رجالُ الصحيح ، وجوَّد الحافظُ العراقيُّ في طرح التثريب إسنادَه ، وصحَّحه السيوطيُّ والقسطلّانيُّ والخفاجيُّ وملا علي القاري .

وقد روى القسمَ الثاني أيضاً : القاضي إسماعيلُ ـ من طريقين ـ وابنُ سعدٍ والحارثُ في مسنده من حديث بكر بن عبد الله المزني ، وأحدُ إسناديْ القاضي وسندُ ابن سعد برجال الصحيح ، ورواه الحارثُ والديلميُّ من حديث أنس ابنِ مالكٍ رضي الله تعالى عنه ، بسند ضعيف .

وروى القسم الأولَ : أحمدُ والنسائيُّ والدارميُّ وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلى والطبرانيُّ والحاكمُ وابنُ حبان وغيرهم بأسانيد صحيحة ، وصححه الحاكم وأقره الذهبيُّ ، وصحَّحه ابن القيم[1] أيضاً .

---

(١) كشف الأستار (١ : ٣٩٧ رقم ٨٤٥) ومجمع الزوائد (٩ : ٢٤) وطرح التثريب (٣ : ٢٩٧) والمغني عن حمل الأسفار (٤ : ١٤٨) وقال : رجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد ؛ وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون.اهـ. قلت : ووثقه أحمد وأبو داود والخليلي . وأكثر ما نقموا عليه إرجاءه . والخصائص الكبرى (٢ : ٢٨١) ونسيم الرياض (١ : ١٠٢) وشرح الشفا لملا علي القاري (١ : ٣٦) والمطالب العالية (٤ : ٢٢ ـ ٢٣) وفيض القدير (٢ : ٤٠١) وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣٦ ـ ٣٧ رقم ٢٥ ـ ٢٦) والطبقات الكبرى (٢ : ١٩٤) وفردوس الأخبار (٢ : ٢١٩ ـ ٢٢٠) والكامل لابن عدي (٣ : ٩٤٥) وبغية الباحث (٢ : ٨٨٤ رقم ٩٥٣) ومسند أحمد (١ : ٣٨٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٢) وسنن النسائي (٣ : ٤٣) وعمل اليوم والليلة (١٦٧) وسنن الدارمي (٢ : ٢٢٥) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ١١٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٥١٧) ومسند أبي يعلى (٩ : =

وكلهم من طريق سفيان الثوري به ، والله تعالى أعلم .

ويشهد له حديث « عرض الأعمال على الأقارب والعشائر من الأموات ». وهو حديث صحيح لغيره . وانظره في الأصل .

وخير شاهد لهذا الحديث كونُه صلى الله عليه وآله وسلَّم شاهداً على أمته ، مع أنه فَرَط لهم ، والشاهدُ يقتضي حضوره ، حتى يصلح أن يكون شاهداً ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، عند رقم (٤٨).

١٤ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أَمَنَةٌ لأمته :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى وجود نبيِّه وصفيِّه الكريم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم بين أُمَّتِه أَمْناً لهم من العذاب والهلاك ، وأميناً عليهم ، بخلاف ما حصل لعامَّة الأمم السابقةِ ، حيث عُذِّبَ بعضهم مع وجود أنبيائهم عليهم السلام بينهم ، وأُهلك آخرون .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ نزلت عندما قال أبو جهل : ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]. كما في حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه[2].

= ١٣٧) وأخبار أصبهان (٢ : ٢٠٥) والمعجم الكبير (١٠ : ٢٧٠ ـ ٢٧١) من طرق ، وشرح السنة (٣ : ١٩٧) والمستدرك (٢ : ٤٢١) وصحيح ابن حبان (٢ : ١٣٤) وحياة الأنبياء (١١ ـ ١٢) وجلاء الأفهام (٢٣).

(١) سورة الأنفال (٣٢ ـ ٣٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأنفال : باب ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾. وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ ﴾ ، رقم (٣٧).

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « النجومُ أَمَنَةُ السماءِ ، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعد ، وأنا أَمَنَةٌ[1] لأصحابي ، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أُمتي ما يوعدون ». رواه مسلم[2].

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوماً ، فأطال القيامَ ـ وكان إذا صلّى لنا خفَّف ـ ثم لا نسمع منه شيئاً غير أنه يقول : « ربِّ وأنا فيهم »... الحديث ، وفي آخره ـ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « والذي نفسي بيده ، ما من شيء وُعِدتموه في الآخرة إلا قد عُرض عليَّ في مقامي هذا ، حتى لقد عُرضتْ عليَّ النارُ ، فأقبل إليَّ منها شيءٌ ، حتى دنا بمكاني هذا ، فخشيتُ أن تغشاكم ، فقلت : ربِّ وأنا فيهم ، فصرفها عنكم ، فأدبرتْ قطعاً كأنها الزرابي... ». الحديث ، رواه ابن خزيمة ـ مختصراً ـ وابن حبان بسند صحيح على شرط مسلم ، وكذا الطبراني في الكبير برجال الصحيح خلا شيخه . ورواه في الأوسط أيضاً[3] فالحديث صحيح ، والله تعالى أعلم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كما في حديث عبد الله بن عَمْرو رضي

---

(١) قوله : « أَمَنَةٌ » جمع أمين ، وهو الحافظ ، النهاية (١ : ٧١) فهو أمنةٌ لها من الفتن والحروب والاختلاف والارتداد .

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمان لأصحابه ،... رقم (٢٠٧).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢ : ٥٠) وصحيح ابن حبان (٨ : ١١٧) والمعجم الكبير (١٧ : ٣١٥) والمعجم الأوسط (٣ : ٢٩٤) ومجمع البحرين (٨ : ١٤٣) ومجمع الزوائد (٢ : ٨٨) وهو للكبير ، و(١٠ : ٣٨٦) وهو للمعجم الأوسط .

الله تعالى عنهما ـ في صلاة الكسوف ـ : « أَلم تَعِدني أن لا تُعذِّبهم وأنا فيهم؟ أَلم تَعِدْني أن لا تُعذِّبهم وهم يستغفرون؟ ».

وفي لفظ لأحمد والنسائي وابن حبان : « لم تَعِدْني هذا وأنا فيهم ، لم تَعِدني هذا ونحن نستغفرك ». رواه أبو داود والنسائي والترمذي ، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[1].

بينما الأمم السابقة فكثير منها وقع عليها الهلاكُ ؛ وأنبياؤهم عليهم السلام موجودون بين أظهرهم . فنوح عليه السلام حصل الطوفان وهو حيٌّ ، فأهلك اللهُ سبحانه وتعالى جميعَ المشركين ، ولم يسْلَم إلا من آمن به ـ وهم قلة ـ ولوط عليه السلام خسف اللهُ سبحانه وتعالى بقومه ، بعد أن أُخرج من بين أظهرهم . وموسى عليه السلام أصاب بني إسرائيل ما أصابهم من التيه والرجفة والموت والمسخ ... وهو حيٌّ . وقومُ عاد عندما دعاهم أخوهم هود عليه السلام ، فلم يستجيبوا له فحلَّ بهم العذاب وهو حيٌّ . وقومُ صالح عليه السلام حيث أصابتهم الرجفةُ والصيحة فهلكوا وهو حيٌّ ،...إلخ، وهذا كثير .

وبهذا يُعرف الفضلُ ، وعلوُّ المقام ،... ولا يستبعد ذلك فهو صلى الله عليه وآله وسلَّم الرحمةُ المهداةُ .

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١٥٩ ، ١٨٨) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب من قال : يركع ركعتين ، رقم (١١٩٤) والشمائل للترمذي (٢٦٤ ـ ٢٦٦) وسنن النسائي : كتاب الكسوف : باب القول في السجود في صلاة الكسوف ، وفي نوع آخر (٣ : ١٣٧ ، ١٤٩) والسنن الكبرى له (١ : ٥٧٤ ، ٥٧٩ ـ ٥٨٠). وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وصحيح ابن حبان (٤ : ٢١٥ ـ ٢١٦) والمستدرك (١ : ٣٢٩) ولم يسق لفظه كاملاً .

١٥ ـ عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن ذلك أن جعل الله تعالى رسالتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم عامَّةً لكل الناس ، بل لكل العالَمين ، بخلاف ما كان عليه الأنبياءُ والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، فقد كانوا يُرسلون إلى أقوامهم خاصة .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ كَآفَّةً ﴾ دلالة على عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلم وشمولها ، مع رفع احتمال المجاز أو التبعيض ، في البشارة والنذارة .

وقال جل شأنه : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[٢] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿جَمِيعًا ﴾ تأكيد لذلك العموم ، وحتى ينفي تخرُّص المجاز أو التبعيض .

وقال الله عز وجل : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٣] .

وقال الله جل جلاله أيضاً : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤] .

فكما أنه صلى الله عليه وآله وسلم نذير للعالمين ، هو رحمة للعالمين أيضاً ، ولفظ (العالمين) أعمُّ بكثير من لفظ (الناس) كما لا يخفى ، والله تعالى أعلم .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة سبأ (٢٨).

(٢) سورة الأعراف (١٥٨).

(٣) سورة الفرقان (١).

(٤) سورة الأنبياء (١٠٧).

وسلَّم : « أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحدٌ [زاد البخاري في روايته : من الأنبياء] قبلي : كان كلُّ نبيٍّ يُبعثُ إلى قومه خاصةً ، وبُعثتُ إلى كلِّ أبيض وأسود [وعند البخاري : وبُعثتُ إلى الناس عامة]، وأُحلت لي الغنائمُ ، ولم تَحَلَّ لأحدٍ قبلي ، وجُعلتْ ليَ الأرضُ طيِّبةً : طهوراً ومسجداً ، فأيّما رجل أدركتْه الصلاةُ ، صلّى حيثُ كان ، ونُصرتُ بالرعب بين يَدي مسيرةَ شهر ، وأُعطيتُ الشفاعة ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ : أُعطيتُ جوامعَ الكَلِم ، ونُصرتُ بالرعب ، وأُحلّت لي الغنائم ، وجُعلت لي الأرضُ طهوراً ومسجداً ، وأُرسلت إلى الخلق كافة ، وخُتم بي النَّبيّون ». رواه مسلم[2].

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحدٌ قبلي : بُعثتُ إلى الأحمرِ والأسودِ ، وأُحلت لي الغنائمُ ، ولم تحل لأحدٍ قبلي ، ونُصرتُ بالرعب ، فيرعبُ العدوُّ من مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرضُ طهوراً ومسجداً ، وقيل لي : سل تُعْطه ، واختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي في القيامة ، وهي نائلةٌ إن شاء الله لمن لم يُشرك بالله شيئاً ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والبزار ، والحاكم وابن حبان وصححاه وأقره الذهبي ، وابن المبارك والبيهقي وغيرهم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التيمم : الباب (١) حدثنا عبد الله بن يوسف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٥).

(٣) مسند أحمد (٥ : ١٤٨ ، ١٦١ ـ ١٦٢) ومسند الطيالسي (٦٤) والزهد (٣٧٧ ، ٥٦٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦) وكشف الأستار (٤ : ١٦٦ ـ ١٦٧) وصحيح =

وقد جاء هذا المعنى عن عدد من الصحابة ، كابن عباس وأبي أمامة ، وآخرين رضي الله تعالى عنهم . وسيأتي عند رقم (٣٣ ، ٣٧).

قال مجاهد : يعني : الإنس والجن ، يريد قوله : « الأحمر والأسود ».

وعن عَمْرِو بن شُعيبٍ ، عن أبيه ، عن جده رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ عام غزوة تبوك ـ قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجالٌ من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلّى وانصرف إليهم ، فقال لهم : « لقد أُعطيتُ الليلةَ خمساً ، ما أُعطيهن أحدٌ قبلي : أما أنا فأُرسلتُ إلى الناس كلهم عامَّةً ، وكان مَنْ قَبْلي إنما يُرسلُ إلى قومه ، ونُصرتُ على العدوِّ بالرعب ، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لـمُلِئ منه رعباً ، وأُحلتْ لي الغنائمُ آكلها ، وكان مَنْ قَبْلي يُعظِّمون أكلَها ، وكانوا يحرقونها ، وجُعلت لي الأرضُ مساجدَ وطهوراً ، أينما أدركتني الصلاةُ تمسَّحتُ وصليتُ ، وكان مَنْ قبلي يعظِّمون ذلك ، إنما كانوا يصلّون في كنائسهم وبِيَعِهم ، والخامسة : هي ما هي ، قيل لي : سل ، فإنَّ كلَّ نبيٍّ قد سأل ، فأخرتُ مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله ». رواه أحمد برجال ثقات ، وصححه المنذري ، وقواه وجوّده ابن كثير[1].

والخطاب في القرآن ببعثة الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم خاصة لا يستوعبه هذا المختصر ، فانظره في الأصل ، فقد ذكرتُ هناك الكثير .

= ابن حبان (٨ : ١٢٧) والمستدرك (٢ : ٤٢٤) ودلائل النبوة (٥ : ٤٧٣) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٩) وعزاه لأحمد برجال الصحيح . وَ (١٠ : ٣٧١) وعزاه للبزار بإسنادين حسنين ، وانظر كنز العمال (١١ : ٤٣٧ ـ ٤٤٠).

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٢٢) ورقم (٧٠٦٨) من نسخة الشيخ أحمد شاكر ، والترغيب والترهيب (٦ : ٢١٥ ـ ٢١٦) وتفسير ابن كثير (٢ : ٢٥٨) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٦٧).

١٦ ـ تكفل المولى بحفظه وعصمته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن عظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعلوِّ مكانته عند ربه عز وجل ، أن تكفل اللهُ سبحانه وتعالى له بحفظه ، وعصمتِه من الخلق ، كما كفاه المستهزئين ، فلا يَصِلون إليه ، لأنه بأعينه .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾[١] .

وقد كان بعضُ الصحابة رضي الله تعالى عنهم يحرسه ، فلما نزلت هذه الآية صرفهم عن حراسته صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يُحرسُ حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ فأخرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسَه من القُبَّة فقال لهم : « يا أيها الناس ؛ انصرفوا ، فقد عصمني الله ». رواه الترمذي والطبري وابن أبي حاتم ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وحسنه الحافظ في الفتح[٢] .

والنصوص في عصمة الله له صلى الله عليه وآله وسلَّم كثيرةٌ جداً ، وفي حفظِ الله تعالى له من صغره حتى وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم كثيرة هي الأخرى ، لكني أذكر هنا نصاً واحداً للتنبيه والإشارة .

---

(١) سورة المائدة (٦٧).

(٢) سنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة المائدة ، رقم (٣٠٤٦) وقال عنه : غريب . وتفسير الطبري (١٠ : ٤٦٩) وتفسير ابن أبي حاتم (٤ : ١١٧٣ ـ ١١٧٤) والمستدرك (٢ : ٣١٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ١٨٤) وفتح الباري (٦ : ٨٢) وانظر الدر المنثور (٣ : ١١٨) فقد عزاه لآخرين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال أبو جهل : هل يُعَفِّرُ محمدٌ [صلى الله عليه وآله وسلَّم] وجهَه بين أظهركم ؟ قال : فقيل : نعم . فقال : واللّات والعُزّى لئن رأيتُه يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، أو لأُعَفِّرَنَّ وجهَه في التراب ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو يصلي ، زعم ليطأ على رقبته ، قال : فما فجِئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ، قال : فقيل له : ما لَكَ ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار ، وهولاً وأجنحةً .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لو دنا مني لاختطفته الملائكةُ ، عضواً عضواً ». رواه مسلم[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمداً [صلى الله عليه وآله وسلم] يصلّي عند الكعبة لأطأن على عنقه . فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : « لو فعل لأخذته الملائكة ». رواه البخاري[2].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ * ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[3].

وقال الله عز وجل أيضاً : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾[4].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب قوله : ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾، رقم (٣٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : تفسير سورة : اقرأ : باب ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾. وانظر : دلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٣) سورة الحجر (٩٤ ـ ٩٦).

(٤) سورة الطور (٤٨).

يلاحظ قوله تعالى : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ مع مقارنة ما قاله عز وجل عن بعض الأنبياء السابقين عليهم السلام .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، ذكرتها في الأصل .

١٧ ـ التكفل بحفظ دينه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد تكفَّل الله سبحانه وتعالى بحفظ دينِ الإسلام ؛ من التغيير والتبديل والتحريف ،... كما تكفَّل ببقائه ،... ولعل هذا هو السر فيما حصل للديانات السماوية السابقة ، من تبديل وتغيير ، وتحريف ،... حيث وكَل الله سبحانه وتعالى حفظَها إلى علماءِ وأحبارِ تلك الديانات ، فغيَّروا وبدَّلوا وحرَّفوا ،... بينما تكفَّل سبحانه وتعالى بحفظ هذا الدين ؛ بكتابه وسنَّتِهِ . ليكون هذا الدينُ ـ الذي تكفَّل بحفظه ، وهو دينه ـ باقياً صحيحاً سليماً معجِزاً ، وهو خير الأديان .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] .

وكلُّ معجزات الأنبياء عليهم السلام ـ وكذا معجزاتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كانت آنِيَّةً وقتيةً ، إلا معجزته صلى الله عليه وآله وسلَّم الكبرى وهي الوحي ـ المتمثِّل بالقرآن الكريم والسنة المطهَّرة ـ فإنها باقيةٌ مستمرةٌ إلى قيام الساعة ، لحفظِ الله تعالى له ، وتكفُّلِه ببقائه وصيانته .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد صان كتابه الكريم (القرآن) لأنه كلامه ؛ من أن يُعبث به أو ينتهك ،... فإنه تعالى صان سنةَ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كذلك ، لأنها وحيٌ أيضاً ـ لكنه غيرُ متلوٍّ ، ولا معجز[2] ـ بما

---

(١) سورة الحجر (٩).

(٢) انظر : السنة النبوية وحي ـ بمجلديه ـ ومختصره .

هيَّأَ الله تعالى لها من حُفَّاظٍ ونقادٍ ؛ أظهروا زيفَ الزنادقة ، وكذبَ المبطلة ، وانحراف المبتدعة ، وجهل الجهلة ،... فصارت ـ ولله الحمد والمِنَّةُ ـ نقية صافية ،... وكل هذا من المعجزات الخوارق ، لحفظ الله تعالى لهذا الدين ، والله تعالى أعلم .

قال الله عز وجل : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1].

١٨ ـ القَسمَ بحياته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن عظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه عز وجل ، أن أقسم اللهُ سبحانه وتعالى بحياته صلى الله عليه وآله وسلَّم . ولا نعرف هذا لغيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وغيرهم .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[2].

قال ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما ـ فيما رواه ابنُ أبي شيبة وابن جرير وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي ـ ونحوهُ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند ابن مردويه ـ : ما حلف الله سبحانه وتعالى بحياة أحدٍ إلا بحياة محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، قال : ﴿لَعَمۡرُكَ﴾[3].اهـ.

وفي هذا من مزيد الفضل ، ورفيع المكانة العالية الفريدة ، وعظيم القدر

---

(١) سورة المائدة (٣).

(٢) سورة الحجر (٧٢).

(٣) انظر : مسند أبي يعلى (٥ : ١٣٩) وبغية الباحث (٢ : ٨٧١ ـ ٨٧٢) وتفسير الطبري (١٧ : ١١٨) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٧٠ ـ ٧١) وللبيهقي (٥ : ٤٨٧ ـ ٤٨٨) والدر المنثور (٥ : ٨٩ ـ ٩٠) ومجمع الزوائد (٧ : ٤٦) والمطالب العالية (٤ : ١٣٠ ـ ١٣١).

ما هو ظاهر وغير خفي ، والله تعالى أعلم .

قال الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى[1] : والمعنى في هذا القَسَم ؛ أن المتعارف بين العقلاء : أن الأقسام لا تقع إلّا على المعظَّمين ، والمبجَّلين ، والمكرَّمين ، فتبيَّن بهذا جلالةُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وتعظيمُ أمره ،... وعُرفت جلالةُ نبوته ، ورسالته بالقسم الواقع على حياته ، إذ هو أعزُّ البريَّة ، وأكرمُ الخليقة صلى الله عليه وسلّم تسليماً.اهـ.

وعن عثمان بن حُنَيْفٍ رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وجاءه رجلٌ ضريرٌ ، فشكا إليه ذهابَ بصره . فقال : يا رسول الله ؛ ليس لي قائد ، وقد شقَّ عليَّ .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ائت الميضأةَ ، فتوضأ ، ثم صلِّ ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيِّك محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، نبيِّ الرحمة ، يا محمد ، إني أتوجه بك إلى ربي ، فيجلي لي بصري ، اللهم شفِّعْه فيَّ ، وشفِّعْني في نفسي ».

قال عثمان رضي الله تعالى عنه : فوالله ما تفرقنا ولا طال الحديثُ حتى دخل الرجلُ ؛ وكأنه لم يكن به ضُرٌّ قط . رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وعبد ابن حُميد وابن السني ، وصححه الترمذي وأبو إسحاق وابن خزيمة والحاكم والطبراني والبيهقي والمنذري والشوكاني[2].

---

(١) دلائل النبوة (١ : ٧١).

(٢) مسند أحمد (٤ : ١٣٨) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب (١١٩) رقم (٣٥٧٨) وعمل اليوم والليلة للنسائي (٤١٧ ـ ٤١٨) والسنن الكبرى له (٦ : ١٦٨ ـ ١٦٩من طرق) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في صلاة الحاجة ، رقم (١٣٨٥) وفيه قال أبو إسحاق : هذا حديث صحيح ، وعمل اليوم والليلة لابن السني (٥٨١ ـ ٥٨٢) =

١٩ ـ القسم ببلده صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن عظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلوِّ مكانته عند ربِّه عز وجل : أن أقسمَ اللهُ سبحانه وتعالى ببلده صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لكن قيَّد هذا القَسَم بحلول رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فيه .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۞ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[١] .

وإدخال لا النافية للتأكيد شائع في كلام العرب .

فقوله تعالى : ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ يعني : مكة ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ قال : وأنت يا رسول الله حلالٌ فيه ، فيحل لك أن تقاتل فيه ـ كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ وأن ما أصبته فيه فهو حلال لك ـ كما قال مجاهد رحمه الله تعالى .

وعلى أي الأحوال ؛ فهو أحد أمرين ؛ إما من باب التثبيت ، أو من باب السُّلو ، مع الوعد بفتح مكة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، فتكون له حلالاً .

قال الإمامُ الزمخشري رحمه الله تعالى[٢] .:... فيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة ،

= ومسند عبد بن حُميد (١٤٧ رقم ٣٧٩) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦) والمستدرك (١ : ٣١٣ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ـ ٥٢٧) وصححه فيها وأقره الذهبي ، والمعجم الكبير (٩ : ١٧ ـ ١٨) والمعجم الصغير (١ : ٣٠٦ ـ ٣٠٧) وفيه التصحيح ، ودلائل النبوة (٦ : ١٦٦ ـ ١٦٧) والترغيب والترهيب (٢ : ٦٦ ـ ٦٧) وانظر كتاب الفتاوى للعز بن عبد السلام (١٢٥ ـ ١٢٦) وفيه : « قل : اللهم إني أُقْسِم عليك ... » ولم أجده . وتحفة الذاكرين (١٣٨ ـ ١٣٩).

(١) سورة البلد (١ ـ ٢).

(٢) الكشاف (٤ : ٢١٢).

وتعجيب من حالهم ، في عداوته .

أو سلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ بالقسم ببلده ، على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد .

واعترض : بأن وعده بفتح مكة تتميماً للتسلية والتنفيس عنه . فقال : ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ يعني : وأنت حلٌّ به في المستقبل ، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ، وذلك أن الله فتح عليه مكة ، وأحلَّها له ، وما فُتحت على أحد قبلَه ولا أُحِلَّت له : فأحل ما شاء ، وحرَّم ما شاء ،...إلخ.

وفي هذا القَسَم إظهارٌ لمزيد فضله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وإشعارٌ بأن شرَفَ المكان بشرف أهله ، والله تعالى أعلم .

٢٠ ـ القَسَم له صلى الله عليه وآله وسلَّم :

وكما أقسم الله سبحانه وتعالى بحياة رسولِهِ الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وببلد رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإنه سبحانه وتعالى قد أقسم له صلى الله عليه وآله وسلَّم أيضاً ، وهذا غايةُ التقدير والتعظيم والتفخيم .

قال الله عز وجل : ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾(١) .

ففي هذه الآيات من العبرة بما أقسم له عما أخبره به من حاله ، وبيان مكانته صلى الله عليه وآله وسلَّم عنده : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ . وبيان ما في الآخرة له ، وأنه أعظم مما في الدنيا ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ وبيان كرم الله سبحانه وتعالى في إعطائه حتى رضاه ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ما هو

(١) سورة الضحى (١ ـ ٥).

بيِّنٌ وواضحٌ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

وفي هذه الآيات من العبرة بهذا القسَم ؛ بأنه صلى الله عليه وآله وسلم على الحق المبين ، ليس ضالّا ولا منحرفاً ـ حاشاه بأبي هو وأمي ـ وأن كلَّ ما ينطق به صلى الله عليه وآله وسلم فهو ليس من عنده ، إنما هو وحيٌ من الله تعالى ، نفثه في صدره الشريف ، أو علَّمه رسولُه الأمين ، فنطق به[2].

وقال عز شأنه أيضاً : ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

فقد أقسم سبحانه وتعالى له على ثلاثة أمور مهمة تتعلق به صلى الله عليه وآله وسلم : إنه ليس بمجنون ، وإن الأجر الذي يناله غير ممنون عليه ، وإنه على خلق عظيم[4].

وقال تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5].

وقال جل شأنه أيضاً : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ *

---

(١) سورة النجم (١ ـ ٤).

(٢) انظر : السنة النبوية وحي .

(٣) سورة القلم (١ ـ ٤).

(٤) انظر مكانة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام ، لمعرفة ما في هذه الآية الكريمة من مكرمات له صلى الله عليه وآله وسلم .

(٥) سورة الحاقة (٣٧ ـ ٤٣).

وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ * مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾[1].

فالرسول الكريم في الآيات الأولى : هو الرسول البشريُّ ـ وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي الثانية : هو الرسول الملكي ـ وهو جبريل عليه السلام ـ ثم ليس الرسول البشري بمجنون ، حاشاه صلوات الله وسلامه عليه .

وقال الله عز وجل أيضاً : ﴿يسٓ * وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[2]. في آيات كثيرة .

فقد أقسم الله تعالى له على أمرين كريمين ؛ على أنه صلى الله عليه وآله وسلم من المرسلين ، وعلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم على صراط مستقيم

٢١ ـ لم يناده تعالى باسمه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن عظيم قدره ، ورفعة مكانته صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه عز وجل : أنه تعالى لم يناده باسمه ، ولم يخاطبه بشخصه ، إنما كان يخاطبه بالنبوة والرسالة ، أو بوصف من أوصافه الدّالة على التكريم والتحبيب ، وكثيراً ما كان بكاف أو تاء الخطاب ، بخلاف ما خاطب الله تعالى به أنبياءَه السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، حيث كان الله عز وجل يناديهم ويخاطبهم بأسمائهم .

وما ورد ذكر اسمه الشريف المجرد (محمد) إلا كان مقروناً بالنبوة

---

(١) سورة الحاقة (٣٨ ـ ٤٣).

(٢) سورة يس (١ ـ ٤).

والرسالة ، ثم لم يكن من باب النداء ، وهو في أربعة مواطن في كتاب الله تعالى ، أذكرها في نهاية الفقرة إن شاء الله تعالى .

فقال الله عز وجل عن نبيِّه وصفيِّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾[2] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾[3] .

وقال الله عز وجل : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾[4] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[5] .

في آيات كثيرة ...

بخلاف سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام حيث خاطبهم الله عز وجل بأسمائهم المجردة .

قال سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام : ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[6] .

وقال سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام : ﴿يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا ﴾[7] .

---

(١) سورة المائدة (٦٧).

(٢) سورة المائدة (٤١).

(٣) سورة الأنفال (٦٤).

(٤) سورة المدثر (١ ـ ٢).

(٥) سورة المزمل (١ ـ ٢).

(٦) سورة البقرة (٣٥).

(٧) سورة هود (٤٨).

وقال سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ * قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى لداود عليه السلام : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى لزكريا عليه السلام : ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾[4].

وقال جل شأنه ليحيى عليه السلام : ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[5].

وقال سبحانه وتعالى لعيسى عليه السلام : ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾[6].

في آيات كثيرات أيضاً ، وإنما القصد التنبيه .

وأما ورود اسمه الشريف المجرّد (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم فقد ورد في الآيات التاليات مقروناً بالرسالة ، لكن ليس فيه نداء .

قال جل شأنه : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[7].

---

(١) سورة الصافات (١٠٤ ـ ١٠٥).

(٢) سورة القصص (٣٠).

(٣) سورة ص (٢٦).

(٤) سورة مريم (٧).

(٥) سورة مريم (١٢).

(٦) سورة المائدة (١١٠).

(٧) سورة آل عمران (١٤٤).

وقال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

وقال عز شأنه : ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ...﴾[3].

٢٢ ـ ذكره صلى الله عليه وآله وسلَّم في أول من ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

ومن عظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ورفعة مكانته عند ربه عز وجل : أن ذكره اللهُ سبحانه وتعالى في أول مَنْ ذَكَر من الأنبياء عليهم السلام في أخذ العهد ، وفي الوحي إليهم ، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو آخر من أُرسل ، وهو خاتمُهم ، وهذا تقديمٌ وتكريمٌ من جهة الفضل والشأن ، والعلم عند الرحمن المنّان .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[4].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى[5] : بدأ في هذه الآية بالخاتَم لِشَرفه صلوات الله وسلامه عليه ، ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله وسلامه

---

(١) سورة الأحزاب (٤٠).

(٢) سورة محمد (٢).

(٣) سورة الفتح (٢٩).

(٤) سورة الأحزاب (٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٣ : ٤٦٩) وانظر ما قيل في هذه الآية : تفسير القرطبي (١٤ : ١٢٧) وابن كثير أيضاً .

عليهم.اهـ.

وقال سبحانه وتعالى أيضاً : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[1].

وكل هؤلاء من الرسل الكرام عليهم السلام قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وهو خاتم رسله ، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال الإمام القرطبي[2] رحمه الله تعالى : وفي هذه الآية تنبيهٌ على قَدْر نبيِّنا صلى الله عليه وآله وسلَّم وشرفه : حيث قدمه في الذكر على أنبيائه.اهـ.

وقال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾[3].

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الطرفين والوسط ـ الفاتح والخاتم ـ ثم ذكر الوسط حسب ترتيبهم الزمني ، فهؤلاء هم أولو العزم من الرسل ، أولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم . وذكره سبحانه وتعالى قبل إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ـ مع أنه بعدهم في الزمن ـ لكن قدَّمه عليهم في الذكر ، جرياً على عادة العرب في تقديم الأفضل والأَخْير ، وكل ذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء .

٢٣ ـ النهي عن مناداته باسمه المجرَّد صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن عظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ورفعة مكانته عند ربه عز

---

(١) سورة النساء (١٦٣).

(٢) تفسير القرطبي (٦ : ١٦).

(٣) سورة الشورى (١٣).

وجل : ما أمر الله سبحانه وتعالى به هذه الأمة من توقيره وتبجيله وتشريفه واحترامه وتقديره ،... صلوات الله وسلامه عليه ، بحيث لا ينادونه باسمه المجرّد [يا محمد] بل ينادونه : يا رسول الله ، يا نبي الله ، وهذا بخلاف ما كان من الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام في أممهم .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وبنحوه قال قتادة وزيد بن أسلم وعكرمة والحسن البصري رحمهم الله تعالى : كانوا يقولون : يا محمد ، يا أبا القاسم ، فنهاهم الله تعالى عن ذلك ؛ إعظاماً لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأمرهم أن يقولوا : يا نبي الله ، يا رسول الله[2].

بينما كانوا في الأمم السابقة ينادون أنبياءَهم عليهم السلام بأسمائهم المجردة ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك في كثير من الآيات القرآنية ، ومن ذلك :

قال سبحانه وتعالى عن قوم نوح عليه السلام : ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى عن قوم إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ

---

(١) سورة النور (٦٣).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣ : ٣٠٦) والدر المنثور (٦ : ٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٣) سورة هود (٣٢).

عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى عن قوم لوط عليه السلام : ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى عن قوم هود عليه السلام : ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى عن قوم صالح عليه السلام : ﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[4].

وقال سبحانه وتعالى عن قوم شعيب عليه السلام : ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[5].

وقال سبحانه وتعالى عن قوم فرعون : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾[6].

وقال سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل : ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ...﴾[7]. في آيات كثيرات .

---

(١) سورة مريم (٤٦).

(٢) سورة الشعراء (١٦٧).

(٣) سورة هود (٥٣).

(٤) سورة الأعراف (٧٧).

(٥) سورة هود (٨٧).

(٦) سورة البقرة (٥٥).

(٧) سورة الأعراف (١٣٨).

وقال سبحانه وتعالى عن الحواريين : ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1].

وفي ذلك آيات كثيرة .

والملاحظ أن ما ورد في هذه الآيات من خطابات لأولئك الأنبياء : منه ما هو من أقوامهم الكفار ، ومنه ما هو من أتباعهم المؤمنين بهم ، بخلاف ما هو كائن مع أمَّةِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث نهاها الله عز وجل من أن تناديه باسمه المجرد ، إنما بالنبوة والرسالة ، والله تعالى أعلم .

٢٤ ـ لا يرفع صوت فوق صوته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن ذلك التبجيلِ والاحترامِ ،... : أن نهى اللهُ سبحانه وتعالى المؤمنين عموماً أن يرفعوا أصواتَهم فوقَ صوتِه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن لا يجهروا له بالقول ـ كما هو الحال بين الناس فيما بينهم ـ حتى لا تحبطَ أعمالهم ، وهم لا يشعرون .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

ففي الآية الأولى : النهيُ عن رفع الصوت فوق صوتِه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعن الجهر له بالقول ، كما ينادي بعضُهم بعضاً ، وأنَّ من يفعلُ

---

(١) سورة المائدة (١١٢).

(٢) سورة الحجرات (٢ ـ ٥).

ذلك فقد يُحبط عملُه ، وهو لا يشعر ، والعياذ بالله تعالى .

وفي الآية الثانية : ندب الله سبحانه وتعالى إلى خفض الصوت عنده صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحثَّ عليه ، ورغَّب فيه ، وبيّن تعالى أن هؤلاء الذين يغضون أصواتَهم عنده صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما أخلصهم اللهُ سبحانه وتعالى للتقوى ، وجعلهم أهلاً ومحلاً لها ، لذا غفر الله تعالى لهم ، وأعطاهم الأجر العظيم .

وفي الآية الثالثة : يذم الله عز وجل هؤلاء الذين ينادون رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بأعلى أصواتهم ، وأخبر تعالى أنَّ أكثَرَ هؤلاء لا يعقلون ، لأنهم لو كانوا عاقلين ما فعلوا ذلك .

وأرشد الله تعالى في الآية الرابعة : لو أن هؤلاء صبروا حتى يخرج إليهم رسولُه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم يكلِّمونه بما يريدون ؛ لكان خيراً لهم ، ولكنهم جفاة ، لا يعقلون .

وهكذا فعل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في التزام الأدب معه صلى الله عليه وآله وسلم ، وعدم رفع الصوت ، حتى أثناء المخاطبة .

فقد كان عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعد نزول هذه الآية : إذا حدَّث النبيَّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بحديثٍ يحدِّثه كأخي السِّرار ، لم يُسمعه حتى يَستفهمه . كما رواه البخاري[1] من حديث ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : والذي أَنزل عليك الكتابَ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع .

يا رسول الله ؛ لا أكلمك إلا كأخي السِّرار ، حتى ألقى الله عز وجل . كما رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[1] من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . ورواه هو والبزار والحارث من حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، بسند ضعيف ، وشاهده حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

وقد تخوّف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم رفيعو الصوت ، أن يكونوا من أهل النار ، وأن أعمالهم قد حبطت ، بسبب رفع أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى طمأنهم صلى الله عليه وآله وسلم ، بأنهم ليسوا منها .

لأن رفع أصواتهم كانت سجيةً لهم ، ولم يريدوا التطاول أو التعالي أو الإهانة ، وهم في رفع أصواتهم كانوا غاية التعظيم والتوقير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن هؤلاء الذين تخوّفوا ثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله تعالى عنه ؛ فقد كان جهوريَّ الصوت ، لأنه خطيب الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، وهذا يقتضي رفعَ صوته أثناء الخطبة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا خاف رضي الله تعالى عنه ، حتى طمأنه ، وبشَّره ، وذكر منقبتَه ، وهو أهل لذلك .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ... ﴾ إلى آخر الآية . جلس ثابت بن

---

(١) المستدرك (٢ : ٤٦٢) (٣ : ٧٤) والبحر الزخار (١ : ٢٠٠) وكشف الأستار (٣ : ٦٩) وبغية الباحث (٢ : ٨٨٧) والمطالب العالية (٤ : ٢٢٠) وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ٢٠١) ومجمع الزوائد (٧ : ١٠٨) والدر المنثور (٧ : ٥٤٨) وعزاه لعبد بن حُميد والبيهقي .

قيس في بيته ، وقال : أنا من أهل النار . واحتبس عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم . فسأل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم سعدَ بنَ معاذٍ فقال : « يا أبا عَمْرٍو ؛ ما شأن ثابت ؟ أَشتكى ؟» قال سعد : إنه لجاري ، وما علمتُ له بشكوى . قال : فأتاه سعد ، فذكر له قولَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال ثابت : أُنزلت هذه الآية ، ولقد علمتُم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأنا من أهل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بل هو من أهل الجنة ».

زاد في رواية : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجلٌ من أهل الجنة . متفق عليه[1].

وقد أدرك الصحابةُ الكرام رضي الله تعالى عنهم مكانةَ نبِيِّهم الكريم ، وعلو قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم عند الله سبحانه وتعالى ، فأعطوه من التوقير والتبجيل والاحترام والإعظام ،... ما هو أهله ، ومن ذلك عدمُ رفع الصوت في مسجده ، حتى بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنهما قال : كنتُ قائماً في المسجد ، فحصبني رجل ، فنظرت ، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فقال : « اذهب فأتني بهذين ، فجئته بهما ، قال : من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف .

قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما . ترفعان أصواتَكما في مسجد

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب دلائل النبوة في الإسلام : وكتاب التفسير : سورة الحجرات : باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ...﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله ، رقم (١٨٧-١٨٨).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ». رواه البخاري[1].

وكلُّ هذا يدل على عظم مكانة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم، والله تعالى أعلم.

٢٥ ـ تقديم الصدقة بين يدي نجواهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن ذلك التبجيل والاحترام والتعظيم والتوقير،... : أمر الله سبحانه وتعالى إذا أرادوا أن يناجوا رسولَه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وكانوا قد أكثروا من النجوى ـ أن يقدِّموا بين يدي مناجاتهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم صدقة، ثم نسخ ذلك، وأمرهم بالطاعة.

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

لما أكثر المسلمون المسائلَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى شقَّ ذلك عليه : أراد الله سبحانه وتعالى أن يخفِّفَ عن نبيِّه وصفيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم، ويُظهِرَ مكانتَه عنده، ومنزلتَه لديه، وأن يؤدِّبَ المسلمين معه صلى الله عليه وآله وسلَّم، ففطمهم الله سبحانه وتعالى بالآية الأولى، فلما اشتد عليهم، وامتنع كثير منهم عن المسألة، خفَّفَ الله سبحانه وتعالى عليهم، فأنزل الآية الثانية في التخفيف، على أن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويطيعوا اللهَ تعالى ورسولَه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب رفع الصوت في المسجد.

(٢) سورة المجادلة (١٢ ـ ١٣).

والله تعالى أعلم .

٢٦ ـ جعله الله تعالى نوراً صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما منح الله سبحانه وتعالى به نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأكرمه وفضَّله على سائر الخلق : أن جعله نوراً يَهتَدي به مَنْ كَتَب اللهُ سبحانه وتعالى له سعادةَ الدارَين ، ولا يستنير به من كُتب عليه الشقاوةُ والطردُ والحرمانُ ، والعياذ بالله تعالى .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ * يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1] .

ويلاحظ إفراد الضمير في قوله تعالى : ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ ﴾ لاحتمال عود الضمير على النور والكتاب معاً ، وله نظائر ذكرتها في غير هذا الكتاب[2] .
واحتمال عود الضمير على الكتاب ، لأنه أقرب مذكور ، وتكون الإضاءة بالنور ، والله تعالى أعلم .

وقال الله جل شأنه أيضاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا * وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾[3] .

فقد وصف الله سبحانه وتعالى نبيَّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سورة المائدة (١٥ ـ ١٦).

(٢) انظر فضائل النبيِّ الكريم كما وردت في القرآن العظيم ، ومحبة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد .

(٣) سورة الأحزاب (٤٥ ـ ٤٧).

بالسراج المنير، بينما وصف الشمسَ بالسراج الوهَّاج ، ووصف القمرَ بالمنير ، فيكون قد جمع له بين ضياء الشمس ونور القمر ، وذلك لأن الوهّاج : هو الحار المضطرم الاتقاد ، المتعالي اللهب ، وهذا لا يحسن أن يكون عن قرب ، لأنه يحرق .

وعبَّر عنه بالسراج ؛ لأن سليطه من ذاته، فلا يخبو، ولا يحتاج إلى سليط ، كما أنه يزيل الظلمات ، ويَقتبس منه المهتدون إلى مناهج الرشد والهداية ، كما تزيل الشمسُ ظل الأرض في الليل ، ويستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ، كما يهتدي بالسراج في الظلام .

والسراجُ يضيء من جميع الجهات الكونية ، إلى جميع العوالم ، إلا من عمي وانطفأت بصيرته ، كأبي جهل وأمثاله ، كما قال تعالى : ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[١] .

ووُصف بصيغة المبالغة ﴿مُّنِيرًا﴾ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي نَوَّره ، بخلاف السراج ـ وإن كان نوره من نفسه ، ويُنوِّر غيره لكنه ـ لا يضيء إذا قَلَّ سليطه ، أو دقَّت فتيلتُه .

بينما نورُه صلى الله عليه وآله وسلَّم من الله تعالى ، ومستمر في عطائه ، لأن شرعه باق ، وناسخ لغيره ، لذا فهو لا يخبو[٢] .

ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يدعو الله تعالى ، ويسأله أن يجعله نوراً ، ويجعل النور محيطاً في كل جزئيات جسده الشريف ، فيقول في دعائه :

---

(١) سورة الأعراف (١٩٨).

(٢) انظر : فضائل النبيِّ الكريم كما وردت في القرآن العظيم ، والرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد فصلت في بيان ذلك .

« اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً ، واجعل لي نوراً » ثم ذكر « عصبي ولحمي ودمي وشعَري وبَشَري... ». متفق عليه[1].

زاد في رواية عند مسلم : « واجعلني نوراً » وفي أخرى : « وأعظم لي نوراً » وفي أخرى : « وفي لساني نوراً ،... اللهم أعطني نوراً ».

كما أن الله تعالى وصف نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بوَصْفَي الشمس والقمر (السراج ، المنير) لأن نورهما أتم من نور السراج .

ثم سماه سراجاً ، ولم يسمه شمساً ولا قمراً ، لأنهما تزولان يوم القيامة ويُكوَّران في نار جهنم ؛ ليعذِّب بهما أهلَ النار ، بينما نوره صلى الله عليه وآله وسلَّم يبقى حتى يوم القيامة ، ثم إن الشمس والقمر لا ينتقلان من مسارهما ، بخلاف السراج .

ولم يُوصف صلى الله عليه وآله وسلم بالوهّاج ـ مع أنه سراج ـ لأن التوهج يؤذي ، وكيف يؤذي وهو الرحمة المهداة ، بعكس النور فإنه يريح ، والله تعالى أعلم .

ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر .

ففي حديث كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه ـ في قصة تخلفه عن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب الدعاء إذا انتبه من الليل . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم (١٨١ ، ١٨٧ ، ١٩١) كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وانظر : فتح الباري (١١ : ١١٧ـ١١٨).

غزوة تبوك ـ وفيه : فلما سلَّمتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : وهو يبرق وجهُه من السرور ـ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا سُرَّ استنار وجهُه كأنه قطعةُ قمر ـ وكنا نعرف ذلك منه ،... متفق عليه[١]، والله تعالى أعلم .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ، أضاء من المدينة كلُّ شيء ، فلما كان اليومُ الذي مات فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أظلم من المدينة كلُّ شيء ، وما فرغنا من دفته حتى أنكرنا قلوبنا ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وعبد بن حُمَيد وابن سعد وابن ماجه ، في آخرين ، بأسانيد صحيحة ، وصحّحه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[٢].

فرحت فأضاءت ، وحزنت فأظلمت ، وهذا هو شأن المحب .

٢٧ ـ فرض بعض شرعه صلى الله عليه وآله وسلَّم في السماء :

إن الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام : قد نزلت عليهم

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب التوبة : باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، رقم (٥٣).

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٢٢ ـ ١٢٣ ، ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٥١٦) وسنن الدارمي (١ : ٤١) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٧٤) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٨) والشمائل له (٣٣٣ ـ ٣٣٤) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١٦٣١) ومسند عبد بن حميد (٣٨٦ ـ ٣٨٧) ومسند أبي يعلى (٦ : ٥١ ، ١١٠) وشرح السنة (١٤ : ٤٩ ـ ٥٠) والشمائل له (٢ : ٧٥٦ ـ ٧٥٧) والمستدرك ـ مختصراً ـ (٣ : ١٢، ٥٧) وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي ، وصحيح ابن حبان (٨ : ٢١٨) وموارد الظمآن رقم (٢١٦٢) وإتحاف المهرة (١ : ٤٤٣).

كتبُهم وصحائفُهُم من السماء جملةً واحدة، وأُمروا بما أُمروا به وهم في الأرض، ولا نعلم نبياً من الأنبياء عُرج به إلى السماء، ثم عاد إلى الأرض إلا نبينا المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم.

وقد أكرم الله سبحانه وتعالى نبيَّه ومصطفاه صلى الله عليه وآله وسلَّم بأن أعطاه بعضاً مما أنزل عليه من شرعه في السماء ليلة المعراج.

وكون المسيح عليه السلام رُفع إلى السماء ـ كما نص القرآن الكريم ـ وأنه سينزل إلى الأرض ـ كما تواترت به الأحاديث النبوية الشريفة، وأشارت إليه الآيات القرآنية[1] ـ فإنه لا ينزل بشرع جديد، إنما سيحكم بالإسلام، ولا يَقْبل إلا الإسلام، ويمحو الله سبحانه وتعالى به جميعَ الملل إلا الإسلام، كما ثبت ذلك بالنصوص الثابتة الصحيحة الصريحة. لذا سيضع الجزية ـ لعدم وجود من تُؤخذ منه ـ ويَقتل الخنزير، ويَكسر الصليب ـ دلالة على كذب اليهود والنصارى بصلبه عليه السلام ـ.

ومما شرع الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في السماء ليلة المعراج: الصلاة: فإنها فُرضت أول ما فرضت خمسين، ثم خفَّفها الله سبحانه وتعالى ـ رحمة بهذه الأمة ـ إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، والأحاديث في ذلك كثيرة، والحمد لله على فضله.

ومما أُعطيه صلى الله عليه وآله وسلَّم في ليلة المعراج أيضاً ـ إضافة إلى الصلوات الخمس ـ: خواتيمَ سورة البقرة، وغفران العظامَ من الذنوب لمن لم يشرك بالله تعالى شيئاً.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لما أُسري برسول الله

---

(١) انظر: المسيح عليه السلام قطعية رفعه وتواتر نزوله، وأشراط الساعة، ومختصره.

صلى الله عليه وآله وسلَّم ، انتهى به إلى سدرة المنتهى ،... الحديث بطوله ، وفيه : فأُعطي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ثلاثاً : أُعطي الصلواتِ الخمسَ ، وأُعطي خواتيمَ سورة البقرة ، وغُفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً ؛ الـمُقْحَمات[1] ». رواه مسلم[2].

كما أُعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج : مضاعفةَ الحسنات إذا عمل المسلمُ موجبها ، وبقاء السيئة على حالها بواحدة « الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، ومن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنةً ، فإن عملها كُتبت عشراً إلى سبعمائة ضعف ، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كُتبت له حسنةً ، فإن عملها كُتبت عليه سيئة ». كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، المتفق عليه ، وحديثي أبي هريرة وأنس رضي الله تعالى عنهما ، عند مسلم وغيرهما[3].

ومما أعطيه عليه وآله الصلاة والسلام في المعراج أيضاً : أن أوحى الله سبحانه وتعالى إليه ما أوحى ، مما يخفى علمه على الخلق .

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ

---

(١) قوله : « المقحمات » : الذنوب العظام الكبار التي تهلك أصحابَها وتوردهم النار ، وتقحمهم إياها ، والتقحم : الوقوع في المهالك من غير روِيَّة وتثبت ، وانظر النهاية (٤ : ١٨ ـ ١٩) ويكون المعنى ـ إن شاء الله ـ أن من مات من هذه الأمة وهو لا يشرك بالله تعالى شيئاً غفر الله تعالى له المقحمات .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب ذكر سدرة المنتهى ، رقم (٢٧٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب من هم بحسنة أو بسيئة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب إذا هم العبد بسيئة لم تكتب ، وباب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى السموات ، بأرقام (٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٥٩).

﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[1].

والذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالنسبة للتبليغ ثلاثة أقسام :

١ ـ بثه لكل الخلق .

٢ ـ خص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعضَ الصحابة رضي الله تعالى عنهم دون بعض ، لأمر يريده الله سبحانه وتعالى ، مثل :

ـ خص حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما بمعرفة أسماء المنافقين .

ـ قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وعاءين ؛ فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قُطع هذا البلعوم . رواه البخاري[2]. وغيرها .

وما في هذا الحديث ليس من الأحكام الشرعية التي لا يسعه كتمانها ، كما بينه رضي الله تعالى عنه في حديث آخر .

٣ ـ هو خاص به صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ لأنه من خصائصه ـ لذا لم يُظهره لغيره ، ولا ارتباط للأمة به ، كما هو مبين في حديث أنس رضي الله تعالى عنه[3].

ثم تكليمه لربه عز وجل بدون واسطة ، ورؤيته لجبريل عليه السلام على صورته الحقيقية ، ورؤيته لربه عز وجل ـ كما هو رأي الجمهور ـ وتجاوز

---

(١) سورة النجم (٧ ـ ١٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب حفظ العلم .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى السموات ، رقم (٢٥٩) وانظر رواية البخاري : كتاب التوحيد : باب ما جاء في قوله عز وجل : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾.

السموات السبع ، ودخوله الجنة ، ورؤيته سدرة المنتهى ،... إلى غير ذلك مما استوعبته في الأصل ، والحمد لله تعالى على فضله وكرمه .

٢٨ ـ تولي الإجابة عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن عُلُوِّ مقامه صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه جل شأنه ، ورفعة قدره ، وارتفاع مكانته صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... : أن تولى الله سبحانه وتعالى الإجابةَ على كثير من الأسئلة التي ترده ، ولا علمَ له بها ، كما تولى الدفاعَ عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، عندما اتهمه قومه ، وقالوا عنه : هو ساحر ، هو مجنون ، هو كذا ،... بخلاف من تقدَّمه من الأنبياء السابقين عليهم السلام حيث كانوا هم الذين يدافعون عن أنفسهم ، ويَردّون على أعدائهم . وهذا دالٌّ دلالةً قاطعةً على علوِّ مكانته عند ربه عز وجل ، ورفعةِ قدره ، وزيادة حُبِّ الله سبحانه وتعالى له صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فقال سبحانه وتعالى عن نوح عليه السلام : ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) .

وقال الله سبحانه وتعالى عن هود عليه السلام : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢) .

وهكذا في عامة الرسل السابقين عليهم السلام ،...

بينما دافع الله سبحانه وتعالى عن نبيه وصفيه الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، عند طعن الكفار به ، وقد ورد ذلك في مواطن كثيرة

---

(١) سورة الأعراف (٦٠ ـ ٦١).

(٢) سورة الأعراف (٦٦ ـ ٦٧).

في كتابه الكريم ،... وقد تنوع خطابُ الله سبحانه وتعالى ؛ فتارة يردُّ سبحانه وتعالى بذاته العلية ، منتصراً لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومدافعاً عنه ، وتارة يردُّ الفريةَ بما يناسبها ، وتارة يطلب من نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ردَّ الجواب بما يمليه عليه ،... وهكذا ...

فلما قالوا : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ﴾[١].

قال الله سبحانه وتعالى مدافعاً : ﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٍ﴾[٢].

وقال جل شأنه : ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٍ * وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَـٰنٍ رَّجِيمٍ * فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ * إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَـٰلَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾[٣].

وقال الله سبحانه وتعالى أيضاً : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ * وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ * إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤۡمِنُونَ * وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾[٤].

وقال سبحانه وتعالى حاكياً قولهم ، وردَّه تعالى عليهم : ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجۡنُونٍ * بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ﴾[٥].

---

(١) سورة الحج (٦).

(٢) سورة القلم (١ ـ ٢).

(٣) سورة التكوير (٢٢ ـ ٢٩).

(٤) سورة الحاقة (٣٨ ـ ٤٣).

(٥) سورة الصافات (٣٦ ـ ٣٨).

وقال عز وجل : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[1] .

وقال سبحانه وتعالى حاكياً افتراءهم ، وردَّه عليهم : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2] .

قال الله جل شأنه : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[3] .

وقال سبحانه وتعالى حاكياً اتهامهم ، ثم ردَّه عليهم : ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[4] .

في آيات كثيرة ، وقد توسعت في عدد من كتبي في هذه القضية .

٢٩ ـ استمرار الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن عِظم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه جل شأنه ، ورفعة مكانته ، وعلو مقامه ، وتميزه صلى الله عليه وآله وسلَّم على سائر الخلق عند الله سبحانه وتعالى : استمرارُ صلاة الله جل شأنه وملائكته الكرام عليهم السلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بذلك أيضاً .

---

(١) سورة الطور (٢٩).

(٢) سورة الفرقان (٤ ـ ٦).

(٣) سورة يس (٦٩).

(٤) سورة الفرقان (٧ ، ٢٠).

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

وجملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ الاسمية ، وصيغة الفعل المضارع ﴿يُصَلُّونَ﴾ تقتضي التجدد والاستمرار ، أي تجدد التمجيد الدائم وقتاً فوقتاً على الدوام ، فيكون المعنى : صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم متجددة باستمرار .

لذا يكون معنى الآية الكريمة ـ والله تعالى أعلم ـ أن الله سبحانه وتعالى أخبر عبادَه بمنزلة عبده ونبيِّه وصفيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عنده في الملأ الأعلى ـ بأنه سبحانه وتعالى يثني عليه عند ملائكته المقربين ـ وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر الله عز وجل العالَـمَ السفليَّ بالصلاة والتسليم عليه ، صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ليجتمع الثناءُ عليه من العالَـمَيْن العلويِّ والسفليِّ جميعاً .

ولهذا قال تعالى : ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ ولم يقل : يصلون عليك ، أو يصلون على محمد ، وذلك تكريماً له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وإشعاراً بما اختصَّ به صلى الله عليه وآله وسلَّم من مزيد الفخامة والكرامة ، وعلوِّ القدر ، حيث لم يخاطبه تعالى باسمه المجرد . كما مر ذلك برقم (٢١).

كما أنه تعالى لم يقل : على رسوله . لأن جانبَ الرسالةِ مرتَبطٌ بالخَلق ، بينما جانب النبوة مرتبط بالخالق ، وأيضاً ليفيد قوةَ استحقاقه صلى الله عليه وآله وسلَّم بالصلاة عليه ، لذا علّقها بالنبوة ، وإن كان قد يعبَّر بالنبوة على الرسالة .

ولهذا أكَّد تعالى ذلك بالألف واللام (الـ) التعريف إشارة إلى أنه صلى

---

(١) سورة الأحزاب (٥٦).

الله عليه وآله وسلَّم المعروف ، والحقيقُ بهذا الوصفِ اللائق وهذا التكريم والتشريف ،... والله تعالى أعلم .

ثم إذا علمنا أن صلاة العبد المسلم على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم هي في الحقيقة طلب من الله تعالى أن يصلي على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأنه يقول : « اللهم صلِّ... » والله تعالى أخبرنا أنه يصلي وملائكته باستمرار : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾ .

فطلب العبد هو تحصيل حاصل ، فهو يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يصلّي على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، مع أنه تعالى أخبرنا أنه يصلّي ،... ومع هذا فإنه تعالى اكتفى بذلك القدر من العبد ، وهو يثيبه عليه أيضاً ، وذلك ـ والله تعالى أعلم ـ أن مقام النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أعلى وأرفع من أن يناله العبد .

ومن محبة الله سبحانه وتعالى المتناهية لنبيِّه الكريم وعلو مقامه لديه ، ورفعة شأنه عنده : لم يرض أن تكون لأحد من الخلق مهما كان مِنَّة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل هي لله تعالى حسب ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا ﴾[1].

فإذا نحن صلينا عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ حقيقة ـ كانت المنَّةُ لنا . بينما المنَّةُ علينا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كما سبق ذكره .

وأيضاً فإن صلاتنا عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم يكون مردودها لنا نحن ، حيثُ يُصلي الله تعالى علينا كلما صلينا على رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم . وتضاعف صلاةُ الله تعالى علينا عشر مرات عند كل مرة .

---

(١) سورة النساء (١١٣).

لهذا فنحن نطلب من الله تعالى أن يصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ لتكون المِنَّةُ لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم من بعده ، وليست للعبد ، والله تعالى أعلم .

ثم ما منزلة صلاتنا نحن البشر بجانب صلاة الملائكة ، بل ما منزلة صلاة الملائكة بجانب صلاة الله سبحانه وتعالى المتجددة المستمرة ؟ وإنما ذلك لإظهار تعظيمه عليه وآله الصلاة والسلام ، وعلوِّ مقامه ، ورفعة شرفه ومكانته ،... ثم لكي يثيبنا الله تعالى على ذلك .

ذلك بأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ليس بحاجة إلى صلاتنا نحن البشر عليه ، طالما أن الله تعالى وملائكته يصلون عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل نحن الذين نستفيد من صلاتنا عليه ، كما سيأتي بيانه ، والله تعالى أعلم .

وثواب المؤمن إذا صلّى على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مرة واحدة : أن يصلي الله سبحانه وتعالى عليه عشراً ،...

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من صلّى عَلَيَّ واحدةً صلّى الله عليه عشراً ». رواه مسلم[1].

وعن عبد الله بن عَمْرِو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أنه سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إذا سمعتم المؤذِّنَ فقولوا مثلَ ما يقول ، ثم صلّوا عليَّ ، فإنه من صلّى عَلَيَّ صلاةً صلّى الله عليه بها عشراً ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٧٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... رقم (١٠).

والصلاة من الله سبحانه وتعالى على عبده : هي إخراج له من الظلمات إلى النور .

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[1] .

فتكون صلاةُ العبد المسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : هي إخراج ذلك المسلم من الظلمات إلى النور ، والله تعالى أعلم .

ثم إن هذه العبادة هي الوحيدة التي طلبها الله تعالى منا نحن المؤمنين ـ بعد فعله وملائكته لها ـ لذا تعتبر هذه العبادة من أجل العبادات . إضافة إلى أنها تعطينا دلالة صريحة واضحة على منزلة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عند ربه عز وجل ، والله تعالى أعلم .

والصلاة على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أعظم وأشرف من سجود الملائكة للآدم عليه السلام بكثير .

قال الإمام سهل بن محمد ـ فيما نقله الواحدي رحمهما الله تعالى[2] ـ : هذا التشريف الذي شرَّف الله تعالى به نبيَّنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ ﴾ أبلغ وأتم من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له ، لأنه لا يجوز أن يكون الله تعالى مع الملائكة في ذلك التشريف ، وقد أخبر الله تعالى عن نفسه بالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عن الملائكة بالصلاة عليه . فتشريفٌ صدر عنه أبلغُ من تشريف تختصُّ به الملائكة من غير جواز أن يكون الله تعالى معهم في

---

(١) سورة الأحزاب (٤٣).

(٢) أسباب نزول القرآن (٣٨٠ ـ ٣٨١).

ذلك.اهـ.

وقد بينتُ فضائل الصلاة والسلام على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في (فضائل المدينة المنورة) فارجع إليه إن شئت[1].

٣٠ـ الإسراء والمعراج :

ومما خصه الله سبحانه وتعالى به أيضاً ـ ولا نعلم أنه قد أعطيه غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ الإسراء والمعراج ـ وما أُكرمه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيهما[2] من : إمامته بالأنبياء والمرسلين والملائكة عليهم السلام ، في بيت المقدس ، وما أُريه من آيات ربه الكبرى في المعراج ، وتكليمه ربه عز وجل ، مع تكرار ذلك ، ورؤيته له ، ورؤيته سدرة المنتهى ، ودخوله الجنة ، ورؤيته النار ، وتجاوزه السبع السموات ، ومراتب الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وسماعه صريف الأقلام ، وما أعطيه من الصلاة ، وخواتيم سورة البقرة ، ثم التخفيف عن هذه الأمة في التكليف ، والمنحة في العطاء ، ومضاعفة الحسنات « ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبت حسنة ، فإن عملها كتبت واحدة ، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة ، فإن عملها كتبت عشراً ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة » وأُعطي « لا حول ولا قوة

---

(١) ثم إني أفردت لها رسالة خاصة جمعت فيها ما صح من الأحاديث ، واستنبطت منها ما يستفاد من فضائل وأحكام ، وبينت في الفصل الأول فيها : مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من واقع الآية الكريمة ، أسأله تعالى إخراجه عن قريب ، والله تعالى المعين والمؤيد .

(٢) لقد أفردت رسالةً خاصة عن الإسراء والمعراج ، ضمن (الآيات الربانية في السيرة النبوية) وهي بعنوان (الآيات البينات بما في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات) وقد قاربت على الانتهاء من الطباعة ، أسأل الله تعالى أن يتقبلها وسائر ما كتبت بقبول حسن ، وأن ينفع بها وبغيرها مما أكتب .

إلا بالله » من كنز من تحت العرش ، واعتراف الأنبياء عليهم السلام له بنبوته ورسالته عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ورؤيته جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية ، وما خصه الله تعالى به من الوحي في المعراج ، حيث لا يعلمه مَلكٌ ولا نبيٌ ولا رسولٌ ، فما كذب فؤادُه ، وما زاغ بصرُه ، صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... إلى غير ذلك كثير .

وقد ثبتت قصة الإسراء بالقرآن الكريم وبالمتواتر من الحديث الشريف ، حيث رواه خمس وأربعون صحابياً ، كما ثبت المعراج بالمتواتر من الحديث الشريف ، وإليه أشار القرآن الكريم .

قال الله سبحانه وتعالى عن الإسراء : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وقال جل شأنه في إشارة إلى المعراج : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[2].

فقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ...﴾ إشارة إلى المعراج الشريف ، لأنه تعالى يشير إلى رؤية

---

(١) سورة الإسراء (١).

(٢) سورة النجم (٣-١٨).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام للمرة الثانية على حقيقته ، عند سدرةَ المنتهى ، وهي موجودة في السماء ، وليست في الأرض ، كما هو معلوم من الأحاديث الشريفة .

وأما الأحاديث فكثيرة متواترة ، لأن أغلبَ من روى الإسراءَ ذكر المعراج[1]. وقد ذكرتُ جملةً منها في الأصل ، كما ذكرت كثيراً منها في الرسالة المعدة عن الإسراء والمعراج ، ضمن كتاب السيرة .

٣١ ـ معجزاته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ما من معجزة أُعطيها نبيٌّ إلا أُعطي النبيُّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مثلها أو أكبر منها .

قال عَمْرُو بنُ سَوّاد رحمه الله تعالى : قال لي الشافعي رحمه الله تعالى : ما أَعطى الله تعالى نبياً ما أَعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فقلت : أَعطى عيسى عليه السلام إحياءَ الموتى .

فقال : أَعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم حنينَ الجذع الذي كان يخطبُ إلى جنبه ، حتى هُيِّءَ له المنبرُ ، فلما هُيِّءَ له المنبرُ ، حنَّ الجذع ، حتى سُمع صوتُه ، فهذا أكبر من ذلك.اهـ[2].

---

(١) انظر أحاديث الإسراء والمعراج : تفسير ابن كثير (٣ : ٢٤ وما بعدها) والخصائص الكبرى (١ : ١٥٢ وما بعدها) والأزهار المتناثرة (٣٥ ـ ٣٦) وقطف الأزهار (٢٦٣ ـ ٢٦٥) ولقط اللآلئ المتناثر (٢٢٤ ـ ٢٢٩) ونظم المتناثر (١٣٢ ـ ١٣٣) وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة (١٣٩) والمواهب اللدنية (٣ : ١٨) وانظر (الآيات البينات ،...) حيث ذكرت أسماء الصحابة الذين رووا تلك الحادثة .

(٢) آداب الشافعي ومناقبه (٨٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٥٥٩) والشمائل لابن كثير (٢٥١) وفتح الباري (٦ : ٦٠٣).

لقد كانت معجزاتُ الأنبياء السابقين عليهم السلام وقتيةً آنيَّةً حسِّيةً ، يُدركها من شاهدها ببصره ، فإذا ذهب زالت وتصبح خبراً ، وقد أعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم من مثل هذه المعجزات والخوارق الكثيرَ ، مثل : انشقاق القمر ، واستجابة الغيم لأمره ، ونبعِ الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام ، وتفجير الماء ، وكلام الشجر ، وسلامها ، وشهادتها له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، واستجابة الحيوانات ، ونطقها ، وحنين الجذع ، وتحرك الجبل [أُحُد ، حِراء ، ثبير] تحته ومعه أشياخ الإسلام رضي الله تعالى عنهم ، وتحرك المنبر ، وتسبيح الطعام ، وسلام الجمادات والحيوانات ، وإبراء المرضى ، وإجابة الدعاء ، وإخباره بالمغيبات ، وإرواء الجيش من الماء القليل ،... وغير ذلك كثير جداً[1]، بلغ بعضُها القطعَ ، وسأذكر واحدة من هذه المعجزات ، وهي (انشقاق القمر) بعد قليل إن شاء الله تعالى .

وقد أفردتُ شوقَ الجمادات وطاعتها له صلى الله عليه وآله وسلَّم في كتاب مستقل ، كما ذكرتُ خلاصتَه في « محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد » فانظرهما إن شئت .

ومعجزاتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ليست في نوع أو صنف واحد ، بل هي مختلفةٌ ، شاملةٌ للعلوي والسفلي ، والصامت والناطق ، والساكن والمتحرك ، والمائع والجامد ، والسابق واللاحق ، والمرئي والمخفي ، والغائب والحاضر ، والباطن والظاهر ، والعاجل والآجل ،...إلخ.

---

(١) لقد أفرد العلماء معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم في كتب خاصة ، لكنْ كثير من تلك الكتب غير منقحة ، وفيها الصحيح وغيره ، ومن أجودها كتاب الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى ، وهو في مجلدين كبار ، وأرجو الله تعالى أن يعينني على إفراد ما صح منها ، فإنه كثير ، وفيه خير كثير .

وهذه المعجزات كبقية معجزات الأنبياء عليهم السلام آنيَّةٌ وقتيةٌ ، وإن كان صلى الله عليه وآله وسلَّم قد انفرد بكثير من ذلك ، لكنها قد زال أثرُها بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أو بعد مَنْ رآها ، وإنما يُسلِّم بها المؤمن الموقنُ ليزداد إيماناً .

أما معجزتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم التي انفرد بها عن جميع الأنبياء السابقين عليهم السلام ، الباقية ما بقي الإنسان في هذه الدنيا ، إنما هي الوحي ـ المتمثِّل بالقرآن الكريم والسنة النبوية[1] ، الذي لا ينضب معينُه ، ولا تَفنى عجائبُه ، ولا تنقطع فوائدُه ،... وهو المحفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى له ـ من التغيير والتبديل والتحريف ـ في الصدور وفي السطور ، فيه دواءٌ وشفاءٌ ، ومواعظ وأحكام ، فيه خبر من سبقنا ، وأحوالُ من بعْدنا ،... وهو حبل الله المتين ، من آمن به واتبعه رشد ، ومن تركه وضلَّ عنه غوى وهلك ، وخاب وخسر ،... ثم هذا الكتاب كذلك ، فكيف والذي نزل عليه أُمِّيٌّ ـ بأمي هو وأمي ـ لا يقرأ ولا يكتب ، وما ينبغي له ، فتضاعفت المعجزة ، والله تعالى أعلم .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما من الأنبياء من نبي إلى أُعطيَ من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً ، أوحى الله إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

---

(١) انظر : السنة النبوية وحي .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب كيف نزل الوحي ، ورواه في التفسير وغيره . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٢٣٩).

٣٢ ـ غُفِرَ له صلى الله عليه وآله وسلَّم ما تقدم من ذنبه وما تأخر :

ومما خصَّ الله سبحانه وتعالى به رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومنحه إياه ، دون سائر الأنبياء عليهم السلام : أن غَفَر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ـ مع أنه معصوم عن الخطأ والزلل ـ وهو حيٌّ صحيحٌ يمشي على الأرض .

وهذا ما سيقوله الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة ، ويقوله الخلقُ يومَ العرض ، مستدرّين عطفَه ، ومثيرين شفقتَه ، ومذكِّرينه رحمتَه صلى الله عليه وآله وسلم بهم ، ليشفع لهم في ذلك اليوم الرهيب ، والموقف الخطير .

وفي هذا دلالةٌ على مدى كرم عظمته ، وعلو قدره ، ورفعة منزلته ،... وارتفاع مكانته صلى الله عليه وآله وسلم عند ربه عز وجل .

وقد جاءت النصوص الكثيرة في ذلك .

قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة ، فرُفعت إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منها نهسةً ، وقال : « أنا سيدُ الناس يومَ القيامة ،... ». الحديث في الشفاعة ، وفيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...فيأتون فيقولون : يا محمد ؛ أنت رسولُ الله ، وخاتَمُ الأنبياء ، وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبِك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2] .

---

(١) سورة الفتح (١ ـ ٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾، =

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إذا كان يوم القيامة ماج الناسُ بعضُهم إلى بعضٍ، فيأتون آدم، فيقولون له: اشفع لذريتك،... ». الحديث بطوله في أمر الشفاعة ـ وفيه قول عيسى عليه السلام: « ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم؛ عبداً قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر،... ». الحديث بطوله، متفق عليه[1].

وهذا قول الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام على لسان المسيح عليه السلام في ذلك الوقت، كما سيأتي عند رقم (٦٤).

وهذه المكرمة الجليلة هي أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما طلع على الأرض.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعنا من الحُدَيْبِيَة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم: « لقد أُنزلت عَلَيَّ آيةٌ أحبُّ إليَّ مما على الأرض » ثم قرأها عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم.

فقالوا: هنيئاً مريئاً يا رسول الله، لقد بيَّنَ الله عز وجل لك ما ذا يفعلُ بك. فماذا يفعلُ بنا؟ فنزلت عليهم: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ متفق عليه، لكن هذا لفظ عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حُميد والترمذي والنسائي في آخرين[2].

= وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم (٣٢٢ـ٣٢٦).

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب كلام الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم (٣٢٢).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣: ٢١٠ ـ ٢١١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٥٠١) ومسند عبد =

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في سفر ، قال : فسألته عن شيء ثلاثَ مرات ، فلم يردَّ عليَّ ، قال : فقلت في نفسي : ثكلتك أمُّك يا ابن الخطاب ؛ نزرت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ثلاثَ مرات فلم يردَّ عليك . قال : فركبت راحلتي ، فتقدمتُ مخافة أن يكون نزل فيَّ شيء ، قال : فإذا أنا بمنادٍ ينادي : يا عمر ؛ أين عمر؟ قال : فرجعت ، وأنا أظن أنه نزل فيَّ شيء ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نزلت عليَّ البارحة سورةٌ هي أحب إليَّ من الدنيا وما فيها : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. رواه البخاري ، وأحمد والنسائي والبزار وهذا لفظهم[1].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى[2] : هذا من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلَّم التي لا يشاركه فيها غيره ، وليس في حديث صحيح في ثواب

= ابن حُميد (٣٥٨ رقم ١١٨٨) ومسند أحمد (٣ : ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٥٢) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة الفتح ، رقم (٣٢٦٣) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ٤٦٢) ومسند أبي عوانة (٤ : ٢٤٧ ـ ٢٥٠ من طرق طبعة الهند) ومسند أبي يعلى (٥ : ٣٠٨ ، ٣٨٥ ، ٤٧٢ ـ ٤٧٣) (٦ : ٢١ ـ ٢٢) وصحيح ابن حبان (١ : ٢٩٤) (٨ : ١٠٨) والمستدرك (٢ : ٤٦٠) وشرح السنة (١٤ : ٢٢٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢١٧) (٩ : ٢٢٢) ودلائل النبوة (٤ : ١٥٧ ـ ١٥٨ ، ١٥٨) وأسباب النزول للواحدي (٤٠٤ ، ٤٠٤ ـ ٤٠٥) وصحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الحديبية ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب صلح الحديبية في الحديبية ، رقم (٩٧)وانظر : الدر المنثور

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الحديبية ، وفي غيرهما . ومسند أحمد (١ : ٣١) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ٤٦١) والبحر الزخار (١ : ٣٨٨ ، ٣٨٩) وقد رواه مالك في موطئه ، ورواه عنه كثيرون .

(٢) تفسير ابن كثير (٤ : ١٨٣ ـ ١٨٤).

الأعمال لغيره « غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وهذا فيه تشريفٌ عظيمٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها سواه ؛ لا من الأوَّلين ولا من الآخِرين ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم أكملُ البشر على الإطلاق ، وسيدُهم في الدنيا والآخرة .

ولما كان صلى الله عليه وآله وسلَّم أطوعَ خلق الله تعالى ، وأشدَّهم تعظيماً لأوامره ونواهيه . قال حين بركتْ به الناقةُ : « حبسها حابسُ الفيل » ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظِّمون به حرمات الله إلا أجبتهم إليها »[1]. فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح ، قال الله سبحانه وتعالى له : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾...إلخ ، والله تعالى أعلم .

ومع هذا كلِّه فقد كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يقوم حتى تتفطر قدماه الشريفتان ، ويقول ـ حينما يُسأل ـ : « أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ». كما في حديثي المغيرة والسيدة عائشة رضي الله تعالى عنهما ، المتفق عليهما[2].

والأحاديث في ذلك كثيرة .

٣٣ ـ تأخير دعوته صلى الله عليه وآله وسلَّم المستجابة :

ومما خص الله سبحانه وتعالى به نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط .

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الفتح : باب ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب إكثار الأعمال والاجتهاد في الصلاة ، رقم (٧٩ ـ ٨١).

دون غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام : أن ألهمه تعالى أن يؤخِّرَ صلى الله عليه وآله وسلَّم دعوتَه المستجابةَ ـ التي منحها الله تعالى له ـ إلى يوم القيامة ، خلافاً للأنبياء السابقين عليهم السلام ، فقد استعجلوا دعواتهم ، فمنهم من دعا بها على قومه ، ومنهم من دعا بها في دنياه ،...

فعن أُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ في المسجد فدخل رجلٌ يصلي ، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه ، ثم دخل آخرُ ، فقرأ قراءةً سوى قراءة صاحبه .

فلما قضينا الصلاةَ ، دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . فقلت : إن هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه ، ودخل آخرُ فقرأ سوى قراءةِ صاحبه . فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرآ . فحسَّن النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم شأنَهما ، فسَقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية .

فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما قد غشيني : ضرب في صدري ، ففضتُ عرقاً ، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقاً ، فقال لي : « يا أُبيُّ ؛ أُرسل إليَّ : أن اقرأ القرآنَ على حرف ، فرددتُ إليه : أن هوِّن على أُمتي ، فردَّ إليَّ الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددتُ إليه أن هوِّن على أمتي ، فردَّ إليَّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف ، فلك بكل رَدَّةٍ رددتُكَها مسألةٌ تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخَّرتُ الثالثة ليومٍ يرغب إليّ الخلقُ كلهم ، حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلَّم » . رواه مسلم[1] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، رقم (٢٧٣).

الله عليه وآله وسلَّم : « إنه لم يكن نبي إلا له دعوةٌ قد تنجَّزها في الدنيا ، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي ، وأنا سيدُ ولدِ آدم يوم القيامة ولا فخر ،... ». الحديث ، رواه أحمد والطيالسي وأبو يعلى والبيهقي ، وفي إسنادهم جميعاً علي ابن جدعان ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، ومسلم مقروناً ، وللحديث شواهد كثيرة[1] ، ومنها ما يأتي ، فهو بها حسن ، وسيأتي ذكره ثانية بأطول عند رقم (٥٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أمتي لا يشركُ بالله شيئاً ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لكل نبيٍّ دعوةٌ دعاها لأمته ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، ٢٩٥ ـ ٢٩٦) ومسند الطيالسي (٣٥٣ ـ ٣٥٤) ومنحة المعبود (٣ : ٢٢٦) ومسند أبي يعلى (٤ : ٢١٣ ـ ٢١٦) ودلائل النبوة (٥ : ٤٨١ ـ٤٨٣) وشعب الإيمان (٢ : ١٨٠ ـ ١٨١) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٢ ـ ٣٧٣) وانظر سنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة بني إسرائيل ، رقم (٣١٤٨) فقد ذكره مطولاً بنحوه ، وصححه . وقد روى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد قطعة منه .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب لكل نبي دعوة مستجابة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان باب اختباء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم دعوة الشفاعة لأمته ، رقم (٣٣٤ ـ ٣٤٠).

(٣) في الصحيحين : في الكتابين والبابين السابقين ، ورقمه عند مسلم (٣٤١ ـ ٣٤٤).

وآله وسلَّم قال : « لكل نبيٍّ دعوةٌ لقد دعا بها في أمته ، وخبَّأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ». رواه مسلم[1].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال : طلبتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ليلةً ، فوجدته قائماً يصلي ، فأطال الصلاةَ ، ثم قال : « أوتيت الليلة خمساً لم يُؤتها نبيٌّ قبلي ، أُرسلتُ إلى الأحمر والأسود ، ونُصرتُ بالرعب ؛ فيرعب العدو وهو على مسيرة شهر ، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطهوراً ، وأُحلِّت ليَ الغنائمُ ، ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي ، وقيل لي : سل تعطه ، فاختبأتُها شفاعةً لأمتي ، فهي نائلةٌ من لم يشرك بالله شيئاً ». رواه أحمد والطيالسي وابن مبارك وابن أبي شيبة والبزار وغيرهم ، وصحّحه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[2].

ورواه أحمد وابن أبي شيبة ـ بإسناد حسن ـ والبزار والطبراني من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[3].

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والحمد لله تعالى على فضله ونعمائه .

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٤٥).

(٢) مسند الطيالسي (٦٤ رقم ٤٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦) ومسند أحمد (٥ : ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٦١ ـ ١٦٢) والزهد والرقائق (٣٧٧ ، ٥٦٣) وسنن الدارمي (٢ : ١٤٢ ـ ١٤٣) والبحر الزخار (٩ : ٤٦١) وكشف الأستار (٤ : ١٦٦ ـ ١٦٧) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٢٧) والمستدرك (٢ : ٤٢٤) وحلية الأولياء (٣ : ٢٧٣) ودلائل النبوة (٥ : ٤٧٣) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧١) وعزاه للبزار بإسنادين حسنين ، وروى أبو داود في سننه ـ برقم ٤٨٩ ـ قطعة منه .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣) ومسند أحمد (١ : ٢٥٠ ، ٣٠١) وكشف الأستار (٤ : ١٦٦) والمعجم الكبير (١١ : ٦١ ، ٧٣) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٨ ـ ٢٥٩) وعزاه لأحمد برجال الصحيح ، وكنز العمال (١١ : ٤٣٨) ودلائل النبوة (٥ : ٤٧٣ ـ ٤٧٤).

٣٤ـ أُعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم جوامعَ الكلم :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأكرمه به ، ومنحه دون غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام : أن أعطاه جوامعَ الكلم ، وهي أن يجمَع له الأمور الكثيرة في العبارة القليلة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ : أُعطيتُ جوامعَ الكلم ، ونُصرتُ بالرعب ، وأُحلَّت لي الغنائمُ ، وجُعلتْ لي الأرضُ طهوراً ومسجداً ، وأُرسلتُ إلى الخلقِ كافةً ، وخُتم بيَ النبيون ». رواه مسلم[١] .

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « بُعثتُ بجوامع الكلم... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[٢] ، وسيأتي لفظه كاملاً بعد قليل ، إن شاء الله تعالى .

وفي لفظ لمسلم : « نُصرتُ بالرعب على العدو ، وأُوتيتُ جوامعَ الكلم ».

وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « أُعطيت خمساً لم يُعطهن نبيٌّ قبلي ؛ نُصرتُ بالرعب ، وأُعطيت جوامعَ الكَلِم ، وأُحلَّت ليَ الغنائمُ ،... ». الحديث ، رواه البزار بسند حسن .

ورواه أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي ، بلفظ : « نُصرتُ بالرعب ، وأُعطيت مفاتيحَ الأرض ». الحديث[٣] وسنده حسن ، وشاهده ما سبق ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نُصرت بالرعب مسيرة شهر » وفي كتابي الاعتصام والتعبير . وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٦ ـ ٨).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٤) ومسند أحمد (١ : ٩٨، ١٥٨) ونسخة أحمد شاكر (٢ : =

وقد عرف الصحابةُ الكرامُ رضي الله تعالى عنهم ذلك عنه .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ومعاذاً إلى اليمن ، فقال : « ادعُوَا الناسَ ، وبشِّرا ولا تنفِّرا ، ويسِّرا ولا تعسِّرا ».

قال : فقلت : يا رسول الله ؛ أَفْتِنا في شرابَيْن كنا نصنعهما باليمن ،... الحديث . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد أُعطِي جوامعَ الكلم بخواتمه ، فقال : « أنهى عن كلِّ مسكر أسكر عن الصلاة ». رواه مسلم[1].

والمراد بجوامع الكلم ـ كما ذكره البخاري عقب حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ قال : وبلغني أن جوامع الكلم : أن الله يجمع الأمورَ الكثيرةَ التي كانت تُكتب في الكتب قبله ، في الأمر الواحد والأمرين ، أو نحو ذلك ».اهـ.

وكما أُعطِيَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم جوامعَ الكَلِم ، أُعطِي خواتمَه أيضاً ، كما أُعطِي فواتحَ الخير وخواتمه .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : كنا لا ندري ما نقول في كل ركعتين ، غير أن نُسَبِّح ونُكبِّر ونحمد ربَّنا ، وإن محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم علم فواتحَ الخير وجوامعَه ـ أو جوامعَه وخواتمَه ـ.

وفي رواية : أُوتي فواتحَ الكلام وخواتمَه ،... الحديث بطوله ، وفيه ذكر التشهد . رواه عبد الرزاق والطيالسي وأحمد والنسائي وابن ماجه .

= ١١٣) والبحر الزخار (٢ : ٢٥١) وكشف الأستار (٣ : ١٤٧ـ١٤٨) والسنن الكبرى (١ : ٢١٣ ـ ٢١٤) ومجمع الزوائد (١ : ٢٦٠ ـ ٢٦١) (٨ : ٢٥٨).

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب بيان أن كل مسكر خمر ، وأن كل خمر حرام ، رقم (٧١).

والطحاوي، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حبان[1]، والله تعالى أعلم.

٣٥ـ أُعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم مفاتيحَ خزائن الأرض:

ومما خص الله عز وجل نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام: أن أعطاه مفاتيحَ خزائن الأرض والخلدَ فيها ثم الجنةَ، لكنه صلى الله عليه وآله وسلَّم اختار لقاءَ ربه تعالى والجنة،...

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «بُعثتُ بجوامعِ الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وبينما أنا نائمٌ أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوُضِعت بين يَدي».

ولفظ البخاري ـ وهو عند مسلم أيضاً ـ: «في يدي».

قال أبو هريرة: فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم؛ وأنتم تنتثلونها». متفق عليه[2].

وعنه رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال: «بينا أنا نائم أُتيت بخزائن الأرض؛ فَوَضَع في يدَيَّ أُسوارين من ذهب،

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٢ : ٢٠٠) ومسند الطيالسي (٣٩ رقم ٣٠٤) ومسند أحمد (١: ٤٠٨، ٤٣٧) وسنن النسائي: كتاب التطبيق: باب كيف التشهد الأول (٢ : ٢٣٨) وسنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب خطبة النكاح، رقم (١٨٩٢) وشرح معاني الآثار (١: ٢٦٣) وصحيح ابن خزيمة (١: ٣٥٦) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٠٥) والمعجم الكبير (١٠: ٥٦، ٥٧، ٦٠) وحلية الأولياء (٧: ١٧٨ـ ١٧٩) أما التشهد فهو ثابت في الصحيحين.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم: «نُصرت بالرعب مسيرة شهر» وفي كتابي الاعتصام والتعبير. وصحيح مسلم: كتاب المساجد، رقم (٦ـ ٨).

فكبُرا عليَّ ، وأهمَّاني ، فأُوحي إليَّ : أن انفُخْهما ، فنفختُهما ، فذهبا ، فأوَّلتُهما الكذّابَيْن اللَّذين أنا بينهما ؛ صاحبَ صنعاء ، وصاحبَ اليمامة ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خرج يوماً ، فصلّى على أهل أُحُدٍ صلاتَه على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : « إني فرطٌ لكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، وإني - والله - لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني قد أُعطيت مفاتيحَ خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني - والله - ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها ». متفق عليه[2].

وعن أبي مُوَيْهِبَة - مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم - ورضي الله تعالى عنه قال : بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من جوف الليل ، فقال : « يا أبا مُوَيْهِبَة ؛ إني قد أُمرتُ أن أستغفرَ لأهل البقيع ، فانطلِقْ معي » ،... الحديث ، وفيه : ثم أقبل عليَّ ، فقال : « يا أبا مُويْهِبة ؛ إني قد أُوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا ، والخلدَ فيها ، ثم الجنة ، وخُيِّرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنة » قال : قلت : بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيحَ الدنيا والخلدَ فيها ، ثم الجنة ، قال : « لا ، والله ، يا أبا مُويْهِبة ، لقد اخترتُ لقاءَ ربي والجنة ». ثم استغفَر لأهل البقيع ، ثم انصرف .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال . وصحيح مسلم : كتاب الرؤيا : باب رؤيا النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٢٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الشهيد ، ورواه في غيرهما أيضاً . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلَّم وصفاته ، رقم (٣٠ ـ ٣١).

فبُدئ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه حين أصبح . رواه أحمد وابن سعد وحماد بن إسماعيل والدارمي ، والطبراني في الكبير بإسنادين ؛ أحدهما ثقات ، والدولابي في الكنى ، والحاكم وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي ، وغيرهم[1].

وكما أن الله عز وجل أعطى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيحَ خزائن الأرض ؛ فإنه جل وعز أعطاه مفاتيحَ كل شيء أيضاً .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمْس : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[2] رواه أحمد والطيالسي والطبراني ، برجال الصحيح ، لأن سند الطبراني نفس سند أحمد ،... وأصله في البخاري بغير هذا اللفظ[3].

ورواه أحمد والحميدي والطيالسي والطبري وأبو يعلى برجال الصحيح ،

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٨٨ ـ ٤٨٩ ، ٤٨٩) والمعجم الكبير (٢٢ : ٣٤٦ ـ ٣٤٨) وتاريخ المدينة (١ : ٨٦ ـ ٨٧ ، ٨٧) وسنن الدارمي (١ : ٣٨) والكنى للبخاري (٧٣ ـ ٧٤) والكنى للدولابي (٥٧ ـ ٥٨ ، ٥٨) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٠٤) والسيرة لابن هشام (٤ : ٢٤٦ ـ ٢٤٧) وتركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٥١ ـ ٥٢) وكشف الأستار (١ : ٤٠٨) والمستدرك (٣ : ٥٥ ـ ٥٦ ، ٥٦) ومجمع الزوائد (٩ : ٢٤) وكنز العمال (١٢ : ٢٦٢ ـ ٢٦٣) حيث عزاه أيضاً للبغوي وابن منده وابن عساكر .

(٢) سورة لقمان (٣٤).

(٣) مسند الطيالسي (٢٤٩) ومسند أحمد (٢ : ٨٥) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٦٠ ـ ٣٦١) وتفسير الطبري (٢١ : ٨٨) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٦٣).

وحسنه ابن كثير ، من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أيضاً بنحوه[1]، والله تعالى أعلم .

٣٦ ـ إسلام قرينه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما خصّ اللهُ سبحانه وتعالى به نبيَّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم ، وأكرمه به : أن جعل قرينَه من الجنِّ مسلماً ، فلا يأمره إلا بخير .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّل به قرينُه من الجنِّ » قالوا : وإياك يا رسولَ الله ؟ قال : « وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه ، فأسلمَ ، فلا يأمُرُني إلّا بخير ». رواه مسلم[2].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خرج من عندها ليلاً ، قالت : فغرتُ عليه . فجاء فرأى ما أصنع . فقال : « مالَكِ يا عائشة ؟ أَغِرتِ ؟ » فقلتُ : وما لي لا يغار مثلي على مثلِكَ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أقد جاءَكِ شيطانُك ؟ » قالت : يا رسول الله ؛ أوَ مَعِيَ شيطانٌ ؟ قال : « نعم » قلتُ : ومع كلِّ إنسان ؟ قال : « نعم » قلت : ومعكَ يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، ولكن ربي أعانني عليه

---

(١) مسند أحمد (١ : ٣٨٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٥) ومسند الحميدي (١ : ٦٨) ومسند الطيالسي (٥١ رقم ٣٨٥) ومسند أبي يعلى (٩ : ٨٦) والمقصد العلي ، رقم (٥٦) ومسند الشاشي (٢ : ٣٠٧ رقم ٨٨٦ ، ٨٨٧) وتفسير الطبري (٢١ : ٨٩) وتفسير ابن كثير (٣ : ٤٥٣).ومجمع الزوائد (٨ : ٢٦٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب تحريش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس ، رقم (٦٩).

حتى أسلم ». رواه مسلم[1].

وعن شريك بن طارق رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما منكم من أحد إلا وله شيطان » قالوا : ولك يا رسول الله ؟ قال : « ولي ، إلا أن الله تبارك وتعالى أعانني عليه فأسلم ». رواه البزار - برجال الصحيح - والطبراني في الكبير ، والبخاري في تاريخه ، ومسدّد وأبو يعلى ، وصحّحه ابن حبان والبوصيري[2].

والأحاديث في ذلك كثيرة .

٣٧ - نُصِر صلى الله عليه وآله وسلَّم بالرعب مسيرةَ شهر :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأكرمه به دون غيره من الأنبياء عليهم السلام : أن نصرَه سبحانه وتعالى بالرعب مسيرة شهر .

وخُصَّ الشهر بالذِّكر - والله تعالى أعلم - لأنه لم يكن عدوٌّ يبعد عنه - آنذاك - أكثر من شهر ذهاباً[3].

فقد مر قبل قليل حديثُ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « بُعثتُ بجوامع الكلم ، ونُصرتُ بالرعب ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[4].

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٠).

(٢) كشف الأستار (٣ : ١٤٦) ومختصر زوائد البزار (٢ : ٢٧٧) والمعجم الكبير (٧ : ٣٧) والتاريخ الكبير (٤ : ٢٣٩) وصحيح ابن حبان (٨ : ١١٠) وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ٧٥ - ٧٦) وعزاه لمسدد وأبي يعلى والبزار ، ومجمع الزوائد (٨ : ١٢٥) وانظر الإصابة (٣ : ٣٤٦ - ٣٤٧) حيث عزاه لعدد من الحفاظ .

(٣) انظر : فتح الباري (٦ : ١٢٨).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نصرت =

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحد ـ زاد البخاري في روايته : [من الأنبياء] قبلي ـ... ونصرت بالرعب بين يَدَي مسيرة شهر ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال : طلبتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ليلةً ، فوجدته قائماً يصلي ، فأطال الصلاةَ ، ثم قال : « أُوتيتُ الليلةَ خمساً ، لم يؤتها نبيٌّ قبلي ؛ أُرسلتُ إلى الأحمر والأسود ، ونصرتُ بالرعب ، فيرعب العدو وهو على مسيرة شهر ،... ». الحديث بطوله ، رواه ابن أبي شيبة وابن المبارك وأحمد والطيالسي والبزار وغيرهم ، وصحّحه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي ، وقد مر قبل قليل .

ورواه أحمد وابن أبي شيبة والطبراني والبزار من حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسناد حسن[2].

ورواه أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي أيضاً من حديث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بإسناد حسن أيضاً[3]، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ ،... ونُصرت بالرعب ». هذا القدر متفق عليه[4] أيضاً .

= بالرعب مسيرة شهر » ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٦ ـ ٨).

(١) سبق تخريجه في « عموم رسالته » رقم (١٥) حيث ذكر كاملاً هناك .

(٢) سبق ذكرهما عند رقم (١٥) وعند رقم (٣٣).

(٣) سبق ذكره عند رقم (٣٤).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نُصرتُ =

والأحاديث في ذلك كثيرة .

ومما يدخل في هذا الباب قصة أبي سفيان ـ قبل إسلامه ـ مع هرقل .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن أبا سفيان أخبره ، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ،... الحديث ، وفيه : قال هرقل : فإن كان ما تقول حقاً فسيملكُ موضعَ قدميَّ هاتين ، وقد كنتُ أعلم أنه خارجٌ ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشَّمْت لقاءَه ، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدميه ،... الحديث .

قال أبو سفيان : فقلت لأصحابي حيث أُخرجنا : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كبشة ، إنه يخافه مَلِكُ بني الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر ، حتى أَدخل اللهُ عليَّ الإسلام .

وفي لفظ للبخاري : قال أبو سفيان : والله ، ما زلتُ ذليلاً ، مستيقناً بأن أمرَه سيظهر ، حتى أدخل اللهُ تعالى قلبيَ الإسلامَ ، وأنا كاره . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وكما أن الله سبحانه وتعالى نصر عبدَه وصفيَّه ورسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالرعب مسيرة شهر ، وأن العدوَّ يهابه صلى الله عليه وآله وسلَّم من هذه المسافة ، فإن الله سبحانه وتعالى نصر نبيَّه وصفيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بريح الصَّبا التي يقال لها : القبول .

= بالرعب مسيرة شهر » وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٥) وقد سبق ذكره كاملاً عند رقم (١٥) من رواية مسلم .

(١) صحيح البخاري : كتاب الوحي : باب (٧) حدثنا أبو اليمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى هرقل ، رقم (٧٤).

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « نُصرتُ بالصَّبا ، وأُهلكتْ عادٌ بالدَّبور ». متفق عليه[1].

والصَّبا : ريح تهبُّ من الشرق ، من مطلع الشمس ، إذا استوى الليل والنهار ، وقيل فيها غير ذلك . ويقال لها القبول .

والدَّبور: ريح تهب من الغرب ، ويقال لها : الريح الغربية ، وهي تقابل ريح الصَّبا ، وهي التي أُهلكت بها قوم عاد .

ومن لطيف المناسبة : كون القبول [الصفا] نصرتْ أهلَ القبول ، [رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته رضي الله تعالى عنهم] وكون الدَّبور أهلكتْ أهلَ الإدبار [قومَ ثمود] وأن الدَّبور أشدُّ من الصّبا ـ [كما في قصة هلاك قوم عاد ،...] أنها لم يخرج منها إلّا قدْرٌ يسيرٌ[2]، ومع ذلك استأصلتهم ، قال الله تعالى : ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[3].

ولما علم الله سبحانه وتعالى رأفةَ نبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقومه ، رجاء أن يُسلموا ؛ سلَّط عليهم الصَّبا ، فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين ، لما أصابهم بسببها من الشِّدَّة ، ومع ذلك فلم تُهلك منهم أحداً ، ولم تستأصلهم.اهـ من الفتح[4].

وفي الحديث دلالة على تفضيل بعض المخلوقات على بعض ، كما قال

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب ما جاء في قوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الاستسقاء : باب في ريح الصَّبا والدبور ، رقم (١٧).

(٢) انظر : فتح الباري (٦ : ٣٧٧) لبيان مقدار ما فتح من الدبور على قوم عاد .

(٣) سورة الحاقة (٨).

(٤) فتح الباري (٢ : ٥٢١).

الحافظ رحمه الله تعالى .

٣٨ ـ شهادة الله وملائكته له صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد بلغ الأمرُ ذروتَه في التعظيم والتقدير والتفخيم : أن يشهد اللهُ تعالى وملائكتُه الكرامُ عليهم السلام لنبيِّه وصفيِّه وحبيبه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على أمور في غاية الأهمِّيَّة ، أنه أُنزل عليه الكتابُ بالحق ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم أرسله اللهُ تعالى للناس كلهم ، وأن دينَه سيظهر على الأديان كلِّها ،... لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم مرسَلٌ بدين الحق .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1] .

فقد شهد تعالى له بأن نزول القرآن إنما هو بعلم الله تعالى ، لأنه تعالى هو الذي أنزله على نبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك الملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيداً .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2] .

فقد شهد عز وجل له بأنه صلى الله عليه وآله وسلم مرسَل من عنده ، وكذلك من آمن من أهل الكتاب يشهدون .

وقال الله عز وجل : ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[3] .

---

(١) سورة النساء (١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) سورة الرعد (٤٣).

(٣) سورة النساء (٧٩).

فقد شهد عز وجل له صلى الله عليه وآله وسلم بأنه مرسَل إلى الناس ، ويكفيه تلك الشهادة .

وقال الله عز وجل : ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١) .

وقال الله جل شأنه : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾(٢) .

حيث شهد تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم بظهوره على جميع الأديان .

وقال جل شأنه : ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ * أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ * قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾(٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(٤) .

وهذا تأكيد من الله تعالى بأن رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يهدي إلى صراط الله تعالى المستقيم . وكذا ما يأتي من الآيات التالية .

وقال تعالى : ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾(٥) .

---

(١) سورة الأحقاف (٨).

(٢) سورة الفتح (٢٨).

(٣) سورة العنكبوت (٥٠ ـ ٥٢).

(٤) سورة الشورى (٥٢ ـ ٥٣).

(٥) سورة الفتح (٢٩).

وقال جل شأنه : ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[2].

والآيات في ذلك كثيرة ، والحمد لله تعالى على فضله ونعمائه .

٣٩ ـ إمامتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم بالأنبياء عليهم السلام في بيت المقدس :

ومما يدل على تقديمه صلى الله عليه وآله وسلَّم عند الله تعالى ، وفضله ، وعلوِّ مقامه ، وعظم شأنه ، ورفعة قَدْره صلى الله عليه وآله وسلَّم : صلاتُه بالأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ليلةَ أُسري به إماماً في بيت المقدس ، إذ لا يؤم القومَ إلا الأَخْيَرُ والأفضَلُ والأَعْلَمُ والأكْمَلُ ، خاصّة في مثل هذا الموقف الرهيب ، والجمع الكريم ، والذي قدَّمه ليصلّي بهم إماماً هو جبريل عليه السلام ، وما كان لجبريل إن يقدِّمه من تلقاء نفسه ، إنما هو بأمر الله عز وجل ، كما هو صريحٌ في الحديث ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لقد رأيتُني في الحِجْرِ ، وقريشٌ تسألني عن مسراي ، فسألتني عن أشياءَ من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربتُ كربةً ما كربتُ مثلَه قط ، قال : فرفعه اللهُ لِيَ أنظر إليه ، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ». الحديث . وفيه :

---

(١) سورة القلم (١ ـ ٤).

(٢) سورة البقرة (٢٨٥).

« وقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء ،... فحانت الصلاةُ ، فأممتهم ، فلما فرغتُ من الصلاة ، قال قائل : يا محمد ؛ هذا مالِكٌ صاحبُ النار ، فسلِّم عليه ، فالتفت إليه ، فبدأني بالسلام ». رواه مسلم[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « أُتيتُ بدابةٍ ، فوق الحمار ودون البغل ،... ». الحديث ، وفيه : « ثم دخلتُ بيتَ المقدس ، فجُمع لي الأنبياءُ عليهم السلام ، فقدَّمني جبريلُ ، حتى أممتُهم ». الحديث ، رواه النسائي والطبري[2]. وأصل الحديث متفق عليه .

والأحاديث كثيرة ، والأمر مشهور بين أهل العلم ، والله تعالى أعلم .

٤٠ ـ قرنُه صلى الله عليه وآله وسلَّم خيرُ قرون بني آدم :

ومما خصَّ الله سبحانه وتعالى نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن جعل القرنَ الذي بَعث فيه رسوله الكريم هو خيرُ قرون الناس كلِّها ، كما أن قرنَه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو خيرُ قرون أمته ، والقرونِ التي تلي قرنَه صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى يوم القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « بُعثت من خير قرون بني آدم ؛ قَرْناً فقَرْناً ، حتى كنتُ من القرن الذي كنت منه ». رواه البخاري[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام ، والمسيح الدجال ، رقم (٢٧٨) وفيه ذكر إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

(٢) سنن النسائي : كتاب الصلاة : باب فرض الصلاة (١ : ٢٢١ ـ ٢٢٢) وتهذيب الآثار (١ : ٤٥٢ ـ ٤٥٣) وتفسير الطبري (١٧ : ٣٣٣) ورواه بنحوه من حديث مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « خيرُ قرون الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه ، ويمينُه شهادتَه ». متفق عليه[1].

وعن عِمران بن حُصَين رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « خيرُكم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم [قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه : قرنين أو ثلاثة ؟] ثم إن بعدهم قوماً يَشهدون ولا يُستشهدون ، ويَخونون ولا يُؤتمنون ، ويُنذِرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السِّمنُ ».

زاد في رواية عند مسلم : « ويحلفون ولا يُستحلفون ». متفق عليه[2].

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سأل رجلٌ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : أيُّ الناس خيرٌ ؟ قال : « القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث ». رواه مسلم[3].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ، وفي كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي الرقاق ، وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ،... رقم (٢١١ ـ ٢١٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، رقم (٢١٤ ـ ٢١٥).

قوله : « ويظهر فيهم السِّمَن » يحتمل أنهم يحبون التوسع في المآكل والمشارب ـ وهي أسباب السمن ـ وقيل : إنهم يريدون الاستكثار من الأموال ، ويدَّعون ما ليس لهم من الشرف ، ويفخرون بما ليس فيهم من الخير.اهـ من جامع الأصول (٨ : ٥٤٩).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢١٦).

وآله وسلَّم : « خيرُ أمتي القرنُ الذي بُعثتُ فيهم ، ثم الذين يلونهم » والله أعلم أذكر الثالث أم لا ؟ قال : «ثم يخلُف قومٌ يُحبّون السَّمانةَ ، يَشهدون قبل أن يُستشهدوا ». رواه مسلم[1].

والأحاديث في هذا كثيرة ، ولله الحد والمنة .

٤١ـ ما بين بيته ومنبره صلى الله عليه وآله وسلَّم روضةٌ من رياض الجنة :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأكرمه به : أن جعل تعالى بعض مسجده من رياض الجنة ، وهي الأرضُ الواقعة ما بين بيته الذي يبيت فيه ، ومنبره الذي يخطب عليه ، صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والحديث في ذلك متواتر ، كما بينتُه في (فضائل المدينة المنورة) كما أن منبرَه على حوضه ، كما سيأتي تفصيله ، إن شاء الله تعالى في المبحث الثاني من هذا الفصل عند رقم (٦٦). أقتصر هنا على ذكر بعض الأحاديث الشريفة .

فعن عبد الله بن زيد المازني رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة ». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢١٣).

وقوله : « يحبون السّمانة » أي السِّمَن ، والمراد بالسِّمن : كثرة اللحم ، والمذموم هو المتكسب له بكثرة الأكل والشرب ، زائداً على المعتاد ، والله تعالى أعلم ، انظر مسلم للنووي .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة : باب فضل ما بين القبر والمنبر . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ، رقم (٥٠٠ ، ٥٠١).

وسلَّم قال : « ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي ». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة ، أو عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي ». رواه مالك وأحمد والطحاوي برجال الصحيح هكذا بالشك ، ورواه أحمد والطحاوي وابن عبد البر والبيهقي أيضاً برجال الصحيح ، وفيه : (عن أبي هريرة وأبي سعيد)[2] بدون شك ، والله تعالى أعلم .

وعن علي بن أبي طالب وأبي هريرةَ رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة ». رواه الترمذي وحسنه[3].

والأحاديث في ذلك كثيرة والحمد لله تعالى ، وقد استوعبتُ النصوصَ ، وبيانَ معنى الحديث في « فضائل المدينة المنورة » فارجع إليه إن شئت .

---

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وكذا في فضائل المدينة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٠٢).

(٢) الموطأ : كتاب القبلة : باب ما جاء في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١٠) ومسند أحمد (٢ : ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ، ٥٣٣) (٣ : ٤) وشرح مشكل الآثار (٤ : ٦٩) والتمهيد لابن عبد البر (٢ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦) والبعث والنشور (١٢٩ ـ ١٣٠) ومجمع الزوائد (٤ : ٨).

وأما ما ورد بلفظ « ما بين قبري ومنبري » فأحاديثه كثيرة ، ولي فيها رسالة مستقلة ، وهكذا عنونه الإمام البخاري رحمه الله تعالى (باب فضل ما بين القبر والمنبر). وانظر فضائل المدينة المنورة ، ومختصره ، للجمع بين اللفظين « ما بين بيتي » وَ « ما بين قبري ». وانظر شرح مشكل الآثار ، فقد أطال النفس في الجمع بينهما .

(٣) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل المدينة ، رقم (٣٩١٥).

٤٢ ـ أُعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم انشقاقَ القمر :

ومما خصَّ الله سبحانه وتعالى به نبيَّه وصفيَّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم : انشقاق القمر، وهذا مما لا يُعلم حدوثه في تاريخ البشرية لأحد قبله ، وحصل ذلك عندما طلبت قريشٌ منه صلى الله عليه وآله وسلم أن يُريهم آيةً تدل على نبوته ورسالته ، فأراهم انشقاقَ القمر ، حيث انشق إلى فلقتين ، ورأى الناسُ جبلَ حراء بينهما ، لكنهما بقيا في السماء ، ولم يسقطا على الأرض . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اشهدوا ».

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم قصةَ الانشقاق ، كما تواتر عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك[١]. مع ذكر السبب والكيفية ، وسوف أذكر بعض الروايات إن شاء الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ * وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ * وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٍ مُّسۡتَقِرٌّ﴾[٢].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن أهلَ مكة سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يُريهم آيةً ، فأراهم انشقاق القمر . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[٣].

---

(١) انظر : نظم المتناثر (١٣٥ رقم ٢٦٤) وإتحاف ذوي الفضائل (١٤٠) وفتح الباري (٧ : ١٨٣ وما بعدها).

(٢) سورة القمر (١ ـ ٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم آية ، فأراهم انشقاق القمر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب انشقاق القمر ، رقم (٤٦).

زاد في رواية للبخاري[١]: فأراهم القمرَ شِقَّتَين، حتى رأوا حراء[٢] بينهما

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمنى، إذ انفلق القمر فِلقَتين، فكانت فلقةٌ وراء الجبل، وفلقةٌ دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «اشهدوا». متفق عليه، واللفظ لمسلم[٣].

وفي رواية للبخاري: فقال لنا صلى الله عليه وآله وسلَّم: «اشهدوا، اشهدوا».

وفي رواية لمسلم[٤]، عنه رضي الله تعالى عنه قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «اللهم اشهد».

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن القمرَ انشقَّ على زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم. متفق عليه[٥].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: انفلق القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «اشهدوا، اشهدوا». رواه مسلم - ولم يسق لفظه، وأحال على

---

(١) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب انشقاق القمر، وفي غيرهما.

(٢) المراد بحراء: جبل من جبال مكة المكرمة، يقع فيه الغار الذي كان يتعبَّد فيه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل البعثة (غار حراء) وهو على يسار السائر من مكة إلى منى.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة القمر: باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، وكتاب مناقب الأنصار: باب انشقاق القمر. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٥).

(٤) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٥).

(٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب انشقاق القمر، وفي كتاب التفسير: سورة القمر. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٨).

الحديث السابق ـ والترمذي، وصححه، وغيرهما[1].

وعن جُبَير بن مُطعِم رضي الله تعالى عنه قال: انشق القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، حتى صار فرقتين: فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سَحَرنا محمدٌ. فقال بعضهم: لئن كان سَحَرنا فإنه لا يستطيع أن يَسْحَر الناسَ كلهم». رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم والطبراني والبيهقي بإسناد صحيح[2].

زاد رزين في الرواية[3]: «فكانوا يتلقَّوْن الركبان، فيخبرونهم أنه قد رأوه فيكذبوهم».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: انشق القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، فقالت قريش: هذا سِحْرُ ابنِ أبي كبشة. قال: فقالوا: انتظروا ما تأتيكم به السّفار. فإن محمداً لا يستطيع أن يسحرَ الناس كلَّهم. قال: فجاء السّفار، فقالوا ذلك.

وفي رواية: انظروا السّفار، فإن كانوا رأَوا ما رأيتُم، فقد صدق، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم؛ فهو سحرٌ سَحَركم به. قال: فسُئل السّفار ـ قال:

---

(١) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٨٠١) وسنن الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في انشقاق القمر، رقم (٢١٨٢) وكتاب التفسير: من سورة القمر، رقم (٣٢٨٨).

(٢) مسند أحمد (٤ : ٨١ ـ ٨٢) وسنن الترمذي: كتاب التفسير: سورة القمر، رقم (٣٢٨٩) وصحيح ابن حبان (٨: ١٤٥ ـ ١٤٦) وموارد الظمآن (١٥٩ رقم ٢١٠٨) والمستدرك (٢ : ٤٧٢) والمعجم الكبير (٢ : ١٣٧ ـ ١٣٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٢٦٨) وانظر تفسير الطبري (٢٧ : ٥١) والشمائل لابن كثير (١٤٦) والنكت الظراف (٢ : ٤١٥).

(٣) جامع الأصول (١١ : ٣٩٨ رقم ٨٩٣٧).

وقدموا من كل وجه ـ فقالوا : رأينا . رواه الطيالسي وأبو طاهر الذهلي وأبو نعيم والبيهقي ، ورواه البخاري تعليقاً ولم يسق لفظه كاملاً[1].

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى[2] : انشقاقُ القمر آيةٌ عظيمةٌ لا يكاد يعدلها شيءٌ من آيات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وذلك أنه أمرٌ ظهر في ملكوت السماء ، خارجٌ عن جملة طباع ما في العالم المركَّب من الطبائع الأربع ، فيطمع في نيله بحيلة وعلاجٍ وتأليفٍ وتركيبٍ ، ونحوِها من الأمور التي يتعاطاها المحتالون ، ويتصنَّعُ لها المتكلِّفون ، فلذلك صار الخَطْبُ فيه أعظمَ ، والبرهانُ به أظهرَ وأبهرَ ... ثم ذكر ردَّه على منكري هذه المعجزة . فانظره إن شئت .

٤٣ ـ يرى صلى الله عليه وآله وسلَّم من رواء ظهره :

ومما خص الله سبحانه وتعالى به نبيَّه وصفيَّه الكريمَ سيِّدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن جعله يرى من وراء ظهره ، كما يرى من أمامه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « هل تَرون قِبلتِي ها هنا ؟ فوالله ما يخفى عليَّ خشوعُكم ، ولا ركوعُكم ، إني أراكم من وراء ظهري » . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3] .

---

(١) مسند الطيالسي (٣٨) ومنحة المعبود (٢ : ١٢٣ رقم ٢٤٤٧) ومسند الشاشي (١ : ٤٠٢ رقم ٤٠٤) والبحر الزخار (٥ : ٣٤٤) وتفسير الطبري (٢٧: ٥٠ ـ ٥١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١: ٣٦٩ ـ ٣٧٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٢٦٦ ـ ٢٦٧) وفتح الباري (٧ : ١٨٤) وتغليق التعليق (٤ : ٨٩ ـ ٩٠).

(٢) أعلام الحديث (١٦١٨ ـ ١٦٢٠) وانظر فتح الباري (٧ : ١٨٥) حيث لخص جوابه .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة . =

وفي رواية عند مسلم[1] عنه رضي الله تعالى عنه قال : صلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوماً ؛ ثم انصرف ، فقال : « يا فلان ؛ ألا تحسن صلاتَك ؟ ألا ينظرُ المصلي إذا صلى كيف يُصلي ؟ فإنما يُصلي لنفسه ، إني والله لأُبصرُ مِنْ ورائي ، كما أُبصر من بين يدي ».

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، قال : صلى بنا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم صلاةً ، ثم رقى المنبرَ ، فقال في الصلاة ، وفي الركوع : « إني لأراكم من ورائي ، كما أراكم ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

وفي رواية لهذا الحديث : « ...فوالذي نفسي بيده ، إني لأراكم من خلفي ، كما أراكم من بين يدي ». رواه أحمد والنسائي وأبو عوانة وأبو يعلى والبغوي وأبو نعيم[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ألا أدلكم على شيء يكفِّر الخطايا ، ويزيدُ في الحسنات ؟... ». الحديث ، وفيه : « فإذا قمتم إلى الصلاة ، فاعدلوا صفوفَكم ، وسُدُّوا الفُرَجَ ، فإذا كبَّر الإمامُ فكبِّروا ، فإني أراكم من ورائي ،... ». الحديث ، رواه أحمد

= وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها ، رقم (١٠٩).

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠٨).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١١٠).

(٣) مسند أحمد (٣ : ٢٦٨ ، ٢٨٦) وسنن النسائي : كتاب الإمامة : باب كم مرة يقول : استووا (٢ : ٩١) والسنن الكبرى (٢ : ٢٨٨) ومسند أبي عوانة (٢ : ٤٣ ط الهند) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤٦) وشرح السنة (٣ : ٣٦٥ـ٣٦٦) ودلائل النبوة (٢ : ٥٦٥ـ٥٦٦).

وعبد بن حُميد وابن حبان وأبو يعلى والبيهقي واللفظ لهم ، ورواه ابن خزيمة والحاكم وابن ماجه والدارمي مختصراً ، وبإسنادين أحدهما صحيح ، والآخر حسن[1].

قال الإمامُ النوويُّ رحمه الله تعالى ـ في شرحه لصحيح مسلم[2] ـ : قال العلماء : معناه أن اللهَ تعالى خلق له صلى الله عليه وآله وسلَّم إدراكاً في قَفاه ، يُبصُر به مِنْ ورائه . وقد انخرقت العادةُ له صلى الله عليه وآله وسلَّم بأكثر من هذا ، وليس يمنع من هذا عقلٌ ولا شرعٌ ، بل ورد الشرعُ بظاهره ، فوجب القولُ به .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : قال أحمدُ بن حنبل وجمهورُ العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ: هذه الرؤيةُ روية عين حقيقية .اهـ، والله تعالى أعلم .

قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشرٌ ، لكنه ليس كالبشر ، فالبشر لا يبصرون من الخلف ، كما أن عينَه الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم تبصر ما لا يبصره الناس ، ويدَه المنيفةَ يصدر منها ما لا يصدر من أيادي الناس ، وأذنَه الكريمةَ تسمع ما لا تسمعه آذان الناس ،... وهناك الكثير[3].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣) ومسند عبد بن حُميد (٣٠٣ رقم ٩٨٤) وسنن الدارمي (١ : ١٤٣) وسنن ابن ماجه : كتاب الطهارة : باب ما جاء في إسباغ الوضوء ، وكتاب المساجد : باب المشي إلى الصلاة ، رقم (٤٢٧ ، ٧٧٦) وصحيح ابن خزيمة (١ : ٩٠ ، ١٨٥) وأشار إليه كاملاً مطولاً ، وصحيح ابن حبان (١ : ٣١٠) والمستدرك (١: ١٩١ ـ ١٩٢) ومسند أبي يعلى (٢ : ٥٠٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ١٦) ومجمع الزوائد (٢ : ٩٢ ـ ٩٣) والفتح الرباني (٥ : ٣٠٦ـ٣٠٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (٤ : ١٤٩ ـ ١٥٠) وانظر إكمال المعلم (٢ : ٣٣٧) وفتح الباري ، وشرح النسائي للسيوطي عند هذا الحديث .

(٣) انظر : (الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة) حيث بينت ما حصل لكل عضو من =

ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم يبقى بشراً ؛ منحه الله تعالى ذلك : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[1]. فكيف يتعامل المسلمون مع نبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي منحه الله تعالى ذلك بل أكثر ؟

٤٤ ـ رؤيته صلى الله عليه وآله وسلَّم في المنام حق :

ومما خص الله سبحانه وتعالى به نبيَّه وصفيَّه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن أكرم من رآه في المنام فقد رآه حقاً ، وأن الشيطانَ لا يتمثلُ به ، ولا يظهرُ بمظهره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل أكرم الله تعالى من رآه صلى الله عليه وآله وسلَّم في المنام : فسيراه في اليقظة أيضاً ، وكلُّ هذا من فضل الله تعالى ، وإكرامِه لنبيِّه وصفيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن ثم للرائي .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطانَ لا يتمثَّلُ بي ». متفق عليه[2].

وعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من رآني فقد رأى الحقَّ ». متفق عليه[3].

= أعضائه الشريفة من الخوارق ، أسأله تعالى الإعانة على إخراجه .

(١) سورة الكهف (١١٠) وسورة فصلت (٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم . وصحيح مسلم : كتاب الرؤيا : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من رآني في المنام فقد رآني » ، رقم (١٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التعبير : باب من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في المنام . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١١).

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطانَ لا يتمثَّلُ بي . ورؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة ». رواه البخاري[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «من رآني فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يَتكوَّنُني». رواه البخاري[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطانَ لا يتمثلُ بي ». رواه أحمد والدارمي وابن ماجه وأبو يعلى والطبراني والبزار وأبو نعيم ، وصححه الترمذي وأبو عوانة ، وإسناد الباقين صحيح أيضاً[3].

وفي رواية أحمد والترمذي[4]: « من رآني في المنام فأنا الذي رآني ... ».

وعن جابرٍ رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من رآني في النوم فقد رآني ، إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثَّلَ ـ [وفي

---

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٣) مسند أحمد (١ : ٣٧٥ ، ٤٠٠ ، ٤٤٠) وسنن الدارمي (٢ : ٤٨ ـ ٤٩) وسنن الترمذي : كتاب الرؤيا : باب ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من رآني في المنام فقد رآني » رقم (٢٢٧٦) والشمائل له (٣٤٧) وسنن ابن ماجه : كتاب تعبير الرؤيا : باب رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في المنام ، رقم (٣٩٠٠) ومسند أبي يعلى (٩ : ١٦١ ـ ١٦٢) والمعجم الأوسط (٢ : ١٣٦) والبحر الزخار (٥ : ٤٣٧) ومسند الشاشي (٢ : ١٧٦ ، ١٧٦ـ ١٧٧) وحلية الأولياء (٤ : ٣٤٨) (٧ : ٢٤٦) وفتح الباري (١٢ : ٣٨٣).

(٤) مسند أحمد (١ : ٤٥٠) وسنن الترمذي : كتاب الرؤيا : باب في تأويل الرؤيا ، رقم (٢٢٨٠).

لفظ : يتشبَّه] ـ في صورتي ». رواه مسلم[1].

وعن أبي جُحَيْفَةَ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة ، فإن الشيطانَ لا يتشبَّه بي ». رواه ابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان والطبراني في الكبير وأبو يعلى ـ بإسنادين ـ حسنين ، فهو صحيح ، وصححه البوصيري[2].

وقد تواتر هذا المعنى عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد رواه عددٌ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، سوى هؤلاء أيضاً ، وما ذكرته كافٍ للتدليل .

وأما رؤيته صلى الله عليه وآله وسلَّم في اليقظة لمن رآه في المنام :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثل الشيطانُ بي ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[3].

وهذه الأحاديث تفيد عدة أمور ، يهمني منها :

ـ مكانة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى .

ـ حفظه صلى الله عليه وآله وسلم من الشيطان ، حتى في المنام ، لمن رآه .

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢ ـ ١٣).

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب تعبير الرؤيا : باب رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في المنام ، رقم (٣٩٠٤) وصحيح ابن حبان (٧ : ٦١٨) والمعجم الكبير (٢٢ : ١١١، ١١٨) من أربع طرق ، ومسند أبي يعلى (٢ : ١٨٤ ـ ١٨٥) وإتحاف المهرة (١٣: ٦٩٦) ومصباح الزجاجة (٤ : ١٥٤).

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين : وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١١).

ـ اختصاصه صلى الله عليه وآله وسلم عن عدم تمثّل الشيطان بصورته حتى في المنام .

ـ تكريم الذي رآه صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ، بأنه رآه حقيقة .

ـ من رآه في المنام فسيراه في اليقظة ، وهذا إكرام من الله عز وجل لنبيِّه وصفيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن ثم للرائي .

ولا أدخل في التفاصيل ، لأن بابها واسع ، ولكن أقول : من زعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ، فعليه أن يستحضر ما ورد من التشديد فيمن يُري عينه ما لم تر .

وكل هذا دالٌّ على عُلُوِّ قدرِه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعِظم مقامه ، ورفعةِ درجتهِ عند ربِّه تعالى ، وكمالِ شأنه ، وتفضيله على من سواه ، والله تعالى أعلم .

٤٥ ـ عرض الأنبياء عليهم السلام مع أممهم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما خص اللهُ سبحانه وتعالى نبيَّه وصفيَّه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأكرمه به : أن عَرَض عليه الأنبياءَ عليهم السلام ، وكلّ نبيٍّ وتكون أمتُه معه ، حتى أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فكانت أمتُّه هي أكثر الأمم ، بينما يمرُّ بعضُ الأنبياء عليهم السلام ـ ممن عُرض عليه ـ وليس معه إلا النفر القليل ، بل منهم من ليس معه أحد ، إنما هو بمفرده .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « عُرضت عليَّ الأممُ ، فأخذ النبيُّ يمر معه الأُمَّةُ ، والنبيُّ يمر معه النفرُ ، والنبيُّ يمر معه العشرةُ ، والنبيُّ يمر معه الخمسةُ ، والنبيُّ يمر وحده ،... ».

الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « عُرِضَ عليَّ الأنبياءُ ؛ فإذا بموسى ضربٌ من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة[2] ،... ». الحديث ، رواه مسلم[3].

وعن عِمران بن حُصَين رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « عُرِض عليَّ الليلةَ الأنبياءُ ؛ فكان الرجل يجيء معه الرجل ، ويجيء معه الرجلان ، ويجيء معه النفر كذلك ، حتى رأيت سواداً كثيراً ، فظننتُ أنهم أمتي . فقلتُ : من هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء قومُ موسى . ثم رأيتُ سواداً كثيراً قد سدَّ أفقَ السماء ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء من أمتك ، ففرحتُ لذلك وسُررتُ به [ثم قيل لي : انظر ، فنظرتُ فقلت : من هؤلاء ؟ قال : فقيل : هؤلاء أمتُك . ففرحت لذلك واستبشرت] ثم قيل لي : إنه يدخلون الجنة بعد هؤلاء من أمتك سبعون ألفاً لا حساب ولا عذاب... ». الحديث بطوله ، رواه ابن حبان والطبراني وابن منده برجال ثقات ، وقد روى آخره مسلمٌ وأبو عوانة وأحمد ـ وهو دخول السبعين ألفاً الجنة بغير حساب ولا عذاب »[4].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وفي كتاب الطب : باب من لم يرق . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، رقم (٣٧٤).

(٢) شنوءة : قبيلة من القبائل العربية . وأزد شنوءة : هم حي من اليمن .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وفرض الصلوات ، رقم (٢٧١).

(٤) صحيح ابن حبان (٧ : ٦٢٩ ـ ٦٣٠) والمعجم الكبير (١٨ : ٢٤١) وكتاب الإيمان لابن =

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال :تحدثنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذات ليلة ، وأكْرَيْنا الحديث[1] ، قال : ثم تراجعنا إلى البيوت ، فلما أصبحنا ، غدونا على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « عُرضت عليَّ الأنبياءُ الليلةَ بأتباعها من أمتها ، فجعل النبيُّ يجيء ومعه الثلاثةُ من قومه ، والنبيُّ ومعه العصابةُ ، والنبيُّ ومعه النفرُ ، والنبيُّ ليس معه أحد من قومه ،... ». الحديث بطوله ، رواه الطيالسي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد والطبراني والبزار وأبو يعلى وابن حبان وصحّحه الحاكم وأقره الذهبي، وصححه ابن كثير والحافظ ابن حجر، ورجال أحمد وأبي يعلى والبزار رجال الصحيح أيضاً[2].

٤٦ ـ جعل خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما خص اللهُ سبحانه وتعالى به رسولَه وحبيبَه وصفيَّه سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن جعل بين كتفيه خاتمَ النُّبُوَّة ، فيكون صلى الله عليه وآله وسلَّم خاتمَ الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ويحمل خاتمَ

= منده (٣ : ٨٧٦) وانظر صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدّجال ، رقم (٢٧٨) ومسند أحمد (٤: ٤٣٦ ،٤٤٣) ومسند أبي عوانة (١: ٨٦ ـ ٨٧).

(١) قوله : « أكرينا الحديث » أي أخَّرنا الحديث .

(٢) مسند الطيالسي (٥٣ ـ ٥٤ رقم٤٠٤) ومصنف عبد الرزاق (١٠ : ٤٠٨ ـ ٤٠٩) ومسند ابن أبي شيبة (١ : ٢٦٧ ـ ٢٦٨) ومسند أحمد (١ : ٤٠١ ، ٤٢٠) وشرح مشكل الآثار (١ : ١٥٣ ـ ١٥٤ ، ١٥٤) والمعجم الكبير (١٠ : ٥ ـ ٨) ومسند أبي يعلى (٩ : ٢٣١ ـ ٢٣٣) والبحر الزخار (٤ : ٢٧٠ ـ ٢٧٢) وكشف الأستار (٤ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ١١٥ ـ ١١٦) (٩ : ٢٢٠) والمستدرك (٤ : ٥٧٧ ـ ٥٧٨) وانظر تفسير ابن كثير (١ : ٣٩٢ـ ٣٩٣) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٠٤ـ ٣٠٥) (١٠ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦) وفتح الباري (١١ : ٤٠٧).

النبوةِ ، وخُتم به صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد ولادته ، وهو يرضع في بني سعد ، والله تعالى أعلم .

فعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال : ذهَبتْ بي خالتي إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقالت : يا رسول الله ؛ إن ابن أختي وجعٌ ، فمسح رأسي ، ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ ، فشربت من وضوئه ، ثم قمتُ خلف ظهره ، فنظرتُ إلى خاتمه بين كتفيه ، مثل زرِّ الحَجَلة . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1] .

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله تعالى عنهما قالت : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مع أبي ، وعليَّ قميصٌ أصفرٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « سَنَهْ سَنَهْ » ـ وهي بالحبشية : حسنة ـ قالت : فذهبتُ ألعبُ بخاتم النبوَّةِ ، فزَبَرني أبي ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « دعها »... الحديث ، رواه البخاري[2] .

وأم خالد ، اسمها : أَمةُ بنت خالد بن سعيد ، طفلةٌ صغيرةٌ وُلدت في الحبشة ، يوم كان المسلمون هناك ، ثم قدمت مع أبيها بعد خيبر ، ولما كبرت تزوجها الزبير بن العوام ، فولدت له عدداً من الأولاد منهم : خالد ، وبه تُكنى ، وقد عمَّرت ، لذا كان صلى الله عليه وآله وسلَّم حين أعطاها هذه البردة ـ كما هو مصرح في عدد من الروايات عند البخاري وغيره ـ مازحها ولاطفها لصغر سنها ، ولكنها تعقل وتميز ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب خاتم النبوة ، وكتاب الوضوء ، وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات خاتم النبوة ، وصفته ، ومحله من جسده صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (١١١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من تكلم بالفارسية والرطانة ، وفي غيرهما .

وعن عبد الله بن سَرْجِس رضي الله تعالى عنه قال : رأيت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأكلتُ معه خبزاً ولحماً ،... الحديث ، وفيه : قال : ثم دُرتُ خلفه ، فنظرتُ إلى خاتم النُّبوَّة بين كتفيه ، عند ناغض كتفه اليسرى ، جُمْعاً ، عليه خِيلانٌ كأمثال الثآليل . رواه مسلم[١] .

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال : رأيت خاتماً في ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كأنه بيضةُ حَمَامٍ . رواه مسلم[٢] .

وفي رواية له عنه رضي الله تعالى عنه قال[٣] : ورأيت الخاتم عند كتفه ، مثل بيضة الحمامة ، يشبه جسده .

وعن عَمْرِو بن أخطب رضي الله تعالى عنه قال : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا أبا زيد ؛ ادن مني ، وامسح ظهري » وكشف ظهره ، فمسحت ظهره ، وجعلتُ الخاتم بين أصابعي ، قال : فغمزتها ـ (وفي رواية : فوقع خاتم النبوة بين أصبعيَّ) ـ قال : فقيل : وما الخاتم ؟ قال : شعر مجتمع على كتفه (وفي رواية : فسئل عن خاتم النبوة؟ فقال : شعرات بين كتفيه). رواه أحمد والترمذي والفسوي وأبو يعلى والطبراني ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[٤] ورجال أغلبهم رجال الصحيح .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات خاتم النبوة ، وصفته ومحله من جسده صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (١١٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : الباب السابق ، رقم (١١٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب شيبه صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (١٠٩).

(٤) مسند أحمد (٥ : ٧٧ ، ٣٤١) والمعرفة والتاريخ (١ : ٣٣١) والشمائل للترمذي (٤٤ رقم ٢٠) وصحيح ابن حبان (٨ : ٧٢) والمستدرك (٢ : ٦٠٦) ومسند أبي يعلى (١٢ : ٢٤٠) والمعجم الكبير (١٧ : ٢٧) والشمائل للبغوي (١ : ١٥٥) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٨٠ ـ ٢٨١).

وفي حديث سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه في قصة إسلامه ، وذِكْر ما أوصاه صاحب عمورية : أي بني ؛ والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي . هو مبعوثٌ بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجَرُه إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ... الحديث ، وذكر قصة إسلامه ـ وفي آخره بعد اكتشافه للخصلتين السابقتين : يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقةَ ـ قال : ثم جئت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو ببقيع الغرقد ، وقد تبع جنازة من أصحابه ، عليه شملتان له ، وهو جالسٌ في أصحابه ، فسَلَّمتُ عليه ، ثم استدبرتُه أنظرُ إلى ظهره ، هل أرى الخاتمَ الذي وصَفَ لي صاحبي؟ فلما رآني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم استدبرتُه ، عرف أني أَستثبتُ في شيء وُصِف لي . قال : فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرتُ إلى الخاتم ، فعرفتُه ، فانكببتُ عليه أُقَبِّله ، وأبكي ، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « تحول » فتحوَّلْتُ ، فقصصتُ عليه حديثي ،... رواه أحمد وابن إسحاق وابن سعد والطبراني والبيهقي وأبو نعيم وأبو الشيخ والخطيب البغدادي وابن حبان ، وكلهم من حديث ابن إسحاق ، عن عاصم ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس به . وهؤلاء من رجال الصحيح ، وقد صرح ابنُ إسحاق بالتحديث ، وصححه المنذري .

كما رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن سعد وابن حبان وأبو نعيم من طريق آخر رجاله ثقات .

وهو مروي من حديث بُريدة رضي الله تعالى عنه ، برجال الصحيح

أيضاً[1]، والله تعالى أعلم .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة والحمد لله[2].

وأما زمن ختمه صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الخاتم فهو عندما كان يرضع في بني سعد .

عن عتبة بن عبدٍ السُّلميِّ رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : كيف كان أولُ شأنك يا رسول الله ؟ قال : « كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر ،... ». الحديث بطوله ، في ذكر قصة رضاعه ، وشق صدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفيه : « ثم قال أحدُهما لصاحبه : حُصْه ، فحاصه ، وختم عليه بخاتم النبوة ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد والدارمي وابن أبي عاصم والطبراني والبيهقي ، بإسناد حسن ،

---

(١) السير والمغازي (٨٧ ـ ٩١) والسيرة النبوية لابن هشام (١ : ٢٤٧ ـ ٢٥٢) بشرح الروض الأنف ، والطبقات الكبرى (٤ : ٧٥ ـ ٨٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٣٢١ ـ ٣٢٤) ومسند أحمد (٥ : ٤٤١ ـ ٤٤٤ ، ٤٣٨). والمعجم الكبير (٦ : ٢٧٢ ـ ٢٧٧) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٣٩ ـ ٣٤٧) وحلية الأولياء (١ : ١٩٠ ـ ١٩٥) وأخبار أصبهان (١ : ٤٩) ولم يسق لفظه ، والسيرة النبوية لابن حبان (٢٤١ ـ ٢٤٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ١٢٧ ـ ١٢٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٩٢ ـ ٩٧) وطبقات المحدثين بأصبهان (١ : ٢٠٩ ـ ٢١٧) وتاريخ بغداد (١ : ١٦٤ ـ ١٦٩) وانظر أسد الغابة (٢ : ٢٦٥ ـ ٢٦٧) وسير أعلام النبلاء (١ : ٥٠٦ ـ ٥١١) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٣٢ وما بعد) وقال : رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع ، ورجال الثانية عند أحمد رجال الصحيح غير عَمْرو بن أبي قرة الكندي وهو ثقة . والسيرة لابن كثير (١ : ٢٩٦ ـ ٣٠٧) وكشف الأستار (٣ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩) والشمائل للترمذي (٤٤ ـ ٤٥) وروياه من حديث بريدة برجال الصحيح أيضاً .

(٢) قال الترمذي رحمه الله تعالى بعد إيراده لحديث السائب بن يزيد ـ في كتاب المناقب : باب في خاتم النبوة ـ : وفي الباب عن سلمان : وقرة بن إياس ، وجابر بن سمرة ، وأبي رمثة ، وبريدة ، وعبد الله بن سرجس ، وعمرو بن أخطب ، وأبي سعيد رضي الله تعالى عنهم .

وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

٤٧ ـ اطلاعه صلى الله عليه وآله وسلَّم على المغيبات :

ومما خصَّ الله سبحانه وتعالى به نبيَّه وصفيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : أن أخبر عن أمورٍ لم يُسبق لنبيٍّ من الأنبياء أن أخبر بها ، كما أن الله سبحانه وتعالى أطلعه على كثير مما سيقع ، بل أطلعه على ما كان وما هو كائن ، إلى أن يدخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النارِ النارَ ، ولا أستطيع حصرَ ذلك في هذه السطور ، وإنما أشير إلى ذلك بذكر بعض الأحاديث ، وقد ذكرتُ كثيراً من ذلك في ـ الباب الرابع ـ من (السنة النبوية وحي) وَ (مختصر أشراط الساعة) فانظرهما إن شئت .

أما ما جاء في الاطلاع على المغيبات عموماً ما كان وما يكون :

فعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مقاماً ، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة ، إلّا حدَّث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيءُ قد نسيتُه ، فأراه ، فأذكره ، كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

أي أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم من وقته إلى قيام الساعة ، لأن

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٨٤ ـ ١٨٥) وسنن الدارمي (١ : ١٦ ـ ١٧) والآحاد والمثاني (٣ : ٥٦ ـ ٥٧ ، ٥٧) والمعجم الكبير (١٧ : ١٣١) ومسند الشاميين (٢ : ١٩٧ ـ ١٩٩) والمستدرك (٢ : ٦١٦ ـ ٦١٧) ودلائل النبوة (٢ : ٧ ـ ٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ : ٢٢٢) : رواه أحمد والطبراني ـ ولم يسق المتن ـ وإسناد أحمد : حسن .

(٢) صحيح البخاري : كتاب القدر : باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة ، رقم (٢٣).

(إلى) حرف يفيد الغاية ، والله تعالى أعلم .

وقول حذيفة رضي الله تعالى عنه : (ما ترك شيئاً يكون ،...) أي لم يترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً مُهِمّاً ؛ ذا بالٍ ، يحتاجون إلى معرفته إلّا أخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم أصحابَه رضي الله تعالى عنهم وأمتَه عنه .

وقوله رضي الله تعالى عنه : (وإنه ليكون منه الشيء قد نسيتُه ،...) أي لبعد العهد ، وتطاول الزمن قد نسيه ، فإذا رآه تذكَّر ما كان قد قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم . حالُه حالُ من غاب عنه صديقٌ فترةً طويلة من الزمن ، فنسيه لبعد الفترة ، فإذا رآه تذكَّره وعرفه ، والله تعالى أعلم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : قام فينا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم مقاماً ، فأخبَرَنا عن بدء الخلق ؛ حتى دخلَ أهل الجنة منازلَهم ، وأهلُ النار منازلَهم ، وحفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه . رواه البخاري[1] .

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : أخبرني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيء إلا قد سألته ، إلا أني لم أسأله : ما يُخرج أهل المدينة من المدينة ؟. رواه مسلم[2] .

وقوله رضي الله تعالى عنه : (أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما هو كائن) أي من الأمور المهمة التي تحتاج إلى بيان وإخبار ، ليعلم حُكمَها ، حتى إذا أدركها ـ أو أدرك بعضَها ـ يتَّقِيها ، والله تعالى أعلم .

وقد أخذ بيان تلك الأمارات من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وقتاً ، في مجلسٍ طويل ، حتى بيّن ذلك لهم . ويوضّحه ما يلي :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن : الباب السابق ، رقم (٢٤).

عن عَمْرِو بن أخطب الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الفجرَ ، وصعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهرُ ، فنزل فصلّى ، ثم صعد المنبرَ ، فخطبنا حتى حضرت العصرُ ، ثم نزل فصلّى ، ثم صعد المنبرَ ، فخطبنا حتى غربت الشمسُ ، فأخبرنا بما كان ، وبما هو كائن ، فأعلمُنا أحفظُنا . رواه مسلم[1].

أي أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيب السحيق في القدم ـ بدء الخليقة ـ وعن الغيب البعيد في المستقبل ـ نهاية الخلق ، ودخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وما بين ذلك ، والله تعالى أعلم .

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : والله إني لأعلمُ الناس بكل فتنة هي كائنةٌ فيما بيني وبين الساعة . وما بي إلّا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَسَرَّ إِلَيَّ في ذلك شيئاً ، لم يُحدِّثه غيري ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ـ وهو يحدِّث مجلساً أنا فيه عن الفتن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعُدُّ الفتنَ ـ : « منهن ثلاثٌ لا يكدن يذرن شيئاً ، ومنهن فتنٌ كرياح الصيف ، ومنها صغارٌ ، ومنها كبار ».

قال حذيفة : فذهب أولئك الرَّهطُ كلُّهم غيري . رواه مسلم[2].

وفي رواية لأبي داود[3] عنه رضي الله تعالى عنه قال : والله ما أدري أَنَسيَ أصحابي أم تناسوا ، والله ، ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِن قائدِ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فيما يكون إلى قيام الساعة ، رقم(٢٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب إخبار النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة ، رقم (٢٢).

(٣) سنن أبي داود : كتاب الفتن : باب ذكر الفتن ودلائلها ، رقم (٤٢٤٣).

فتنةٍ إلى انقضاء الدنيا ؛ يبلغ مَن معه ثلاثَمائةٍ فصاعداً ، إلّا قد سمّاه لنا باسمه ، واسم أبيه ، واسم قبيلته . وإسناده حسن .

فهذه الأحاديث تدل على اطّلاعه صلى الله عليه وآله وسلَّم على غيب الماضي ، كما تدل على اطّلاعه صلى الله عليه وآله وسلَّم على غيب المستقبل . حيث تكلم صلى الله عليه وآله وسلَّم عن بدء الخليقة ، وعن دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وما كان بين الزمنين البعيدين من حوادث وأخبار وأمور مهمة ،... وكل ذلك بإطلاع الله تعالى ووحيه له ، والله تعالى أعلم .

وأما ما جاء في إخباره صلى الله عليه وآله وسلم على المغيبات الجزئية ، من الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، فكثيرٌ جدّاً ، أذكر بعضَها للتنبيه :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى ، فصفَّ بهم ، وكبَّر أربع تكبيرات . متفق عليه[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزُهما في سبيل الله » . متفق عليه[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسولُ الله صلى الله عليه وآله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الرجل ينعي لأهل الميت بنفسه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب التكبير على الجنازة ، رقم (٦٢ ـ ٦٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت ، رقم (٧٥ ـ ٧٧).

وسلَّم في الناس ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجالَ فقال : « إني لأُنذركموه ، ما من نبيٍّ إلا وقد أنذره قومَه ، لقد أنذره نوحٌ قومَه . ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيٌّ لقومه : تعلموا أنه أعور ، وإن الله تبارك وتعالى ليس بأعور ». متفق عليه[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما من نبيٍّ إلا وقد أنذر أمتَه الأعورَ الكذاب ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، ومكتوبٌ بين عينيه (ك ف ر) ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ـ في قصة الملحمة الكبرى ، ونصر المسلمين على الروم النصرَ الحاسم ، ومجيء الصريخ بظهور الدّجّال ، وفيه : « فيبعثون عشرة فوارس طليعةً » قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني لأعرف أسماءهم ، وأسماء آبائهم ، وألوانَ خيولهم ، هم خيرُ فوارسَ على ظهر الأرض يومئذٍ ،... ». رواه مسلم[3].

ومن ذلك أيضاً : إخبارُه صلى الله عليه وآله وسلَّم عن دلائل النبوة ، وأشراط الساعة ، والفتن والملاحم ،... وهذا باب واسع جداً ؛ أُفردتْ له مؤلفاتٌ كبيرة وكثيرة ، وذكرتُ خلاصة ذلك في (مختصر أشراط الساعة).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وإنما القصد التنبيه لا الاستقصاء هنا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب كيف يعرض الإسلام على الصبي . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر ابن صياد ، رقم (٩٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الفتن : باب ذكر الدجال . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر الدجال وصفته ، رقم (١٠١).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال ، رقم (٣٧).

وليست هذه هي الخصال التي انفرد بها النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عن غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام في الدنيا ، وإنما هي أكثر من ذلك ، كما ذكرتُ أولَ البحث ، لكن ما ذُكر كافٍ للدلالة على علوِّ قدره ، وسمو منزلته ، وتفرُّده في ذاته وصفاته ، ورفعة مكانته صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه تعالى ، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى الأصل ، وإلى فضائل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كما وردت في القرآن العظيم ، والله تعالى من وراء القصد .



المبحث الثاني
ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به لذاته في الآخرة

وأما ما أكرم الله سبحانه وتعالى به رسولَه وصفيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة ، وخصَّه تعالى به عن جميع الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فهو أيضاً كثير ، والحمد لله على فضله ، لكني سأقتصر على ذكر بعض الخصائص التي انفرد صلى الله عليه وآله وسلَّم بها ، للتنبيه والإشعار ، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى الأصل وفضائل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ،... ففيهما أضعاف ما في هذا الكتاب .

٤٨ ـ وصفه صلى الله عليه وآله وسلَّم بالشهادة :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى نبيَّه وصفيَّه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم شهيداً على الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وشهيداً على أمته ، كما جعله سبحانه وتعالى شاهداً لهم أيضاً ، وعلى الأمم السابقة ، وأذكر الآيات الكريمة ، ثم يليها بعض الأحاديث الشريفة .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[1] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[2] .

---

(١) سورة الأحزاب (٤٥ ـ ٤٦).

(٢) سورة الفتح (٨ ـ ٩).

أما شهادته صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء عليهم السلام :

فقد قال الله جل شأنه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[1].

وقال الله عز شأنه : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[2].

وأما كونه صلى الله عليه وآله وسلَّم شهيداً على أمته وشاهداً لها :

فقد قال جل جلاله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾[4].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[5].

وأما النصوص الحديثية فكثيرة : أقتصر على ذكر بعضها للتنبيه :

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُدٍ في ثوب واحد ، ثم يقول : « أيهم أكثرُ أخذاً للقرآن ؟ » فإذا أُشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد ، وقال : « أنا شهيد على

---

(١) سورة النساء (٤١).

(٢) سورة النحل (٨٩).

(٣) سورة البقرة (١٤٣).

(٤) سورة المزمل (١٥).

(٥) سورة الحج (٧٨).

هؤلاء يوم القيامة ،... ». الحديث ، رواه البخاري[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يُدعى نوحٌ يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يا رب . فيقول : هل بلَّغتَ ؟ فيقول : نعم . فيقال لأمته : هل بلَّغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهدُ لك ؟ فيقول : محمدٌ وأُمَّتُه ، فيشهدون أنه قد بلغ [وفي لفظ : فيُجاء بكم فتشهدون] ويكون الرسول عليكم شهيداً . فذلك قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ». رواه البخاري[2]. وللحديث طرق وألفاظ أخرى . وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى عند رقم (٨٥).

وعن عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خرج يوماً ، فصلّى على أهل أُحُدٍ صلاتَه على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : « إني فرطٌ لكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، وإني ـ والله ـ لأنظرُ إلى حوضي الآن ، وإني قد أعطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرض ـ أو مفاتيحَ الأرض ـ وإني ـ والله ـ ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها ». متفق عليه[3].

لقد ذُكر في هذا الحديث أمران متنافيان من حيث الظاهر :

ـ الفَرَط : وهو الذي يتقدمُ قومَه ليُصلِحَ لهم ، ويُهَيِّءَ لهم ما يلزمهم ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الشهيد ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة البقرة ، وكتاب الاعتصام : باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴾ وكتاب الأنبياء : باب ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾.

(٣) سبق تخريجه ولفظه عند رقم (٣٥).

وهنا هو صلى الله عليه وآله وسلَّم فَرَطٌ على الحوض .

ـ والثاني : الشهادةُ على أمته ، وهذا يقتضي تأخُّرَه وحضوره حتى يشهد عليهم .

قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى[1]: قد أخبر عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث بأمرين : كونه فَرَطاً لهم ؛ يتقدمهم بعمل مصلحتهم . وشهيداً عليهم ، يشهد عليهم بأعمالهم ، فكأنه باقٍ فيهم لم يتقدمهم ، بل يبقى بعدهم حتى يشهدَ بأعمال آخرهم . فجمع اللهُ تعالى له ما بين هاتين الصفتين اللتين تتنافيان في حقِّ غيره .

فهو عليه الصلاة والسلام قائمٌ بأمرهم في الدّارَيْن ، في حالتي حياتِه وموتِه صلى الله عليه وآله وسلَّم.اهـ.

قلت : وذلك بعرض الأعمال عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيشهد بذلك ، والله تعالى أعلم .

فأمتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم تشهد للأنبياء السابقين عليهم السلام على أممهم ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم يشهد لهذه الأمة كذلك ، كما سأذكره في المبحث الثاني ، من الفصل الثاني (ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به في أمته في الآخرة). إن شاء الله تعالى ، عند رقم (٨٥).

٤٩ ـ ما أعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم من الشفاعات :

لقد أُعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم شفاعات كثيرةً ـ أوصلها بعضُهم إلى ثلاث عشرة شفاعة[2] ـ شَركَه في بعضها غيرُه ، سواء من أمته ، أو من الأنبياء

---

(١) طرح التثريب (٣ : ٢٩٧).

(٢) انظر فتح الباري (١١ : ٤٢٨ ـ ٤٢٩). وانظر الأصل ، وكتاب الشفاعة ، حيث ذكرتها ، وذكرت أدلة كل نوع .

عليه وعليهم الصلاة والسلام . وقد ذكرتها في الأصل ، وفي كتاب (الشفاعة) وذكرت أدلتها ، وهذه عناوينها :

١ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في إراحة الخلق جميعاً من هول الموقف (الشفاعة العظمى).

٢ ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب .

٣ ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في قوم من هذه الأمة حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يُعذّبوا .

٤ ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في إخراج من أُدخل النار من عصاة هذه الأمة .

٥ ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في رفع درجات أقوام ممن دخلوا الجنة .

٦ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة ، وهم أهل الأعراف في أرجح الأقوال ، والله تعالى أعلم .

٧ ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في إدخال من لا حساب عليهم من الباب الأيمن ، وكذا إدخال أمته الجنة قبل سائر الناس .

٨ ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم فيمن قال : لا إله إلّا الله ، ولم يعمل خيراً قط .

٩ ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لأهل المدينة المنورة خاصة ، وهي نوعان بل ثلاثة . من صبر على لأوائها ، ومن مات فيها ، وهم أول من يشفع صلى الله عليه وآله وسلم لهم .

١٠ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في عمه أبي طالب ، وهذه من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم .

١١ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لأهل القبرين عندما غرز في كل قبر سعفةً من جريد .

١٢ ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لأهل الكبائر من أمته .

١٣ ـ شفاعة أمته صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم في بعض .

وهذه الشفاعات التي خصه الله سبحانه وتعالى بها دون غيره نوعان : منها ما يكون قبل بدء الحساب ، ومنها ما يكون بعده .

ما كان قبل الحساب : ما جاء في حديث جابر رضي الله تعالى عنه ، عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي ،... وأُعطيتُ الشفاعةَ ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

فهذه هي الشفاعة العظمى ، لإراحة الخلق من هول الموقف وطوله .

وأذكر هنا بعضَ الأحاديث للدلالة على ذلك من غير استقصاء ، ومن أراد معرفةَ الأحاديث فيها فلينظر في كتاب (الشفاعة) الباب الثالث ، فقد ذكرتُ جملةً صالحةً في ذلك .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيد الناس يوم القيامة ،... يجمع الله يومَ القيامة الأوَّلين والآخِرين في صعيد واحد ،... ». الحديث بطوله ، وفي آخره : « فيأتوني فيقولون : يا محمد ؛ أنت رسولُ الله ، وخاتمُ الأنبياء ، وغفَر اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبك

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التيمم : الباب الأول . وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٣). وقد سبق ذكر الحديث ، مفرقاً مقطعاً ، وفي روايات أخرى ، في مواطن .

وما تأخَّر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟

فأنطلقُ ، فآتي العرشَ ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتحُ الله عَلَيَّ ، ويُلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحْهُ لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، سل تُعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : يا ربِّ ؛ أُمتي أُمتي . فيقال : يا محمد ؛ أدخل الجنةَ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن ، من أبواب الجنة ، وهم شركاءُ الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ،... ». الحديث ، متفق عليه[١].

وعن أنسٍ رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إذا كان يوم القيامة ماجَ الناسُ بعضُهم إلى بعضٍ ، فيأتون آدمَ ، فيقولون له : اشفع لذريتك ،... » ثم يذكر إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم يأتونه صلى الله عليه وآله وسلَّم « قال : فيقال لي : ارفع رأسك ، وقل يُسمع ، وسل تُعطه ، واشفع تُشفَّع . فأقول : يا رب ، أُمَّتي أُمَّتي . فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من بُرَّةٍ أو شعيرةٍ من إيمان فأخرجه منها ،... فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من خردل من إيمان ، فأخرجه منها ،... فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبَّةٍ من خردل من إيمان ، فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل ». متفق عليه[٢].

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ... فيحدُّ لي حدّاً ، ثم أُخرجهم من النار ، وأُدخلهم الجنةَ ، ثم

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٢٦).

أعود فأقع ساجداً ، مثله في الثالثة أو الرابعة ، حتى ما يبقى في النار ، إلا من حبسه القرآن ». متفق عليه[1].

قوله : « حبسه القرآن » : أي وجب عليه الخلود في النار .

تنبيه : في هذين الحديثين اختصار ، إذ فيهما بيان الشفاعة العظمى ، وبيان شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لأمته ؛ في إدخال من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من الجنة ، ثم في شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في العصاة من أمته بعد دخولهم النار . فهذه ثلاثة أمور .

وعن عمران بن حُصَيْن رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يخرج قومٌ من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم فيدخلون الجنةَ ، يُسمَّوْن الجَهَنَّميين ». رواه البخاري[2].

وعن جابر رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من قال حين يسمع النداءَ : اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامَّةِ ، والصلاةِ القائمةِ ، آتِ محمداً الوسيلةَ ، والفضيلةَ ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة ». رواه البخاري[3].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما ، أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إذا سمعتم المؤذِّنَ : فقولوا مثلَ ما يقول ، ثم صلُّوا عليَّ ، فإنَّه من صلَّى عليَّ صلاةً ، صلَّى اللهُ عليه بها عشراً ، ثم سلوا اللهَ لِيَ الوسيلةَ ، فإنها منزلةٌ في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : الباب السابق ، رقم (٣٢٢ ـ ٣٢٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الدعاء عند النداء ، وفي غيرهما .

أكونَ أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلةَ ، حلت له الشفاعة ». رواه مسلم(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ». رواه الطيالسي وأحمد وأبو داود وابن أبي عاصم والبزار والطبراني ، وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وابن كثير والضياء(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ». رواه الطيالسي والترمذي وحسنه ، وابن ماجه وابن خزيمة ، في آخرين ، وصحّحه ابن حبان والحاكم(٣).

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن ،... رقم (١١).

(٢) مسند الطيالسي (٢٧٠) ومنحة المعبود (رقم ٢٠٢٦) ومسند أحمد (٣ : ٢١٣) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في الشفاعة ، رقم (٤٧٣٩) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب ما جاء في الشفاعة ، رقم (٢٤٣٥) والسنة (٢ : ٣٩٩) وكتاب التوحيد (٢ : ٦٥١ ـ ٦٥٣ ، ٦٥٦) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٣٢) والمستدرك (١ : ٦٩) حلية الأولياء (٧ : ٢٦١) والشريعة (٣٣٨، ٣٣٩) ومسند أبي يعلى (٦: ٤٠) (٧ : ١٣٩ ـ ١٤٠ ، ١٤٧ ، ٢٨١) والمعجم الكبير (١ : ٢٣١ ـ ٢٣٢) والمعجم الأوسط (٤ : ٤٣) (٨ : ٢٤١) والمعجم الصغير (١ : ٢٧٢) (٢ : ٢٤٤) والبحر الزخار (١٣ : ٣٤٠) وكشف الأستار (٤ : ١٧٢) وبغية الباحث (رقم ١١٣٢) والسنن الكبرى (٨ : ١٧) (١٠ : ١٩٠) ومجمع البحرين (٨ : ١١٤) والمختارة (٤ : ٣٨٢) (٦ : ٦٧ ـ ٦٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥) (٥ : ٢١ ، ٢٢ ، ١٧٠ ، ١٧١) وتفسير ابن كثير (١ : ٤٨٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٨) وهذا مما يستدرك عليه ، لأنه موجود في سنن أبي داود والترمذي .

(٣) مسند الطيالسي (٢٣٣ رقم ١٦٩٩) سنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤٣٦) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب ذكر الشفاعة ، رقم (٤٣١٠) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٣١) والمستدرك (١: ٦٩) (٢ : ٣٨٢) وكتاب التوحيد (٢ : ٦٥٤ ، ٦٥٥) والشريعة (٣٣٨) وحلية الأولياء (٧ : ٢٦١) والبعث والنشور (٥٥) وانظر النهاية لابن كثير رحمه الله تعالى (٢ : ١٧٩ وما بعد).

وقد رواه كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فإذا كانت شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لأهل الكبائر فما حال من هو أحسن حالاً منهم ؟

وقد استوعبتُ في الأصل ما الذي انفرد به صلى الله عليه وآله وسلَّم دون غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، سواء لإخراج من في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من إيمان ، ولأهل الصغائر ، ولأهل الكبائر، والشفاعة التي لا ترد ، وإراحة الخلق من هول الموقف ، أو لدخول الجنة ،... وغير ذلك ، وكل ذلك قد وردت أحاديثه الصحيحةُ في الصحيحين وغيرهما ، والحمد لله على فضله ونعمائه ، فمن أراد الاطلاع عليها فلينظر في الأصل ، وكتاب (الشفاعة).

٥٠ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولُ من يُبعث يوم القيامة :

لقد أخبر النبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه هو أولُ من تنشق عنه الأرضُ ، وأنه هو أولُ من يُبعث ، والناسُ ما زالوا في قبورهم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأولُ من ينشق عنه القبرُ ، وأولُ شافِعٍ ، وأولُ مشفَّع ». رواه مسلم[1].

وعن واثلةَ بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن الله اصطفى كنانةَ من ولدِ إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم على جميع الخلائق ، رقم (٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (١).

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله عز وجل اصطفى من وَلدِ إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولدِ إسماعيل بني كِنانةَ ، واصطفى من كِنانةَ قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه أحمد ، والترمذي وصححه .

وزاد ابن حبان في روايته ـ بإسناد صحيح[1] ـ : « فأنا سيدُ ولد آدم ولا فخر، وأولُ من تنشق عنه الأرضُ ، وأول شافِعٍ ، وأولُ مشفَّعٍ ». وقد مر ذكره عند رقم (١٠).

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر ، وما من نبيٍّ يومئذٍ : آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائي ، وأنا أولُ من تنشق عنه الأرضُ ولا فخر ، وأنا أولُ شافِعٍ ، وأولُ مشفَّعٍ ، ولا فخر ». رواه أحمد والترمذي وصححه ، وابن ماجه وابن خزيمة[2].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال : أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم ، فصلَّى الغداةَ ، ثم جلس ،... الحديث بطوله في قصة العرض يوم القيامة ، وانتقال الناس من نبيٍّ إلى نبيٍّ ، حتى يصلوا إلى عيسى عليه السلام ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : فيقول عيسى

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٠٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٣٦٠٥ـ٣٦٠٦) وصحيح ابن حبان (٨ : ٤٧ ، ١٣٤).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٢) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٦١٥) وكتاب التفسير : تفسير سورة إسرائيل ، رقم (٣١٤٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب في الشفاعة ، رقم (٤٣٠٨) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ : ٦٢١) ولم يسق لفظه ، وكنز العمال (١٤ : ٣٩٤ـ٣٩٥).

عليه السلام : « ليس ذاكم عندي ، ولكن انطلقوا على سيد ولد آدم ، فإنه أولُ من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، انطلقوا إلى محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ فليشفع لكم إلى ربكم ،... ». الحديث وفيه : فيقول صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أي ربِّ جعلتني سيدَ ولد آدم ولا فخر ، وأولَ من تنشق عنه الأرضُ يوم القيامة ولا فخر ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلى والبزار وأبو عوانة وابن أبي عاصم وابن خزيمة والمروزي والدولابي في الكُنى ، ورجالهم ثقات .

وقال إسحاق بن راهويه : هذا من أشرف الحديث[١].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا تفضِّلوا بين أنبياء الله ، فإنه يُنفخ في الصور ، فيُصعقُ مَنْ في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم يُنفخ فيه أخرى ، فأكون أولَ من بُعث ، فإذا موسى آخذ بالعرش ، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور ، أم بُعث قبلي ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[٢].

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد (١ : ٤ ـ ٥) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٣٤ ـ ١٣٦) وموارد الظمآن، رقم (٢٥٨٩) ومسند أبي عوانة (١: ١٧٥ ـ ١٧٨) ومسند أبي يعلى (١: ٥٦ ـ ٥٩) والبحر الزخار (١ : ١٤٩ ـ ١٥١) ومسند أبي بكر المروزي (٤٨ ـ ٥٣) وكشف الأستار (٤ : ١٦٨ ـ ١٧٠) والسنة (٢ : ٣٤٩ ، ٣٨١ ـ ٣٨٢) والكنى للدولابي (١: ١٥٥ ـ ١٥٦) وكتاب التوحيد (٢ : ٧٣٥ ـ ٧٣٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب من فضائل موسى عليه السلام ، رقم (١٥٩ ـ ١٦١).

وآله وسلَّم : « ...لا تُخيروني مِن بين الأنبياء ، فإن الناسَ يُصعقون يوم القيامة ، فأكون أولَ من يفيق ،... » ثم ذكر نحو الحديث السابق . متفق عليه[1].

ونهيُه صلى الله عليه وآله وسلَّم عن المفاضلة بين الأنبياء عليهم السلام إنما كان ذلك تواضعاً منه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أو كان ذلك قبلَ إعلام الله تعالى له بأنه أفضلُ الرسل عليهم السلام ، أو كان النهيُ عن المفاضلة في أصل النبوة ، وإلا فإن الله تعالى قد فاضل بين الرسل : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2]. كما فاضل تعالى بين الأنبياء عليهم السلام : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[3]، والله تعالى أعلم[4].

٥١ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم إمامُ الأنبياء عليهم السلام وخطيبُهم :

إذا كان يوم القيامة كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إمامَ الأنبياء عليهم السلام ، وخطيبَهم ، ومُبشِّرَهم ، وصاحبَ شفاعتهم ، غير فخر . وهذا غاية التكريم والتقدير .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الديات : باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٦٢ ـ ١٦٣).

(٢) سورة البقرة (٢٥٣).

(٣) سورة الإسراء (٥٥).

(٤) انظر دلائل النبوة (٥ : ٤٩٥ وما بعد).

وانظر : مكانة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام ، فقد أطلت النفس في بيان الجواب على هذه الأحاديث ، وأنها كانت في أول الهجرة إلى المدينة ، كما يحتمل أن يكون قد قال ذلك تواضعاً ، أو قاله من باب إعطاء هؤلاء الرسل عليهم السلام مكانتهم حتى لا يُنتقصوا ، وثمة أجوبة كثيرة ، ذكرتُها فيه ، فانظره ، والله تعالى أعلم .

عليه وآله وسلَّم : « أنا أولُهُم خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا قائدُهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبُهم إذا أنصتوا ، وأنا شافعُهم إذا حُبسوا ، وأنا مبشِّرُهم إذا أيسوا . لواءُ الكرامة ، ومفاتيحُ الجنة ، ولواءُ الحمد يومئذٍ بيدي ، وأنا أكرمُ ولد آدم على ربي ، يطوف عليَّ ألفُ خادم ، كأنهم بَيْضٌ مكنونٌ ، أو لؤلؤٌ منثورٌ ». رواه الترمذي ـ وحسنه ـ والدارمي وأبو نعيم والبيهقي بأسانيد حسان[1].

وعن أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إذا كان يوم القيامة كنتُ إمامَ النَّبِيِّين ، وخطيبَهم ، وصاحبَ شفاعتهم غير فخر ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم وابن ماجه في آخرين ، وصحَّحه الترمذي والحاكم ، وأقره الذهبي[2].

٥٢ ـ كل الأنبياء عليهم السلام تحت لوائه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

إذا كان يوم القيامة ، كان جميع الناس بما فيهم الأنبياءُ عليهم السلام تحت لوائه صلى الله عليه وآله وسلَّم . وهذا غايةُ التكريمِ والتقدير .

فعن عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيدُ الناس يوم القيامة ولا فخر ، ما مِن أَحدٍ إلا

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٠) وسنن الدارمي (١ : ٣٠) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٧٢) وللبيهقي (٥ : ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

(٢) مسند أحمد (٥ : ١٣٧ـ١٣٨ من طرق) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣١) ومسند عبد بن حُميد (٩٠ رقم ١٧١) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٦١٣) ـ انظر تحفة الأشراف (١ : ١٩) والمختارة (٣ : ٣٨٨) والنهاية لابن كثير (١ : ٢٣٧) لتصحيح الترمذي ـ وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب في الشفاعة ، رقم (٤٣١٤) والسنة (٢ : ٣٦٦ رقم ٧٨٧) ومسند الشاشي (٣ : ٣٣٣ ـ ٣٣٤ رقم ١٤٤٢ ـ ١٤٤٤) والمستدرك (١ : ٧١) (٤ : ٧٨) . ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٤٨٠ ـ ٤٨١) والمختارة (٣ : ٣٨٥ ، ٣٨٧).

هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج ، وإنَّ معي لواء الحمد ، أنا أمشي ويمشي الناسُ معي ، حتى آتي بابَ الجنة ، فأستفتحُ : فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد . فيقال : مرحباً بمحمدٍ . فإذا رأيتُ ربي ، خررتُ ساجداً أنظر إليه ».
رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي(١).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ـ الذي مر قريباً ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ...وما من نبيٍّ يومئذ : آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ،... ». رواه أحمد ، والترمذي وصححه ، وابن ماجه وابن خزيمة(٢).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنه لم يكن نبيٌّ إلا له دعوةٌ قد تنجَّزها في الدنيا ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي ، وأنا سيدُ ولد آدمَ يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أولُ من تنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخر ، وبيدي لواءُ الحمْدِ ولا فخر ، آدمُ فمن دونه تحت لوائي ولا فخر ،... ». الحديث ، رواه أحمد وأشار إليه الترمذي ، والطيالسي وأبو يعلى والبيهقي(٣) ، وشواهده كثيرة .

---

(١) المستدرك (١ : ٣٠). قلت : لكل فقراته شواهد يتأكد بها .

(٢) سبق تخريجه قبل قليل : عند رقم (٥٠).

(٣) مسند أحمد (١ : ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، ٢٩٥ ـ ٢٩٦) ومسند الطيالسي (٣٥٣ ـ ٣٥٤) ومنحة المعبود (٢ : ٢٢٦) ومسند أبي يعلى (٤ : ٢١٣ ـ ٢١٦) ودلائل النبوة (٥ : ٤٨١ ـ ٤٨٣) وشعب الإيمان (٢ : ١٨٠ ـ ١٨١) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٢ ـ ٣٧٣) وانظر سنن الترمذي : كتاب المناقب ، رقم (٣٦١٥) عقب حديث أبي سعيد السابق حيث قال : وقد روي لهذا الإسناد عن أبي نضرة ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم.اهـ. وقد كان صحح حديث أبي سعيد ، قلت : وفي إسنادهم جميعاً : علي بن زيد ، روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم مقروناً وباقي أصحاب السنن ، وقد وثقه جماعة وضعفه آخرون ، ويصحِّح له الترمذي ، وللحديث شواهد كثيرة .

وعن عبد الله بن سَلاَم رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيدُ ولد آدمَ يوم القيامة ولا فخر ، وأولُ من تنشق عنه الأرضُ ، وأولُ شافِعٍ ومشفَّعٍ ، بيدي لواءُ الحمد ، تحتي آدم فمن دونه ». رواه ابن أبي عاصم وابن حبان وأبو يعلى والطبراني[1] ، وفي إسنادهم جميعاً : عمرو بن عثمان الكلابي ، وثقه ابن حبان على ضعفه ، وبقية رجاله ثقات . لكن الحديث صحيح لغيره ، وشواهدُه كثيرةٌ جدّاً ؛ منها أحاديث ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، رضي الله تعالى عنهم ، علماً بأن أغلب ألفاظ الحديث في الصحيح من غير هذا الطريق ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ ، لم يُعطهُنّ أحدٌ كان قبلي : غُفر لي ما تقدَّم من ذنبي وما تأخَّر ، وأُحلَّت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد كان قبلي ، وجُعلتْ أُمَّتي خيرَ الأمم ، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطهوراً ، وأُعطيتُ الكوثرَ ، ونُصرتُ بالرعب ، والذي نفسي بيده إن صاحِبَكم لصاحبُ لواءِ الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه ». رواه البزار وإسناده جيد[2]. وروى مسلم نحوه ، وقد سبق ذكره عند رقم (١٥).

٥٣ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولُ من يجيز على الصراط :

ومما خصَّ الله تعالى به نبيَّه وصفيَّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم عن جميع الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام : أنه أولُ من يجتازُ بأمته الصراطَ قبل كل الخلق .

---

(١) السنة (٣٦٩ ـ ٣٧٠) مختصراً ، ومسند أبي يعلى (١٣ : ٤٨٠ ـ ٤٨١) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٣٧) وموارد الظمآن ، رقم (٢١٢٧) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٤).

(٢) كشف الأستار (٣ : ١٤٧) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٦٩) وانظر فتح الباري (١ : ٤٣٩).

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن ناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : يا رسول الله ؛ هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هل تضارُّون في رؤيةِ القمر ليلةَ البدر؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « هل تضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فإنكم ترونه كذلك ، يجمعُ اللهُ الناسَ يوم القيامة ، فيقولُ : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيَتْبَعُ من كان يعبد الشمسَ الشمسَ ، ويتبَعُ من كان يعبد القمرَ القمرَ ، ويتبعُ من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها ،... ». الحديث ، وفيه « فيأتيهم اللهُ تبارك وتعالى ، في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربُّنا فيتبعونه ، ويُضرب الصراط بين ظهرَي جهنم . فأكون أنا وأمتي أولَ من يُجيز ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

٥٤ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولُ من يقرعُ باب الجنة :

وكما أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ يكون هو وأمَّتُه ـ أولَ من يجيز على الصراط ، فإنه سيكون هو أول من يقرعُ بابَ الجنة ، فيُفتح له ، ولا تُفتح لأحد قبله ، صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أكثرُ الأنبياء تَبَعاً يوم القيامة ، وأنا أولُ من يقرعُ بابَ الجنة ». رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب فضل السجود ، وكتاب الرقاق : باب الصراط جسر جنهم ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، رقم (٢٩٩).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أول الناس يشفع في الجنة »، رقم (٣٣١).

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « آتي بابَ الجنة يومَ القيامة ، فأستفتحُ ، فيقول الخازنُ : من أنت ؟ فأقول : محمدٌ ، فيقول : بك أُمرتُ ، لا أفتحُ لأحد قبلك ». رواه مسلم[1].

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إني لأولُ الناس تنشق الأرضُ عن جمجمتي ولا فخر ، وأُعطى لواءَ الحمد ولا فخر ، وأنا سيدُ الناس يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أولُ من يدخل الجنةَ يوم القيامة ولا فخر ، وإني آتي بابَ الجنة فآخذ بحلقتها ، فيقولون : من هذا ؟ فأقول : أنا محمد . فيفتحون لي فأدخل ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد والنسائي وابن خزيمة والدارمي وابن منده وصحّحه ، وغيرهم برجال الصحيح[2].

وفي رواية أبي يعلى : « وأنا أولُ من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر ». وسيأتي ذكره بأطول بعد قليل ، إن شاء الله تعالى عند رقم (٥٥).

وعن عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيدُ الناس يوم القيامة ولا فخر ، ما مِن أَحدٍ إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج ، وإنَّ معي لواء الحمد ، أنا أمشي ، ويمشي الناس معي ، حتى آتي بابَ الجنة ، فأستفتحُ ، فيقال : من هذا ؟ فأقول :

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٣٣).

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٤٤) وفيه خطأ مطبعي في السند . وسنن الدارمي (١ : ٣١) والسنن الكبرى (٤ : ٤٠١) وشعب الإيمان (٢ : ١٨١) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٤٧٩ ـ ٤٨٠) والإيمان لابن منده (٣ : ٨٢٥ ـ ٨٢٦) وكتاب التوحيد (٢ : ٧١٠ ـ ٧١٢ من طريقين) والمختارة (٦ : ٣٢٣ ـ ٣٢٥) وعزاه في الكنز (١١ : ٤٣٣) للخرائطي وَ (١١ : ٤٠٤ ـ ٤٠٥) لسعيد بن منصور ، وانظر مسند أبي يعلى (٧ : ٦٨ ، ٢٨١) ومسند الحميدي (٢ : ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

محمد ، فيقال : مرحباً بمحمد ،... ». الحديث بطوله ، رواه الحاكم وصحَّحه وأقره الذهبي . وسبق ذكره قبل قليل ، عند رقم (٥٢).

وعن سلمان رضي الله تعالى عنه قال : تُعطى الشمسُ يوم القيامة حرَّ عشر سنين ، ثم تدني من جماجم الناس ،... فذكر الحديث ، قال : فيأتون النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيقولون : يا نبي الله ؛ أنت الذي فتح الله بك ، وغفَر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ، وقد ترى ما نحن فيه ، فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول : « أنا صاحبكم » فيخرج يحوش الناسَ ، حتى ينتهي إلى باب الجنة ، فيأخذ بحلقة في الباب من ذَهب ، فيقرع البابَ ، فيقال : من هذا ؟ فيقول : « محمد » فيُفتح له ، حتى يقوم بين يدي الله عز وجل ، فيسجد ، فينادَى : ارفع رأسَك ، سل تُعطهْ ، واشفع تشفَّع ،... فذلك المقام المحمود ». رواه ابن أبي عاصم وابن أبي شيبة والطبراني برجال الصحيح ، وصححه المنذري وابن حجر والبوصيري ، وروى بعضهم قطعة منه[1].

وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الشمسَ تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغَ العرَقُ نصفَ الأذن ، فبينا هم كذلك ؛ استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... فيشفع ليُقضى بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ،

---

(١) السنة (٣٨٣ ـ ٣٨٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٣١ ـ ٣٢ ، ٤٤٧ ـ ٤٤٩) (١٣ : ٣٤٠) ومسند ابن أبي شيبة (١ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨ مختصراً) والمعجم الكبير (٦ : ٣٠٣ ـ ٣٠٤) وكتاب التوحيد (٢: ٧٠٦ـ٧٠٧) ومجمع الزوائد (١٠: ٣٧١ ـ ٣٧٢) والترغيب والترهيب (٦ : ٢١٨) والمطالب العالية (٥ : ١٢١ ـ ١٢٢ رقم ٤٥٦٧) وإتحاف الخيرة المهرة (١٠ : ٣٩٥ـ٣٩٦) والدر المنثور (٥ : ٢٢٧).

فيومئذ يبعثُه الله مقاماً محموداً ، يحمده أهلُ الجَمْع كلهم ». رواه البخاري[1].

٥٥ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولُ من يدخل الجنة :

وكما أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو أولُ من يجيز على الصراط ، وأولُ من يقرعُ بابَ الجنة ، فهو أيضاً أولُ من يدخل الجنة ، ومعه فقراء هذه الأمة .

فقد مر حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « آتي بابَ الجنة يوم القيامة ، فأستفتح ، فيقول الخازنُ : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بكل أُمرتُ لا أفتحُ لأحدٍ قبلك ». رواه مسلم[2].

كما مر قبل قليل حديثُ عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...وإن معي لواء الحمد ، أنا أمشي ويمشي الناس معي ، حتى آتي باب الجنة ، فأستفتح ، فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد ، فيقال : مرحباً بمحمد ، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً أنظر إليه ،... ». الحديث بطوله ، رواه الحاكم وصحّحه ، وأقره الذهبي ، وقد مر عند رقم (٥٢ ، ٥٤) وله شواهد كثيرة .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « فآخذ بحلقة باب الجنة ، فأقعقعها ، فيقول : من هذا ؟ فيقال : محمد ، فيفتحون لي ، ويُرحِّبون ، فيقولون : مرحباً ،... ». الحديث ، رواه الترمذي في أصل حديث أبي سعيد الطويل ـ وقد مر أوله ـ وصححه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب من سأل الناس تكثراً .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا أول الناس يشفع في الجنة »، رقم (٣٣٣).

(٣) سنن الترمذي : كتاب التفسير : تفسير سورة الإسراء ، رقم (٣١٤٨).

والذي هو أول من يجيز على الصراط ، وأولُ من يقرع الباب فيفتح له ، فهو أيضاً أولُ من يدخل .

ويوضحه حديثُ أنسٍ رضي الله تعالى عنه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر ، وأُعطى لواء الحمد ولا فخر ، وأنا سيدُ الناس يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أولُ من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر ، وآتي باب الجنة ، فآخذ بحلقها ، فيقولون : من هذا ؟ فأقول : أنا محمد ، فيفتحون لي ، فأدخل فأجد الجبار مستَقْبِلي ، فأسجد له ،... ». الحديث ، رواه أحمد والنسائي وابن خزيمة والدارمي والبيهقي والضياء برجال الصحيح ، وصحّحه ابن منده ، وأصله في الصحيحين ، وقد مر قبل قليل عند رقم (٥٤).

٥٦ ـ إعطاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم الوسيلةَ والفضيلةَ :

والوسيلةُ : مرتبةٌ عاليةٌ ، لا ينالها إلا فردٌ واحدٌ فقط من جميع الخلق ، والذي سينال هذه المرتبة هو نبيُّنا الكريم سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيحمده الأوَّلون والآخِرون ، ويغبطونه على ذلك الفضل الكريم .

عن عبد الله بن عَمْرِو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إذا سمعتم المؤذنَ ، فقولوا مثلَ ما يقول ، ثم صلُّوا عَلَيَّ ، فإنه من صلّى عَلَيَّ صلاةً ؛ صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سَلُوا اللهَ لِيَ الوسيلةَ ، فإنها منزلةٌ في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأَلَ لِيَ الوسيلةَ حلَّت له شفاعتي ». رواه مسلم[١].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن ، رقم (١١).

وآله وسلَّم : « إذا صليتم عَلَيَّ فاسألوا اللهَ لِيَ الوسيلةَ » قيل : يا رسول الله ؛ وما الوسيلة ؟ قال : « أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجلٌ واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو ». رواه أحمد والترمذي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة ، وفي إسنادهم جميعاً : كعب المدني ، ذكره البخاري في تاريخه ، ولم يذكر فيه شيئاً ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الترمذي : غير معروف . ورواه البزار من طريق آخر ، وفي إسناده ذوَّاد بن عُلبة ، وهو ضعيف ، فالحديث بطريقيه حسن ، وقد صححه السيوطي والشيخ أحمد شاكر[1] . وخير شاهد له حديثُ عبد الله بن عَمْرو السابق وهو عند مسلم ، والله تعالى أعلم .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الحديثين ـ : « وأرجو أن أكون أنا هو» قاله على سبيل الترجّي ، تأدباً مع الحضرة الإلهية ، وتشريعاً لأمته . لأنه إذا كان أفضلَ الأنام فلمن يكون ذلك المقام[2]؟ .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من قال حين يسمع النداءَ : اللهم ربَّ هذه الدعوة التامَّة ، والصلاة القائمة ، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ ، وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة ». رواه البخاري[3] .

والمراد بالفضيلة : المرتبةُ الزائدة على سائر الخلق ، ويحتمل أن تكون

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٦٥ ، ٣٦٥) ونسخة أحمد شاكر (١٤ : ٣٠) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٢١٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٥٠٤) وسنن الترمذي : كتاب الفضائل : باب من فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٢) وتفسير ابن كثير (٢ : ٥٣) حيث ذكره بسند آخر عند ابن مردويه . والجامع الصغير (٢ : ٥٣).

(٢) انظر : فيض القدير (١ : ٣٨٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الدعاء عند النداء ، وفي غيرهما .

منزلةً أخرى ،...اهـ. من الفتح .

وعن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « الوسيلةُ درجةٌ عند الله ، ليس فوقها درجة ، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلةَ والفضيلةَ ». رواه أحمد ـ وفي إسناده ابن لهيعة ـ ورواه الطبراني في الأوسط بسندين ، أحدهما رجاله ثقات ، ورواه ابن مردويه بإسنادين أيضاً إلى عمارة ، عن موسى ، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه . فالحديث حسن ، وقد صححه السيوطي أيضاً[1]. وشاهده حديث عبد الله ابن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما السابق .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « سلوا اللهَ ليَ الوسيلةَ ، فإنه لم يسألها لي عبدٌ في الدنيا : إلا كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ». رواه الطبراني في الأوسط برجال ثقات رجال الصحيح إلا الأبار ـ وهو ثقة حافظ ـ والوليد بن عبد الملك الحراني ، قال عنه أبو حاتم : صدوق ، وقال ابنُ حبان : مستقيم ، إذا روى عن الثقات . وشيخه هنا ثقة ، وقد رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حُميد من طريق آخر ، فالحديث صحيح[2] ، والله تعالى أعلم .

٥٧ ـ إعطاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم المقام المحمود :

ومما خصَّ الله تعالى به نبيَّه وصفيَّه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٨٣) والمعجم الأوسط (١ : ٨٩) (٢ : ١٢٦) ومجمع البحرين (٢ : ٢٠ ـ ٢١) ومجمع الزوائد (١ : ٣٣٢) وتفسير ابن كثير (٢ : ٥٣) والجامع الصغير (٢ : ٧٢٢).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٣٥٣) ومسند عبد بن حُميد (٢٣٠ رقم ٦٨٨) والمعجم الأوسط (١ : ٣٧٠) ومجمع البحرين (٢ : ١٩ ـ ٢٠) ومجمع الزوائد (١ : ٣٣٣) وانظر : الجرح والتعديل (٩ : ٨) والثقات لابن حبان (٩ : ٢٢٧) وتفسير ابن كثير (٢ : ٥٣) والجامع الصغير (٢ : ٥٣).

وآله وسلَّم : أن الله سبحانه وتعالى سيبعثه مقاماً محموداً ، يحمده عليه جميعُ الخلائق ، وليس هذا لأحد من الخلائق ـ بما فيهم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ إلا له صلى الله عليه وآله وسلَّم .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[1] .

وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً ، كلُّ أمةٍ تتبع نبيَّها ، يقولون : يا فلان ؛ اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فذلك يوم يبعثه اللهُ المقامَ المحمودَ » . رواه البخاري[2] .

وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يُبعث الناسُ يوم القيامة ، فأكون أنا وأمتي على تَلٍّ ، فيكسوني ربي تبارك وتعالى حلَّةً خضراءَ ، ثم يُؤْذنُ لي ، فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذاك المقام المحمود » . رواه أحمد وابن أبي عاصم والطبري والطبراني والطحاوي برجال الصحيح ، والحاكم وابن حبان وصححاه[3] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : يُجمع الناسُ في صعيد ،

---

(١) سورة الإسراء (٧٩) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الإسراء : باب ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ .

(٣) مسند أحمد (٣ : ٤٥٦) والسنة (٢ : ٣٦٤) وشرح مشكل الآثار (١ : ٤٤٩) وتفسير الطبري (١٧ : ٥٢٩ ، ٥٣١) والمعجم الكبير (١٩ : ٧٢ ـ ٧٣) ومسند الشاميين (٣ : ٣٦ ـ ٣٧ رقم ١٧٥٩) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٣٧) وموارد الظمآن (٦٣٩ رقم ٢٥٧٩) والمستدرك (٢ : ٣٦٣) ومجمع الزوائد (٧ : ٥١) (١٠ : ٣٧٧) وانظر الدر المنثور (٥ : ٣٢٥) حيث رواه آخرون .

ولا تكلم نفس ، فأولُ مدعوٍ محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيقول : « لبيك وسعديك ، والخيرُ في يديك ، والشَّرُ ليس إليك ، والمهديُّ من هديت ، وعبدُك وابنُ عبديك ، وبك وإليك ، ولا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، تباركت وتعاليتَ » فهذا قوله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ رواه النسائي والطيالسي وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم والطبراني والبزار والحاكم ـ وصححه ـ وأقره الذهبي ، وصححه الحافظ في الفتح أيضاً[1].

وقد مر قبل قليل حديثُ جابرٍ رضي الله تعالى عنه ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من قال حين يسمع النداء : اللهم ربَّ هذه الدعوة التامَّةِ ، والصلاةِ القائمةِ ، آت محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته : حلت له شفاعتي يوم القيامة ». رواه البخاري[2].

وعن ابن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الشمسَ تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغَ العَرقُ نصفَ الأذن ، فبينا هم كذلك ، استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... فيشفع ليُقضى بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذَ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ؛ يحمده أهلُ الجمْع كلّهم ». رواه البخاري[3] .

والأحاديث في ذلك كثيرة .

---

(١) تفسير النسائي (١ : ٦٦٠) ومسند الطيالسي (٥٥ رقم ٤١٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٨٤) والسنة (٢ : ٣٦٧) والمعجم الأوسط (٢ : ٩) وكشف الأستار (٤ : ١٦٧) وحلية الأولياء (١ : ٢٧٨) والمستدرك (٢ : ٣٦٣ ـ ٣٦٤) وانظر (٤ : ٥٧٣) وفتح الباري (٨ : ٣٩٩ ـ ٤٠٠) والدر المنثور (٥ : ٣٢٥) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٧) وانظر كنز العمال (١١ : ٤٣٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الدعاء عند النداء ، وفي غيرهما .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب من سأل الناس تكثراً .

وقد وردت عدة نصوص في بيان المقام المحمود ، والمشهور ـ وهو قول الجمهور ـ هو الشفاعة العظمى ، لإراحة الخلق من هول الموقف وطوله وبدء الحساب ، وثمة أقوال أخرى ؛ كإعطائه صلى الله عليه وآله وسلم لواء الحمد ، وكإجلاسه على العرش ، وما يقوله صلى الله عليه وآله وسلم من ثنائه على الله تعالى ، ومقامه بين الله تعالى وبين جبريل عليه السلام فيغبطه لمقامه هذا أهلُ الجمع ، وأول من يأخذ بحلقة باب الجنة ، وأن يكسوه الله تعالى حلةً خضراء ثم يؤذن له فيقول[١]،...

ولعلها كلها مقدمات للشفاعة ، ثم رفع مقامه عند الله تعالى بعدها .

ويمكن أن ترجع كل الأقوال إلى الشفاعة العامّة ، فإن إعطاءَه صلى الله عليه وآله وسلم لواءَ الحمد ، وثناءَه على ربِّه تعالى ، وكلامَه بين يديه ، وقيامَه أقربَ من جبريل ، وجلوسَه على كرسيِّه ؛ كل ذلك من صفاتٍ للمقام المحمود ؛ الذي يشفع فيه ، ليقضى بين الخلق . وأما شفاعتُه صلى الله عليه وآله وسلم في إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك ، والله تعالى أعلم[٢].

٥٨ ـ أُعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم الكوثر :

وكذلك ، فإن الله سبحانه وتعالى قد اختص نبيَّه وصفيَّه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم بالكوثر ، وهو نهرٌ يصب في حوضه ، آنيتُه بعدد نجوم السماء ، من شرب منه لا يظمأ أبداً ، سقانا الله تعالى من يده صلى الله عليه وآله وسلَّم الشريفة منه شربةً هنيئةً مريئةً ، لا نظمأ بعدها أبداً ، اللهم آمين .

---

(١) انظر : فتح الباري (٨ : ٤٠٠) (١١ : ٤٢٦ ـ ٤٢٧).

(٢) انظر : فتح الباري (٨ : ٤٠٠) (١١ : ٤٢٦ ـ ٤٢٧).

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : بينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم بين أظهرنا ، إذ أَغفى إغفاءةً ، ثم رفع رأسه متبسِّماً ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « أُنزلت عليَّ سورة ». فقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ *إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ ».

ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ » فقلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه نهر وَعَدَنيه ربي عز وجل [في الجنة] عليه خيرٌ كثيرٌ ، هو حوضٌ [وفي رواية : عليه حوض] تردُ عليه أمتي يوم القيامة ، آنيتُه عددُ النجوم ،... ». الحديث ، رواه مسلم[2].

وعنه رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « بينما أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافّتاه قبابُ الدُّرِّ المجوَّف ، فقلتُ : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك ، فإذا طيبُه ـ أو طينُه ـ مسكٌ أذْفَر ». رواه البخاري[3].

---

(١) سورة الكوثر (١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب حجة من قال : البسملة آية من كل سورة ، سوى براءة ، رقم (٥٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب في الحوض . وعزاه الحافظ المزي في تحفة الأشراف (١ ـ ٣٣٧) وابن كثير في النهاية (٢ : ٢٤٥) لمسلم أيضاً ، وصنيعُ الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح يدل على ذلك ، حيث لم يذكر انفرادَ البخاري به في آخر كتابيْ التفسير ، والرقاق ، لكنه أشار في النكت الظراف (١ ـ ٣٣٧) إلى أن الحمَيْديَّ أورده في أفراد البخاري . ولم أجده في صحيح مسلم ، وإنما ذكره المزي في نسخة خلف ، والموجود في صحيح مسلم ما ذكرته قبل =

وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : لما نزلت ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « الكوثرُ : نهرٌ في الجنة ، حافّتاه من ذهب ، ومجراه على الدُّرِّ والياقوت ، تربتُه أطيبُ من المسك ، وماؤُه أحلى من العسل ، وأبيضُ من الثلج ». رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وهنّاد والدارمي وأحمد والترمذي والحاكم وصحّحاه ، وابن ماجه ، وكلهم برجال الصحيح ، ورواه آخرون[1].

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت في قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ : هو نهر أعطيه نبيُّكم صلى الله عليه وآله وسلّم ، شاطئاه عليه درٌّ مجوَّفٌ ، آنيتُه كعدد النجوم . رواه البخاري[2].

أما الحوض : فقد تواتر عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ذكرُه ، ورواه عنه الجمع الغفير من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم .

فقد ذكره الإمام البيهقيُّ رحمه الله تعالى من طريق (٢٥) خمسة وعشرين صحابيّاً ، وذكره القاضي عياض رحمه الله تعالى من طريق (٢٧) صحابيّاً ، وذكره ابن أبي عاصم رحمه الله تعالى من طريق (٤٠) صحابيّاً ، وذكره

= هذه الرواية ، والله تعالى أعلم .

(١) مسند الطيالسي (٢٦١) ومنحة المعبود (٢ : ٢٣١) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٤٠) (١٣: ١٤٤) والزهد لهناد (١ : ١٠٨) وسنن الدارمي (٢ : ٢٤٣ ـ ٢٤٤) ومسند أحمد (٢ : ٦٧ ، ١١٢ ، ١٥٨) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة الكوثر ، رقم (٣٣٦١) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب صفة الجنة ، رقم (٤٣٣٤) وتفسير الطبري (٢٤ : ٦٤٥) وصفة الجنة (رقم ٣٢٦) وشرح السنة (١٥ : ١٦٨ ـ ١٦٩) والمستدرك (٣ : ٥٤٣) والبعث والنشور (١١٦ رقم ١٢٨ ، ١٢٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : تفسير سورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.

الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى من طريق (٤٩) صحابياً ، وذكره الإمام الزبيدي رحمه الله تعالى من طريق (٥٠) صحابيّاً ، وذكره شيخ شيوخي السيد الكتانيُّ رحمه الله تعالى من طريق (٥٧) صحابيّاً ، وذكره السيد الغماري من طريق (٥٩) صحابيّاً ، وذكره الحافظ ابنُ حجر رحمه الله تعالى في الفتح من طريق حوالي (٥٧) صحابيّاً ، ثم قال : وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية (٨٠) ثمانين صحابيّاً[1].

وهذه بعض الروايات عن الحوض :

عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه قال : لما أفاء اللهُ تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم حنين ،... قال : « يا معشر الأنصار... إنكم ستلقون بعدي أَثَرَةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ». متفق عليه[2].

ورواه مسلم من حديث أسيد بن حُضير رضي الله تعالى عنه .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنهما قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « أنا فَرَطُكم على الحوض ، مَن وَرَده شرب منه ، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ،... ». الحديث ، متفق

---

(١) انظر : البعث والنشور (١١٠ ـ ١٣٠) والشفا (١ : ٢٧٨ ـ ٢٧٩) والسنة (٢ : ٣٢١ ـ ٣٦١) والأزهار المتناثرة (٤١ ـ ٤٢) وقطف الأزهار (٢٩٧ ـ ٢٩٨) ولقط اللآلئ (٢٥١ ـ ٢٦٠) ونظم المتناثر (١٥١ـ ١٥٢) وإتحاف ذوي الفضائل (١٤٩ـ١٥٠) وشرح الشفا لملا علي القاري (٢ : ٣٢١ ـ ٣٢٥) حيث أوصلها إلى (٥٤) أربعة وخمسين صحابياً، وفتح الباري (١١ : ٤٦٩) وإتحاف السادة المتقين (١٠ : ٤٩٧ ـ ٥٠٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ،... رقم (١٣٩).

ورواه في كتاب الإمارة ، رقم (٤٨) من حديث أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه .

عليه[1].

ورويناه أيضاً من : حديث جندب بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري ، وعقبة بن عامر ، وعبد الله بن مسعود ، وبنحوه عن أسماء بنت أبي بكر ، رضي الله تعالى عنهم جميعاً .

ورواه مسلم من : حديث أم سلمة ، وحُذيفة بن اليمان ، وجابر بن سمرة ، وبنحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنهم جميعاً[2].

وقد جاءت أحاديث نبويةٌ كثيرةٌ في وصفه ، أقتصر على ذكر بعض ما في الصحيحين .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الوَرِقِ ، وريحُه أطيبُ من المسك ، وكِيزانُه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً ». متفق عليه .

زاد في حديث ثوبان ـ وبنحوه عن أبي ذر ـ رضي الله تعالى عنهما ، عند مسلم ـ : « ... يَغُتُّ[3] فيه ميزابان يُمدّانه من الجنة ، أحدُهما من ذَهب ، والآخرُ من وَرِقٍ ».

وفي حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه : « والذي نفس محمد بيده ، لآنيتُه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب في ذكر الحوض ، وكتاب الفتن : الباب الأول . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلَّم وصفاته ، رقم (٢٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب في ذكر الحوض ، وبعضها في غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : الباب السابق ، رقم (٢٥ ـ ٤٥).

(٣) معناه : يدفقان فيه الماءَ دفقاً متتابعاً شديداً .

أكثرُ من عدد نجومِ السماء وكواكبها ، أَلا[1] في الليلة المظلمة المُصْحِيَةِ ،... ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ». لفظ مسلم .

وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه : « ما بين ناحيتَيْ حوضي كما بين صنعاء والمدينة [وفي رواية : كما بين أيلة وصنعاء من اليمن] ، تُرى فيه أباريقُ الذهب والفضة كعدد نجوم السماء ».

ومثله حديثُ حارثَة بن وهبٍ الخزاعيِّ رضي الله تعالى عنه، وهو متفق عليه أيضاً[2] وغيرها كثير .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، والحمد لله على فضله .

٥٩ ـ أُعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم لواء الحمد :

ومما خصَّ الله سبحانه وتعالى نبيَّه وصفيَّه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم : أن أعطاه لواءَ الحمد ، يكون تحته آدمُ فمن دونه من الأنبياء والرسل عليهم السلام ، كما يكون معه المؤمنون من هذه الأمة وممن نجا من الأمم السابقة . وقد كثرت الأحاديث في ذلك ، وقد سبق ذكرُ كثيرٍ منها .

فقد مر حديثُ عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ... وإن معي لواء الحمد ،... ». الحديث ، رواه الحاكم وصححه[3].

وحديثُ عبد الله بن سَلَام رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ... بيدي لواء الحمد ، تحتي آدم فمن دونه ،... ». رواه

---

(١) بتخفيف (ألا) الاستفتاحية ، وخَصَّ الليلة المظلمة المُصحية بالذكر ، لأن النجوم تُرى فيها أكثر ، لأن وجود القمر يستر كثيراً من النجوم .

(٢) انظر هذه الروايات وغيرها في الكتابين وفي الموضعين المشار إليهما في الفقرة السابقة .

(٣) انظره عند أرقام (٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥).

ابن أبي عاصم ، وابن حبان وأبو يعلى والطبراني[1].

وحديثُ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، والذي فيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : «... بيدي لواء الحمد ولا فخر ،...». الحديث ، رواه أحمد والطيالسي وأبو يعلى والبيهقي[2].

وحديثُ أنس رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لواءُ الكرامة ، ومفاتيحُ الجنة ، ولواءُ الحمد يومئذٍ بيدي ،... ». رواه الترمذي وحسنه ، والدارمي وأبو نعيم والبيهقي بأسانيد حسان أيضاً .

وحديثُه الآخر ، والذي فيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلم : « وأُعطى لواءَ الحمد ولا فخر ،... ». رواه أحمد والدارمي والنسائي وابن خزيمة والبيهقي برجال الصحيح[3].

وحديثُ أبي سعيد الخُدْرِي رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ... وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر ،... ». رواه أحمد ، والترمذي وصححه ، وابن ماجه وابن خزيمة[4].

وغير ذلك من الأحاديث ، وكيف لا ، وآدم عليه السلام ـ فمن دونه ـ تحت لوائه صلى الله عليه وآله وسلَّم في ذلك اليوم .

٦٠ ـ يكون له صلى الله عليه وآله وسلَّم كرسي عن يمين العرش :

ومما خَصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به نبيَّه وصفيَّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة : أن يكون له كرسيٌّ عن يمين العرش ، ليس أحدٌ من

---

(١) انظره عند رقم (٥٢).

(٢) انظره عند رقم (٥٢).

(٣) انظره عند أرقام (٥١ ، ٥٤ ، ٥٥).

(٤) انظره عند رقم (٥٠).

الخلائق يكون له ذلك ، ولا يقوم ذلك المقامَ أحدٌ غيره صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أول من تنشق عنه الأرضُ ، فأُكسى حُلَّةً من حُلل الجنة ، ثم أقومُ عن يمين العرش ، ليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك غيري ». رواه الترمذي وحسنه[1] ، وفي بعض النسخ التصحيح .

وعن عبد الله بن سَلاَم رضي الله تعالى عنه قال : « إن أكرم خليقةِ الله على الله أبو القاسم ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ ثم قال : فإذا كان يوم القيامة بعث الله الخليقةَ أُمَّةً أُمَّةً ، ونبيّاً نبيّاً ، حتى يكون أحمدُ وأُمَّتُه آخرَ الأمم مركزاً ، قال : فيقوم ، فيتبعه أُمَّتُه بَرُّها وفاجرُها ، ثم يوضع جسرُ جهنم ، فيأخذون الجسر ، فيطمس الله أبصارَ أعدائه ، فيتهافتون فيها ، من شمال ويمين ، وينجو النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم والصالحون معه ، فتتلقاهم الملائكة ، فتريهم منازلَهم من الجنة : على يمينك ، على يسارك ، حتى ينتهي إلى ربِّه عز وجل ، فيُلقى له كرسيٌّ عن يمين الله عز وجل ، ثم ينادي منادٍ : أين عيسى وأُمَّتُه ،... ». الحديث ، رواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي[2].

٦١ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثرُ الأنبياء عليهم السلام تبَعاً :

لقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه أكثرُ الأنبياء أتباعاً يوم القيامة ، لأنه أُعطي وحياً أوحاه الله سبحانه وتعالى إليه ، ولم يُعْطَ أحدٌ من الأنبياء

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١١) وانظر نسخة تحفة الأحوذي (١٠ : ٧٩ ـ ٨٠) ففيها التصحيح أيضاً ، ولعله اختلاف النسخ .
(٢) المستدرك (٤ : ٥٦٨ ـ ٥٦٩) وانظر السنة (٣٦٥) وتفسير الطبري .

عليه عليهم الصلاة والسلام ما أُعطي ، وإن من الأنبياء من لم يتبعه إلا النفر القليل ، كالواحد ، والثلاثة ، والعشرة ، بل منهم من ليس معه أحد ،... بخلافه هو صلى الله عليه وآله وسلَّم .

يضاف إلى ذلك أيضاً أن كلَّ رسول إنما يُبعث إلى قومه خاصة ، بينما بُعث صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى الناس كافة ؛ الأحمر والأسود ،... بل إلى الإنس والجن ، ومهما كان قومُ الرسول من الرسل من الكثرة ، فإنما هو جزء من الناس ، والله تعالى أعلم .

يضاف إلى ذلك أمران :

ـ قلة من آمن بالرسل عليهم السلام في حياتهم من أقوامهم ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

ـ بطلان جميع الديانات السابقة بعد بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنها نُسخت بالإسلام ، ولأنها كانت بمثابة المقدِّمات لهذا الدِّين، فلما وُجد بطلت ، وانتهت مهمتُها . وقد ذكرتُ هاتين المسألتين في (الأمانة العظمى) وغيرها .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة ». متفق عليه[1]. وسبق ذكر رواية ثانية له .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب كيف نزل الوحي . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٢٣٩).

الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ نبيٌّ من الأنبياء قبلي : كان كلُّ نبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثتُ إلى الناس عامة ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه . وقد سبق ذكره عند رقم (١٥).

وفي رواية لمسلم : « وأُرسلتُ إلى الخلق كافة ».

وقد جاء هذا الحديث إضافة إلى رواية جابر رضي الله تعالى عنه ، عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وعليٍّ ، وأبي ذر ، وابن عمر ، وأبي موسى ، وابن عَمْرٍو رضي الله تعالى عنهم ، والله تعالى أعلم .

وكلُّ ذلك دالٌّ على قلة أتباع الأنبياء السابقين عليهم السلام ، مع كثرة أتباعه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أكثرُ الأنبياء تَبَعاً يوم القيامة ، وأنا أولُ من يقرع بابَ الجنة ».

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أولُ شفيع في الجنة ، لم يُصدَّق نبيٌّ من الأنبياء ما صُدِّقتُ ، وإنَّ من الأنبياء نبيّاً ما يُصدِّقُهُ من أمته إلّا رجلٌ واحد ». رواهما مسلم[١].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « عُرِضَتْ عليَّ الأممُ ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهَيْطُ ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان ، والنبيَّ وليس معه أحد ، إذ رُفع لي سوادٌ عظيم ، فظننتُ أنهم أُمَّتي ، فقيل لي : هذا موسى صلى الله عليه وسلَّم وقومُه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سوادٌ عظيمٌ ، فقيل لي : انظر إلى الأفق

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم (٣٣٠ـ ٣٣٢).

الآخر ، فإذا سوادٌ عظيمٌ ، فقيل لي : هذه أمتُك ، ومعهم سبعون ألفاً ، يدخلون الجنةَ بغير حساب ولا عذاب ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وفي لفظ للبخاري : « قيل : انظر إلى الأُفق فإذا سوادٌ يملأ الأفقَ ، ثم قيل لي : انظر ههنا وههنا ـ في آفاق السماء ـ فإذا سوادٌ قد ملأ الأفقَ ، قيل : هذه أُمَّتُك ». الحديث .

وكذا عدد من يدخل الجنة من أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، سواء من يدخلها عموماً ، أو من غير حساب ولا عقاب ، وكل ذلك يدل على كثرة أتباعهِ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وسيأتي ذكر ذلك ، إن شاء الله تعالى ، في المبحث الثاني ، من الفصل الثاني ، عند رقم (٩١ ، ٩٤ ، ٩٨).

٦٢ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم سيدُ الأولين والآخِرين يوم القيامة :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به رسولَه وصفيه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن جعله سيدَ الأوَّلين والآخِرين يوم القيامة ، فيَعرفُ له ذلك الأنبياءُ والمرسلون عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ويغبطه الأوَّلون والآخِرون .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذلك ؟ يجمع اللهُ يومَ القيامة الأوَّلين والآخِرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذهم البصرُ ، وتدنو الشمسُ ، فيبلغ الناسَ من الغم والكرب ما لا يطيقون ، وما

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب من اكتوى أو كوى غيرَه ، وفضل من لم يكتو ، وباب من لم يرق ، وفي كتاب الرقاق . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، رقم (٣٧٤).

لا يحتملون ،... ». ثم ذكر حديث الشفاعة الطويل ، وكيف يأتي الناسُ الأنبياءَ عليهم السلام واحداً واحداً ، ثم ما يكون منه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وسجوده تحت العرش ، وشفاعته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيدُ ولدِ آدمَ يوم القيامة ، وأولُ من ينشق عنه القبر ، وأولُ شافِعٍ ، وأولُ مشفَّعٍ ». رواه مسلم[2].

وقد مر حديثُ أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال : أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ يوم ، فصلّى الغداة ، ثم جلس ،... الحديث بطوله ، في قصة العرض يوم القيامة ، وانتقال الناس من نبيٍّ إلى نبيٍّ لطلب الشفاعة ـ وفيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلم : « فيقول عيسى عليه السلام : ليس ذاكم عندي ، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم ، فإنه أولُ من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ،... ». الحديث وفي آخره : يقول صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أي ربِّ ؛ خلقتني سيدَ ولد آدم ولا فخر ، وأولَ من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ». الحديث ، رواه أحمد وابن أبي عاصم وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان وابن خزيمة والبزار والمروزي والدلاوبي ، برجال ثقات ، وقد مر عند رقم (١٠ ، ٥٠).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم (٣٢٧ ـ ٣٢٨).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله وسلَّم على جميع الخلائق ، رقم (٣).

كما مر حديثُ واثلةَ بن الأسقعِ رضي الله تعالى عنه ، وفيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيمَ إسماعيلَ ،... ». الحديث وفي آخره : « واصطفاني من بني هاشم ، فأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ،... ». وهذا لفظ أحمد وابن حبان ، والحديث عند مسلم عدا الجملة الأخيرة ، وقد مر عند رقم (١٠).

كما مر حديثُ حذيفةَ بن اليمان رضي الله تعالى عنهما ، عند رقم (٥٧) من رواية النسائي والطيالسي وابن أبي شيبة والبزار والحاكم وصححه وأقره الذهبي وصححه الحافظ في الفتح . لكن في إحدى روايتي المستدرك جاء بهذا اللفظ : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، يدعوني ربي فأقول : لبيك وسعديك ،... ». الحديث ، وانظر تتمته في الموضع السابق .

كما مر حديثُ عبد الله بن سَلاَم رضي الله تعالى عنه ، عند رقم (٥٢) وفيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، بيدي لواءُ الحمد ، تحتي آدم فمن دونه ». رواه ابن أبي عاصم وابن حبان وأبو يعلى والطبراني ، وشواهده كثيرة ، وهو صحيح لغيره ، والله تعالى أعلم .

كما مر حديثُ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عند رقم (٥٢) والذي فيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلم : « ...وأنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأولُ من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر ، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر ». الحديث ، رواه أحمد والطيالسي وأبو يعلى والبيهقي ، وشواهده كثيرة .

وعن عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، وما من أحد

إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج ،... ». الحديث بطوله ، رواه الحاكم وصححه على شرطهما ، وأقره الذهبي[1] وشاهده ما مضى وما يأتي .

وعن أبي سعيد الخدْري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر ،...». رواه أحمد والترمذي وصححه ، وابن ماجه وابن خزيمة[2] وسبق ذكره كاملاً عند رقم (٥٠).

وهناك نصوص أخرى غير ما ذكرت ، والله تعالى أعلم .

٦٣ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولُ شافِعٍ ومشفَّعٍ :

ومما خصَّ الله سبحانه وتعالى به رسولَه وصفيَّه وحبيبَه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن جعله أولَ من يشفعُ للخلائق يومَ العرض قبل الحساب ، كما أنه أولُ من يشفع من بين الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام لأمته ، كما أنه أولُ من يشفع لدخول أمته في الجنان ، وهذا ما يعرفه له صلى الله عليه وآله وسلَّم جميعُ الخلائق، بما فيهم الأنبياءُ والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيد ولد آدم ، وأولُ من ينشق عنه القبر ، وأولُ شافِعٍ ومشفَّع ». رواه مسلم[3].

---

(١) المستدرك (١ : ٣٠) وسبق ذكره كاملاً عند رقم (٥٢).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٢) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : تفسير سورة بني إسرائيل ، رقم (٣١٤٨) وكتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٥) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب في الشفاعة ، رقم (٤٣٠٨) وكنز العمال (١٤ : ٤٩٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله وسلَّم على جميع =

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أولُ الناس يشفعُ في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تَبَعاً ».

وفي رواية له عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أول شفيع في الجنة ،... ». الحديث بطوله ، رواهما مسلم[1].

وعن واثلةَ بن الأسقعِ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله اصطفى كنانةَ من ولد إسماعيل ...واصطفاني من بني هاشم ، فأنا سيدُ ولد آدم ولا فخر ، وأولُ من تنشق عنه الأرض ، وأولُ شافِعٍ ، وأول مشفَّعٍ ». رواه مسلم وأحمد والترمذي ، وابن حبان ، واللفظ له ، وقد مر ذكره عند رقم (١٠، ٥٠ ، ٦٢).

وعن أبي سعيد الخدْري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أولُ من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأولُ شافِعٍ ، وأولُ مُشفَّعٍ ولا فخر ،... ». رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة ، ورواه الترمذي ، وصححه من غير ذكر هذا الحرف فيه صراحة[2]، والله تعالى أعلم .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في معرض ردِّه على من ذكر فضلَ بعض الأنبياء عليه

= الخلائق ، رقم (٣).

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً »، رقم (٣٣٠ ، ٣٣٢).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٢) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة بني إسرائيل ، رقم (٣١٤٨) وفي كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٥) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب في الشفاعة ، رقم (٤٣٠٨) وكنز العمال (١٤: ٣٩٤ـ ٣٩٥).

وعليهم الصلاة والسلام ـ : « ألا وأنا حبيبُ الله ولا فخر ، وأنا حاملُ لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أولُ شافعٍ ، وأولُ مشفَّعٍ يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أولُ من يحرِّك حِلَقَ الجنة فيفتح اللهُ لي فيدخلنيها ومعي فقراء المهاجرين ولا فخر ، وأنا أكرمُ الأوَّلين والآخِرين ولا فخر ». رواه الترمذي والدارمي وابن مردوية ، وفي سندهم : زمعة بن صالح ، وهو ضعيف ، وروى له مسلم مقروناً ، لكن الحديث صحيح من غير هذا الطريق ، إذ كلُّ فقراته لها شواهد[1] مر كثير منها ، كما رواه ابن أبي عاصم من طريق آخر مختصراً ، فهو به حسن ، والله تعالى أعلم .

يضاف إلى هذا ما جاء في النصوص السابقة عند رقم (٤٩) حيث يفزع الناسُ إلى الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام مبتدئين بآدم عليه السلام ، حتى ينتهوا بعيسى عليه السلام ، وكلهم يرفض ، ويسأل النجاةَ لنفسه ، فيأتونه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيقول : « أنا لها ، أنا لها » فيشفع لهم .

ويغفل الناس عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ابتداءً ، لأمر يريدُه الله تعالى ، حتى يظهر فضلُه صلى الله عليه وآله وسلَّم عند الجميع ، يوم يتخلى الرسل الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ خاصة أولو العزم ـ عن ذلك . وبهذا يظهر عِظَمُ مقامه ، ورفعةُ قدره ، وعلوِّ درجته ،... صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه تعالى ، لأنه لو جاؤوه ابتداء ، وشفع لهم ما ظهرت مكانته ومنزلته عند الله تعالى في أعين الخلق بمثل ما يحصل عندما يتخلى الأنبياء عليهم السلام عن الشفاعة ، ويتركوا أممهم ، ويسألوا نجاة أنفسهم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٦) وسنن الدارمي (٢ : ٣٠) والسنة (٢ : ٣٧٠) وتفسير ابن كثير (١ : ٥٦٠) والدر المنثور (٢ : ٧٠٥).

٦٤ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم مبشِّرُ الناس يوم يفزع إليه الأنبياء عليهم السلام :

وبما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به رسولَه وصفيَّه وحبيبَه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن جعل جميع الناس ـ بما فيهم الأنبياءُ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ يفزعون إليه بالشفاعة ، فيشفع لهم الشفاعة العظمى ، ويبشِّرهم برحمة الله سبحانه وتعالى وفضله .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : حدثني نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني لقائمٌ أنتظرُ أُمتي تعبر على الصراط ، إذا جاءني عيسى ـ عليه السلام ـ فقال : هذه الأنبياءُ قد جاءتك يا محمد ، يشتكون ـ أو قال : يجتمعون ـ إليك ، يدعون اللهَ عز وجل أن يفرِّقَ جمعَ الأمم إلى حيث يشاء الله ، لغمِّ ما هم فيه ـ والخلقُ ملجَمون في العرق ، وأما المؤمن فهو عليه كالزكمة . وأما الكافرُ فيغشاه الموتُ ـ قال : قال[1] : عيسى انتظر حتى أرجع إليك .

قال : فذهب نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى قام تحت العرش ، فلقي ما لم يَلْقَ مَلَكٌ مصطفى ولا نبيٌّ مرسَلٌ ، فأوْحى اللهُ عز وجل إلى جبريل : اذهب إلى محمد ، فقل له : ارفع رأسك ، سَلْ تُعط ، واشفع تُشفَّع ، قال : فشفعت في أمتي ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن خزيمة والضياء ، برجال الصحيح[2].

---

(١) القائل ـ والله تعالى أعلم ـ هو النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم . ويكون المعنى : قال أنس : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا عيسى انتظر... ».

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٧٨) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ : ٦١٦ ـ ٦١٧) والمختارة (٧ : ٢٤٨ ـ ٢٥٠ من طريقين) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٣ ـ ٣٧٤) والترغيب والترهيب (٦ : ٢١٨ ـ ٢١٩) وفتح الباري (١١ : ٤٣٦) وإتحاف المهرة (٢ : ٣٥٤ ـ ٣٥٥) وكنز العمال (١٤ : =

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أولُهم خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا قائدُهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبُهم إذا أنصتوا ، وأنا شافعُهم إذا حُبسوا ، وأنا مبشِّرُهم إذا أيسوا ،... ». رواه الترمذي وحسنه ، والدارمي وأبو نعيم والبيهقي والبغوي بأسانيد حسان[1].

وأحاديث الشفاعة كلها تدل على هذا الفضل ، وذلك عندما يتبرأ الأنبياء عليهم السلام من التشفع للخلائق ـ بما فيهم أممهم ـ فيقول صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا لها ، أنا لها ». فشفاعتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم هي أكبر فضلٍ وبشارة للخلائق جميعاً ، إذا قيست بما هم فيه من الغمِّ والهمِّ والكرب الشديد ، والله تعالى أعلم .

٦٥ ـ ما يُوحى إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم في سجوده تحت العرش مما لم يُفتح على غيره من قبل ومن بعد :

ومما خصَّ الله سبحانه وتعالى به نبيَّه وصفيَّه وحبيبَه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم : هو سجوده تحت العرش ، بحيث يُوحي الله سبحانه وتعالى إليه ، ويفتحُ عليه من الدعاء ، بما لم يُسبق له مثيلٌ من قبل ، ولم يفتح على نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام من قبل ولا من بعد .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أُتي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوماً بلحمٍ ، فرُفع إليه الذراعُ ـ وكانت تعجبه ـ فَنَهسَ منها نهسةً ،

= ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٠) وسنن الدارمي : المقدمة : باب ما أعطي النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم من الفضل (١ : ٣٠ رقم٥٠) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٧٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٤٨٣ ـ ٤٨٤) وشرح السنة (١٣ : ٢٠٣).

فقال : « أنا سيدُ الناس يوم القيامة ،... ». الحديث ، وفيه : « فأنطلقُ فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتحُ اللهُ عَلَيَّ ، ويُلهمُني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، سلْ تُعطه ، اشفع تشفَّع... ». الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال : أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم ، فصلى الغداةَ ، ثم جلس ، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى[2] والعصر والمغرب ، كلُّ ذلك لا يتكلم ، حتى صلَّى العشاءَ الآخرة ، ثم قام إلى أهله ، ثم قال الناس لأبي بكر : ألا تسأُل رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط .

قال فسأله ، فقال : « نعم ، عُرض عليَّ ما هو كائنٌ من أمرِ الدنيا وأمر الآخرة ، فجُمع الأوَّلون والآخِرون بصعيد واحد ،... » ثم ذكر طلبَ الناس من الأنبياء أن يشفعوا لهم ،... وفيه ، قال : « فيذهب ليقع ساجداً ، فيأخذُ جبريلُ عليه السلام بضبعيه[3] ، فيفتحُ اللهُ عز وجل عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشرٍ قط ». الحديث بطوله ، رواه أحمد ـ واللفظ له ـ وأبو يعلى والبزار وابن حبان وابن أبي عاصم وابن خزيمة وأبو عوانة والمروزي والدولابي في الكنى ، ورجالهم ثقات[4]. وقد مر عند رقم (١٠ ، ٥٠).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم (٣٢٧).

(٢) أي صلاة الظهر .

(٣) قوله : (ضبعيه) تثنية (ضبع) وهو وسط العضد ، وقيل ما تحت الإبط ، النهاية (٣ : ٧٣).

(٤) مسند أحمد (١ : ٤ ـ ٥) وكتاب التوحيد (٢ : ٧٣٥ ـ ٧٣٧) وصحيح ابن حبان (٨ : =

وقال إسحاق بن راهويه : هذا من أشرف الحديث .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يطول يومُ القيامة على الناس ، فيقول بعضُهم لبعض : انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر ، فيشفَعُ لنا إلى ربنا عز وجل فليقض بيننا... ». الحديث ، وفيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلم : « فأخرُّ ساجداً ، فأحمد ربي عز وجل بمحامد ، لم يحمده بها أحدٌ كان قبلي ، ولا يحمده بها أحدٌ كان بعدي ، فيقول : ارفع رأسك ، وقُلْ يُسمع منك ، وسلْ تعطه ، واشفع تشفع ،... ». الحديث ، رواه أحمد وابن خزيمة ، وأصل الحديث عند الشيخين(1).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنه لم يكن نبيٌّ إلا له دعوة قد تنجَّزها في الدنيا ، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعةً لأُمَّتي ، وأنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أولُ من تنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخر ، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر ، آدمُ ـ فمن دونه ـ تحت لوائي ولا فخر ، ويطوِّل يوم القيامة على الناس ، فيقول بعضُهم لبعض : انطلقوا بنا إلى آدم ،... ». الحديث ، وفي آخره : « فأحمده بمحامد لم يحمده بها أحدٌ كان قبلي ، وليس يحمده بها أحدٌ بعدي ، فيقال : يا

= ١٣٤ ـ ١٣٦) وموارد الظمآن رقم (٢٥٨٩) ومسند أبي عوانة (١ : ١٧٥ ـ ١٧٨) ومسند أبي يعلى (١ : ٥٦ ـ ٥٩) والبحر الزخار (١ : ١٤٩ ـ ١٥١) وكشف الأستار (٤ : ١٦٨ ـ ١٧٠) والسنة (٢ : ٣٤٩ ، ٣٨١ ـ ٣٨٢) ومسند أبي بكر للمروزي (٤٨ ـ ٥٣) والكنى (١ : ١٥٥ ـ ١٥٦) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٤٧ ـ ٢٤٨) وكتاب التوحيد (٢ : ٦١٣ ـ ٦١٦ من طريقين) وصحيح البخاري : كتاب التوحيد ، في موضعين . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم (٣٢٦).

محمد ؛ ارفع رأسَك ، وسَلْ تُعطه ، وقُل تُسمع ، واشفع تُشفَّع . فأرفعُ رأسي ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد والطيالسي والبيهقي وأبو يعلى ولم يذكر آخره[1] وللحديث شواهد . وقد مر عند رقم (٥٢ ، ٦٢).

وقد مر حديثُ أنس رضي الله تعالى عنه عند رقم (٦٤) وفيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلم : « فذهب نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى قام تحت العرش ، فلقي ما لم يَلْقَ مَلَكٌ مصطفى ، ولا نبيٌّ مرسَلٌ ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن خزيمة وسعيد بن منصور برجال الصحيح ، والله تعالى أعلم .

٦٦ ـ منبره صلى الله عليه وآله وسلَّم على حوضه :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به نبيِّه وصفيَّه الكريمَ سيِّدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن جعل منبرَه الذي كان يخطُب عليه في مسجدِه في الدنيا ، منصوباً على حوضه يومَ القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي ». متفق عليه[2].

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، ٢٩٥ ـ ٢٩٦) ورقم (٢٥٤٦ ، ٢٦٩٢) من نسخة أحمد شاكر ، ومسند الطيالسي (٣٥٣ ـ ٣٥٤) ومنحة المعبود (٢ : ٢٢٦) ومسند أبي يعلى (٤ : ٢١٣ ـ ٢١٦) ودلائل النبوة (٥ : ٤٨١ ـ ٤٨٣) وشعب الإيمان (٢ : ١٨٠ ـ ١٨١) وانظر مجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٢ ـ ٣٧٣).

وفي إسنادهم جميعاً : علي بن زيد بن جدعان ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، ومسلم مقروناً ، وباقي أصحاب السنن ، وقد وثقه جماعة وضعفه آخرون ، ويصحح له الترمذي . وللحديث شواهد كثيرة ، فهو حديث حسن .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة : باب فضل ما بين القبر والمنبر ، =

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله تعالى عنهما ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما بين بيتي ومنبري : روضةٌ من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي ». رواه أحمد والطحاوي وابن عبد البر والبيهقي برجال الصحيح ، هكذا بدون شك[1].

ورواه مالك أحمد والطحاوي برجال الصحيح ، وفيه : (عن أبي هريرة أو أبي سعيد)[2] بالشك ، والله تعالى أعلم .

ورواه الطبراني في الكبير والأوسط[3] بسندٍ رجاله ثقات ، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما .

ورواه البزار والطبراني في الكبير[4]، بسندٍ رجاله ثقات ، عن سعد بن

= وكتاب فضائل المدينة : باب كراهية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تعرى المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ، رقم (٥٠١).

(١) مسند أحمد (٣ : ٤) وشرح مشكل الآثار (٤ : ٦٩) والتمهيد لابن عبد البر (٢ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦) والبعث والنشور (١٢٩ ـ ١٣٠) ومجمع الزوائد (٤ : ٨).

(٢) الموطأ : كتاب القبلة : باب ما جاء في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١٠) ومسند أحمد (٢ : ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ، ٥٣٣) وشرح مشكل الآثار (٤ : ٦٩).

وأما ما ورد بلفظ « ما بين قبري ومنبري » فأحاديثه كثيرة ، ولي فيها رسالة مستقلة ، وهكذا عنونه الإمام البخاري رحمه الله تعالى (باب فضل ما بين القبر والمنبر) وانظر فضائل المدينة المنورة ، ومختصره ، للجمع بين اللفظين « ما بين بيتي » وَ « ما بين قبري ». وانظر شرح مشكل الآثار ، فقد أطال النفس في الجمع بينهما .

(٣) المعجم الكبير (١٢ : ٢٩٤) والمعجم الأوسط (١ : ٤١٢) ومجمع الزوائد (٤ : ٩) ومجمع البحرين (٣ : ٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٤) البحر الزخار (٤ : ٤٤رقم ١٢٠٦) وكشف الأستار (٢ : ٥٦ ـ ٥٧) والمعجم الكبير (١ : ١١٠رقم ٣٣٢) ومجمع الزوائد (٤ : ٩) وتاريخ بغداد (١١ : ٢٩٠).

أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أيضاً .

كما ورد أن منبرَه صلى الله عليه وآله وسلَّم على تُرْعَةٍ من تُرَعِ الجنة .

فعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما ، أنه سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « منبري على تُرْعةٍ من تُرَع الجنة ». رواه أحمد والطيالسي وأبو عوانة والطحاوي وابن قانع والطبراني في الكبير وابن الجعد والبيهقي ، ورجاله رجال الصحيح[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن ما بين منبري إلى حجرتي روضة من رياض الجنة ، وإن منبري على تُرعةٍ من تُرع الجنة ». رواه أحمد والطحاوي والبزار وأبو يعلى وأبو نعيم والخطيب والبيهقي[2] وهو حسن .

وقد جاء تعيينِ المنبرِ بوصفٍ لا يحتمل غيره .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « منبري هذا على تُرعةٍ من ترع الجنة ». رواه ابن أبي شيبة وابن سعد وأحمد والنسائي والطبراني في الصغير والأوسط والبغوي والبيهقي[3].

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٣٣٥ ، ٣٣٩) والمعجم الكبير (٦ : ١٧٤، ١٨٤، ٢٠٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥) ومسند علي بن الجعد (٢ : ١٠٥٥) ومنحة المعبود (٢ : ٢٠٥) وشرح مشكل الآثار (٤ : ٧١) ومعجم الصحابة (١ : ٢٧٠) وإتحاف المهرة (٦ : ١١٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢٤٧) ومجمع الزوائد (٤ : ٩) وقال الهيثمي رحمه الله تعالى : ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٨٩) وشرح مشكل الآثار (٤ : ٧٠) وكشف الأستار (٢ : ٥٧) ومسند أبي يعلى (٣ : ٣١٩ـ ٣٢٠ ، ٤٦٢) وحلية الأولياء (٣ : ٢٦) وشعب الإيمان (٨ : ٩٨ ـ ٩٩) وتاريخ بغداد (٣ : ٣٦٠) وكنز العمال (١٢ : ٢٦٠).ومجمع الزوائد (٤ : ٨ ـ ٩).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٨) والطبقات الكبرى (١ : ٢٥٣) ومسند أحمد (٢ : =

ورواه الطبراني[1] بسند حسن بنحوه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إن قوائمَ منبري هذا رواتبُ في الجنة». أخرجه عبد الرزاق والحُميدي وأحمد والنسائي وابن حبان والطبراني والبيهقي وغيرهم بإسناد صحيح[2].

ورواه أبو عوانة والبيهقي رحمه الله تعالى[3] بإسناد صحيح من حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما.

وهناك نصوص غير هذه ذكرتُها في (فضائل المدينة المنورة).

= ٣٦٠، ٤٠١ـ٤٠٢، ٤١٢، ٤٥٠، ٥٣٤) والسنن الكبرى للنسائي (٢: ٤٨٨) والروض الداني (٢: ٢٤٩) والمعجم الأوسط (٩: ٥٦) وشرح السنة (٢: ٣٣٩ـ٣٤٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٥: ٢٤٧).

(١) المعجم الأوسط (٣: ٢٦٩) ومجمع البحرين (٣: ٢٨٢ـ٢٨٣) ومجمع الزوائد (٤: ٩).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٣: ١٨٢) ومسند الحميدي (١: ١٣٩) والطبقات الكبرى (١: ٢٥٣) ومسند أحمد (٦: ٢٨٩، ٢٩٢، ٣١٨) وسنن النسائي: كتاب المساجد: باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم والصلاة فيه (٢: ٣٥ـ٣٦) والسنن الكبرى له (١: ٢٥٧) (٢: ٤٨٨) وشرح مشكل الآثار (٤: ٦٨) ومسند أبي يعلى (١٢: ٤٠٩) والمعجم الكبير (٢٣: ٢٥٤) وصحيح ابن حبان (٦: ٢٤) وحلية الأولياء (٧: ٢٤٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٥: ٢٤٨) وفضائل المدينة للجندي (٣٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٢: ٥٦٤). وانظر فضائل المدينة المنورة للمؤلف.

ومعنى «رواتب» جمع راتبة، من رتب إذا انتصب قائماً، أي أن الأرض التي هو فيها من الجنة، فصارت القوائم مقرها الجنة، أو أنه سينقل إلى الجنة، والله تعالى أعلم. حاشية السندي على النسائي (٢: ٣٦).

(٣) السنن الكبرى (٥: ٢٤٧) وإتحاف المهرة (٦: ١١٥).

وليست هذه هي الخصال التي انفرد بها النبيُّ المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم عن جميع الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام في الآخرة ، بل هناك غيرها ، لكني اقتصرتُ على هذه للتدليل على عُلُوِّ قدرِه ، ورفعة مكانته صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه عز وجل ، والله تعالى أعلم .



الفصل الثاني
ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به في أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم

وينقسم إلى مبحثين

المبحث الأول : ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به في أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا .

المبحث الثاني : ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به في أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم في الآخرة .

المبحث الأول
ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به في أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى هذه الأمةَ بنعم جليلة ، ومنحٍ عظيمة ، وميزات كبيرة ، ومكرمات فاضلة ، وأعطيات منيفة ،... هي في أَصلها إكرامٌ من الله سبحانه وتعالى لنبيه وصفيه وحبيبه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولو لم تتبعه لما أعطيت هذه الكرامات ، وتلك الميزات ، وهذه الأُعطيات .

ولا أستطيع أن أستعرض جميعَ ما وقفتُ عليه من النعم والمكرمات ، والمنح والميزات ، في هذه الأوراقِ القليلةِ ، وإنما سأقتصر على ذكر بعضها ، كما فعلتُ في الفصل الأول ، ومن أراد الزيادةَ فليرجع إلى الأصل .

٦٧ ـ جُعلت خير الأمم :

لقد جعل اللهُ سبحانه وتعالى هذه الأمةَ خيرَ الأُمم ، واصطفاها من جميع الخلق ، لتكون أمةً لنبيِّه وصفيِّه الكريمِ سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، واجتباها لتكون الأمةَ الوسطَ، واختصّها عز وجل لتكون الشاهدةَ للأنبياء عليهم السلام على أممهم ، كل ذلك تكريماً له صلى الله عليه وآله وسلم . فكما أنه سيد الخلق ، وأفضل الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام كانت أمتُه خيرَ الأمم ، وأفضلها ، وما نالت ذلك إلّا لأنها أمته .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[1] .

---

(١) سورة آل عمران (١١٠).

وقال الله عز وجل أيضاً : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

وعن أبي سعيد الخدْري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يُجاء بنوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغتَ ؟ فيقول : نعم يا رب ، فتُسأل أمتُه : هل بلَّغَكُم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقول : مَنْ شهودُك ؟ فيقول : محمدٌ وأمتُه ، فيُجاء بكم ، فتشهدون » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ». رواه البخاري[2].

فقوله : « ﴿وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً » هو مرفوع من الحديث ، كما بيَّنه الحافظُ رحمه الله تعالى في الفتح[3] حيث جاء في كتاب التفسير ؛ من صحيح البخاري « والوسط : العدل ».

والوسط هنا : هو الخيار والأجود ، كما يقال : قريشٌ أوسطُ العرب نسباً وداراً ، أي خيرها ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وسطاً في قومه ، أي أشرفهم نسباً.اهـ. ابن كثير .

كما أن الوسط : هو التوسط بين الطرفين ، لتوسطهم في الدِّين ، فلا هم يغالون غُلُوَّ النصارى في الترهُّب ، ولا هم أهلُ تقصير كاليهود ، ولكنهم أهل توسط واعتدال.اهـ. طبري .

---

(١) سورة البقرة (١٤٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

(٣) فتح الباري (٨ : ١٧٢).

فهم خيارٌ، أجوادٌ، متوسطون في الأمور، والله تعالى أعلم.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1].

وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: «إنكم تُتِمّون سبعين أمةً، أنتم خيرُها، وأكرمُها على الله».

وفي لفظ «أنتم أفخرُها، وأكرمُها على الله عز وجل». رواه أحمد وابن المبارك والدارمي، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، والطبراني في الكبير، وصحّحه الحاكم وأقره الذهبي، وصححه الحافظ في الفتح أيضاً[2].

وروى أحمد[3] نحوَه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «أُعطيت ما لم يُعطَ أحدٌ من الأنبياء،...». الحديث بطوله، وفيه: «وجُعلتْ أُمَّتي خيرَ الأمم». رواه ابن أبي شيبة وأحمد[4] بإسناد حسن.

---

(١) سورة الحج (٧٨).

(٢) مسند عبد الله بن المبارك (٦٥ رقم ١٠٦) ومسند أحمد (٤: ٤٤٦ـ ٤٤٧، ٤٤٧، ٤٤٨) (٥: ٣، ٥ من طرق) ومسند عبد بن حُميد (١٥٥، ١٥٦رقم ٤٠٩، ٤١١) وسنن الدارمي (٢: ٢٢١رقم٢٧٦٣) وسنن الترمذي: كتاب التفسير: تفسير سورة آل عمران، رقم (٣٠٠١) والسنن الكبرى للنسائي (٦: ٤٣٩) وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم، رقم (٤٢٨٧، ٤٢٨٨) والمعجم الكبير (١٩: ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣) والمستدرك (٤: ٨٤) وفتح الباري (٨: ٢٢٥).

(٣) مسند أحمد (٣: ٦١) ومصنف عبد الرزاق (١١: ٣٤٦ـ٣٤٧ رقم ٢٠٧٢٠).

(٤) مسند أحمد (١: ٩٨، ١٥٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١١: ٤٣٤) والسنن الكبرى للبيهقي (١: ٢١٣ـ٢١٤) ومجمع الزوائد (١: ٢٦٠) وانظر رقم (٧٤).

وعن أبيٍّ بن كعبٍ رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « بشِّر هذه الأُمَّةَ بالسَّناء ، والدِّين ، والرفعةِ ، والنصرِ ، والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عملَ الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب ». رواه أحمد ، وصحّحه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، والضياء ، ورواه غيرهم بأسانيد حسنة[1].

ومما يدخل في هذا الباب ما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية من رضى الله تعالى عن طوائف من هذه الأمة .

كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[2].

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة ، فقال لنا النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنتم اليومَ خيرُ أهل

---

(١) مسند أحمد (٥ : ١٣٤ من طرق) والزهد له (٣٢) والزهد لابن أبي عاصم (رقم ١٦٨) ومسند الشهاب (١ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤ مختصراً) ومسند الشاشي (٣ : ٣٦٨ ـ ٣٧١ من طرق) ومعجم ابن الأعرابي (١ : ٣٤٠ ـ ٣٤٢ رقم ٦٥٣) والمستدرك (٤ : ٣١١ ، ٣١٨) وصحيح ابن حبان (١ : ٣١١) وشرح السنة (١٤ : ٣٣٤ ـ ٣٣٥) والكنى للدولابي (١ : ١٨٠) وشعب الإيمان (٥ : ٣٣٤) (٧ : ٢٨٧) ودلائل النبوة (٦ : ٣١٨) وحلية الأولياء (١ : ٢٥٥ ـ ٢٥٦) (٩ : ٤٢) (١٠ : ٢٩٠) والمختارة (٣ : ٣٥٧ ـ ٣٦٠ من طرق) ومجمع الزوائد (١٠ : ٢٢٠).

(٢) سورة الفتح (١٨).

(٣) سورة التوبة (١٠٠).

الأرض ». متفق عليه[1]. وهناك نصوص كثيرة في ذلك ، وما ذكرته فيه الغنية إن شاء الله تعالى .

٦٨ ـ الله سبحانه وتعالى سمَّاهم المسلمين ، وخصَّهم بالإسلام :

ومما خصَّ الله سبحانه وتعالى به هذه الأمة ، وأكرمها وفضَّلها ـ تفضيلاً لنبيها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتكريماً له ، وتفضيلاً لها على غيرها ـ : أن سماهم المسلمين في القرآن الكريم ، وفي الكتب السماوية السابقة ، كما ارتضى سبحانه وتعالى لهم دينَه الإسلام .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾[2].

وقال الله جل شأنه أيضاً : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[3].

وعن الحارث الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثا[4] جهنم »

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الحديبية . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ،... رقم (٧١).

(٢) سورة الحج (٧٨).

(٣) سورة المائدة (٣).

(٤) جُثا : جمع جُثْوَة ـ بالضم ـ وهو الشيء المجموع ، وتروى هذه اللفظة « جُثِيٌّ » بتشديد الياء ، جمع جاث ، وهو الذي يجلس على ركبتيه.اهـ. (النهاية ١ : ١٣٩) والمراد به ـ والله تعالى أعلم ـ : من دعا بدعوى الجاهلية فهو من جماعة جهنَّم المحكوم عليهم بالنار . اللهم احفظنا منها . آمين .

قالوا : يا رسول الله ؛ وإن صلّى وصام ؟ قال : « وإن صلّى وصام ، وزعم أنه مسلمٌ ، فادعوا المسلمين بأسمائهم ، بما سمّاهم الله عز وجل : المسلمين ، المؤمنين ، عباد الله عز وجل ». رواه أحمد ـ واللفظ له ـ وعبد الرزاق والطيالسي والبخاري في تاريخه ، والنسائي والطبراني وأبو يعلى وابن منده وآخرون بأسانيد صحيحة ، وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم(١).

ولهذا أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلَّم عن يأس الشيطان مِن أنْ يُعبد في هذه الجزيرة ـ التي كانت ـ قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ـ مركزاً من مراكز الوثنية وعبادة الشيطان .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن الشيطان قد أَيِس أن يَعْبدَه المصلُّون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم ». رواه مسلم(٢).

وقد جاء نحوه عن عدد من الصحابة ؛ كابن عباس وأبي هريرة وعبادة ابن الصامت ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهم .

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٣٠ ، ٢٠٢) ومصنف عبد الرزاق (١١ : ٣٤٠ ـ ٣٤١) ومسند الطيالسي (١٥٩ ـ ١٦٠) ومنحة المعبود (٢ : ٥٣ ـ ٥٤) وسنن الترمذي : كتاب الأمثال : باب مثل الصلاة والصيام والصدقة ، رقم (٢٨٦٣ ـ ٢٨٦٤) وتفسير النسائي (٢ : ١٩٤) والسنن الكبرى له : كتاب السير : باب الوعيد لمن دعا بدعوى الجاهلية ، رقم (٨٨٦٦) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ١٩٥ ـ ١٩٦) وصحيح ابن حبان (٨ : ٤٣ ـ ٤٤) وموارد الظمآن (٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، ٢٧٢ ـ ٢٧٣) والمستدرك (١ : ١١٧ ـ ١١٨، ٢٣٦ ، ٤٢١ ـ ٤٢٢) والمعجم الكبير (٣ : ٣٢٣ ـ ٣٢٨) من طرق ، ومسند أبي يعلى (٣ : ١٤٠ ـ ١٤٢) والتمهيد لابن عبد البر (٢١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠) والإيمان لابن منده (٢ : ٣٧٥ ـ ٣٧٧) وشعب الإيمان (٦ : ٥٩ ـ ٦٠) وانظر تهذيب الكمال (٥ : ٢١٧ ـ ٢١٩) والفتح الكبير (١ : ٣٢٥ ـ ٣٢٦) والدر المنثور .

(٢) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب تحريش الشيطان ، رقم (٦٥).

وقوله : « ولكن في التحريش بينهم » أي رَضِيَ الشيطانُ أن يوقع بينهم الخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها ، وأيس أن يرتد المسلمون في جزيرة العرب عن دينهم الإسلام ، وهذا كلُّه إلى قُبيل قيام الساعة ـ حيث ينتهي ذلك ـ عندما يموت من في قلبه ذرة من إيمان ، والله تعالى أعلم .

كما أخبرنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الساعةَ لن تقومَ طالما هذا الإسلامُ موجوداً في الأرض . ولما كان عنوان الإسلام الشهادة ، لذا فلن تقوم طالماً في الأرض من يعرف الله تعالى ، ويقول : لا إله إلا الله .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا تقوم الساعةُ على أحدٍ يقول : لا إله إلا الله ». رواه ابن حبان والحاكم وصححاه وصححه أبو نعيم[(١)].

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال : الله ، الله ».

وفي رواية : « لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله ، الله ». رواهما مسلم[(٢)].

فطالما في الأرض من يقول بالتوحيد فلا تقوم ، لأنها لا تقوم إلى على شرار الخلق ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم[(٣)]، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح ابن حبان (٨ : ٢٩٩) والمستدرك (٤ : ٤٩٤ ـ ٤٩٥) وتاريخ بغداد (٣ : ٨٢). وقد ورد من حديث أبي هريرة وابن عُمر وابن عباس وابن عَمْرو رضي الله تعالى عنهم ، أيضاً ، انظر : حلية الأولياء (٣ : ٣٠٥) وتاريخ بغداد (٨ : ٢٦٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب ذهاب الإيمان آخر الزمان ، رقم (٢٣٤).

(٣) انظر : أشراط الساعة ، ومختصره ، فقد ذكرت الروايات في ذلك . وبينت متى يقع ذلك ، والعلم عند الله تعالى .

٦٩ ـ أكمل اللهُ سبحانه وتعالى لها الدِّين ، وأتمَّ عليها النعمة :

لقد ذكر اللهُ سبحانه وتعالى مِنَنَه على هذه الأمة ـ تكريماً لنبيِّها صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ـ بأن : أكمل لها الدين ، وأتمَّ عليها النعمةَ ، ورضي لها الإسلامَ ديناً ، ولم يكن ذلك إلا لهذه الأمة ، والحمد لله على فضله ونعمائه .

فقال عز وجل : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين ، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا معشرَ اليهودِ نزلتْ ؛ لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : أيُّ آيةٍ ؟

قال : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ .

قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم ، والمكانَ الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : وهو قائمٌ بعرفةَ ، يوم جمعة . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2] .

وفي لفظ لمسلم : فقد علمتُ اليومَ الذي أُنزلتْ فيه ، والساعةَ ، وأين رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حين نَزلت .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد رضي لهذه الأمة الإسلامَ ، فإن المؤمنَ

---

(١) سورة المائدة (٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب زيادة الإيمان ونقصانه . وصحيح مسلم : كتاب التفسير ، رقم (٣ ـ ٥).

إذا رضيَ بالله تعالى ربّاً ، بالإسلام ديناً ، وبالنبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً : أكرمه الله تعالى بأن يذوقَ حلاوةَ الإيمان .

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ذاقَ طعمَ الإيمان : مَنْ رضيَ بالله ربّاً ، وبالإسلامِ ديناً ، وبمحمدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ رسولاً ». رواه مسلم[1].

ولهذا كان المؤمن ـ الذي هذه حاله ـ يكره الكفرَ ـ رجوعاً أو تلَبُّساً ـ كما يكره الدخولَ في النار .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوةَ الإيمان ؛ أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما . وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله . وأن يكرهَ أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكرهُ أن يقذفَ في النار ». متفق عليه[2].

لذلك فإن الله تعالى يحميه ، ومن هنا نرى أن هذه الأمة كلها في الجنة ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، عند رقم (٩٤).

٧٠ ـ ما حطه الله سبحانه وتعالى عنها من الإصْر والأغلال :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمة ، وأكرمها به ، ومنحها إياه ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ـ : أن رفع عنها الإصرَ الذي كان على من سبقها ، والأغلالَ التي

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أنَّ مَن رضيَ الله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلَّم رسولاً فهو مؤمن ،... رقم (٥٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب حلاوة الإيمان . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، رقم (٦٧ ـ ٦٨).

كانت عليهم ، وجعل دينَها دينَ اليسر والسماحة ، ليس فيه عُسرٌ ، ولا حَرَجٌ ولا مشقةٌ ،... بل هو ما كان على وفق الفطرة ، ليواكب استمراريةَ الدعوة ، وبقاءَ هذا الدين إلى آخر الدهر .

فأحلَّ لهم كثيراً مما شدَّدَ على من سبقهم ، ورفع عنهم الخطأَ والنسيانَ وما استُكرِهوا عليه ، ولم يَكتب تعالى عليهم الهمَّ السيء في النفوس ، ولا الوساوسَ في الصدور ، ما لم يفعل الإنسان ، بل يُكتب حسنةً إذا لم يفعله ، ومن همَّ بحسنة فإنها تُكتب حسنة ، فإن عملها تكتب عشراً إلى إضعاف كثيرة ، ووضع عنهم القتلَ في التوبة ، وقرضَ موضع النجاسة ، ورخَّص لهم في مخالطةِ الحائض ، وأباح لهم الطيباتِ من اللحم ،...إلخ[١].

قال سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[٣].

وقال الله عز وجل : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[٤].

وقال الله عز وجل : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١].

---

(١) انظر : الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد أطلت النفس في بيان سعة رحمة الله تعالى ، وشمول رحمة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم للجميع .

(٢) سورة الحج (٧٨).

(٣) سورة الأعراف (١٥٧).

(٤) سورة المائدة (٦).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « قال الله عز وجل : إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها سيئةً ، وإذا همَّ بحسنةٍ فلم يعملها فاكتبوها حسنةً ، فإن فعلها فاكتبوها عشراً ».

زاد في رواية : « فإن عملها كتبتُها عشرَ حسناتٍ إلى سبعمائة ضعف ». متفق عليه[2] وله ألفاظ في روايات متعددة .

ورويناه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضاً .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله تجاوز لأمتي ما حدَّثت به أنفسها ، ما لم يتكلَّموا ، أو يعملوا به ». متفق عليه[3].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن الله تجاوز عن أمتي الخطأَ والنسيانَ وما استُكْرِهوا عليه ». رواه ابن حبان والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، ورواه غيرهما ، وحسنه النووي في الروضة والأربعين[4].

---

(١) سورة البقرة (١٨٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب من هم بحسنة أو بسيئة ، وكتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب إذا همَّ العبد بحسنة كُتبت ، وإذا همَّ بسيئة لم تُكتب ، رقم (٢٠٣ ـ ٢٠٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب تجاوز الله سبحانه وتعالى عن حديث النفس والخواطر ، رقم (٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٤) صحيح ابن حبان (٩ : ١٧٤) والمستدرك (٢ : ١٩٨) وسنن الدارقطني (٤ : ١٧٠ـ ١٧١) =

ومن أمثلة ما خففه الله تعالى على هذه الأمة ، وكان على من سبقها أشد :

ـ كان في من سبق من أراد التوبة يقتل نفسَه ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[1] .

بينما التوبة في الإسلام : الندمُ ، والإقلاعُ عن الذنب ، والاستغفارُ ، وعدمُ العودةِ إليه .

ـ وقد كان في من سبق إذا أصاب ثوبَ أحدهم ـ وعند مسلم : جلْدَ أحدهم ـ بولٌ : قرضه بالمقاريض .

عن أبي وائل رحمه الله تعالى قال : كان أبو موسى يشدِّد في البول ، ويبول في قارورة ، ويقول : إن بني إسرائيل كان إذا أصابَ جلْدَ أحدهم البولُ قرضَه بالمقاريض ، فقال حذيفة : لوددت أن صاحبَكم لا يشدِّدُ هذا التشديد ، فلقد رأيتُني أنا ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نتماشى ، فأتى سباطةً[2]

= والمعجم الكبير (١١ : ١٣٣ ـ ١٣٤) والمعجم الصغير (٢ : ٥٢) والسنن الكبرى (٧ : ٣٥٦ ـ ٣٥٧) (١٠ : ٦٠ ـ ٦١) وتاريخ جرجان (٣٥٧) ورواه ابن ماجه ـ منقطعاً ـ : كتاب الطلاق : باب طلاق المكره والناسي ، رقم (٢٠٤٥) وانظر : الروضة (٨ : ١٩٣) والأربعين النووية (١٠٢ ـ ١٠٣) بشرح ابن دقيق العيد ، ونصب الراية (٢ : ٦٤) والتلخيص الحبير (١ : ٢٨١ ـ ٢٨٣) وفتح الباري (٩ : ٣٩٠) وجامع العلوم والحكم (٢ : ٣٦٢ وما بعد).

(١) سورة البقرة (٥٤).

(٢) وقوله : « سباطة » هي ملقى القمامة والتراب ونحوهما ، تكون بفناء الدور ، مرفقاً لأهلها ، وتكون رخوة غالباً يخد فيها البول .

وفعلُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك كان لوجع في صلبه ، أو جرح كان في باطن ركبته ، أو لبيان الجواز ، والله تعالى أعلم . وانظر فتح الباري (١ : ٣٣٠).

خلف حائط ، فقام كما يقوم أحدُكم فبال ، فانتبذت منه ، فأشار إليَّ ، فجئتُ ، فقمتُ عند عقبه حتى فرغ ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

ويوضح ذلك أكثر حديثُ عبد الرحمن بن حسنة رضي الله تعالى عنه قال : انطلقت أنا وعَمْرُو بنُ العاص إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فخرج ومعه الدَّرقة ، ثم استتر بها ،... الحديث .. وفيه : فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ألم تعلموا ما لَقي صاحبُ بني إسرائيل ؟ كان إذا أصابهم البولُ قطعوا ما أصابه البولُ منهم ، فنهاهم ، فعُذِّب في قبره ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والحميدي وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى ، وابن حبان والحاكم وصححاه ، وأقره الذهبي ، والبيهقي بأسانيد صحيحة[2].

بينما في الإسلام : يغسل المكان الذي أصابه البولُ فقط ، سواء كان ثوباً ، أو بدناً ، أو غير ذلك ، والله تعالى أعلم .

ـ وقد كان في من سبق أن المرأةَ إذا حاضت لا تُؤاكل ، ولا تُساكن في البيوت ، ولا تمسّ ماءاً ولا عجيناً ،... لأنها نجسة ، ولما جاء الإسلام ألغى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب البول عند سباطة قوم . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب المسح على الخفين ، رقم (٧٤).

(٢) مسند أحمد (٤ : ١٩٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١ : ١٢٢) (٣ : ٣٧٥ ـ ٣٧٦) ومسند الحميدي (٢ : ٣٩٠ رقم ٨٨٢) والمنتقى لابن الجارود (٥٣ ـ ٥٤ رقم ١٣١) والمعرفة والتاريخ (١ : ٢٨٤) وسنن أبي داود : كتاب الطهارة : باب الاستبراء من البول ، رقم (٢٢) وسنن النسائي : كتاب الطهارة : باب البول إلى السترة يستتر بها (١ : ٢٦ ـ ٢٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الطهارة : باب التشديد في البول ، رقم (٣٤٦) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٣٢) وصحيح ابن حبان (٥ : ٥١ ـ ٥٢) وموارد الظمآن ، رقم (١٣٩) والمستدرك (١ : ١٨٤ ، ١٨٤ـ ١٨٥) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ١٠١ ـ ١٠٤) وفتح الباري (٢ : ٣٢٨) وصحّحه ، ونقل تصحيحَه عن الدّارقطني أيضاً .

ذلك كلَّه ، إلّا الوطء في الفراش فقط ، ولله الحمد والمنة والفضل .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم ، لم يُؤاكلوها ، ولم يجامعوهن في البيوت[1] فسأل أصحابُ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم، فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ... ﴾ إلى آخر الآية[2]، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اصنعوا كلَّ شيء إلا النكاح » فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ،... الحديث ، رواه مسلم[3].

هناك أمور كثيرة خفَّفَ اللهُ سبحانه وتعالى عنا فيها ، وهي موجودة فيما سبق ، والفضلُ بيد الله تعالى وحده .

٧١ ـ صلاة المسيح عليه السلام خلفَ إمامِ المسلمين :

لقد تواترت الأخبارُ بأن المسيحَ عليه السلام حين ينزل في آخر الزمان ، ويقتلُ الدَّجالَ : يُصلي خلفَ إمام هذه الأمة ـ كل ذلك تكريما للنبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لهذه الأمة على غيرها من الأمم .

قال الإمامُ الآبري رحمه الله تعالى : تواترتِ الأخبارُ بأن المهديَّ من هذه الأمة ، وأن عيسى عليه السلام يُصلي خلفه[4].اهـ.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) أي لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في البيوت .

(٢) سورة البقرة (٢٢٢).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ، رقم (١٦).

(٤) فتح الباري (٦ : ٤٩٣).

وسلَّم يقول : « لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى ابنُ مريم صلى الله عليه وسلَّم فيقولُ أميرهُم : تعال صلِّ لنا ، فيقول : لا ، إن بعضَكم على بعضٍ أمراءُ ، تكرمةَ الله هذه الأمة ». رواه مسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كيف أنتم إذا نزل ابنُ مريم فيكم ، وإمامُكم منكم ». متفق عليه[2].

وفي رواية ثانية عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كيف أنتم إذا نزل فيكم ابنُ مريم فأمَّكُم منكم ؟ ».

قال ابن أبي ذئب : تدري ما أمَّكم منكم ؟... فأمَّكُم بكتاب ربكم تبارك وتعالى ، وسنة نبيِّكم صلى الله عليه وآله وسلَّم . لفظ مسلم[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يخرج الدجال في خِفَّةٍ من الدين ،... ثم ينزل عيسى ابنُ مريم من السَّحَر ،... فتقام الصلاةُ ، فيُقال له : تقدَّم يا روحَ الله ، فيقول : ليتقدَّم إمامُكم ، فليُصَلِّ بكم ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد برجال الصحيح ، وصححه الحاكم[4].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٢٤٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : الباب السابق ، رقم (٢٤٤).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤٥ ـ ٢٤٦).

(٤) مسند أحمد (٣ : ٣٦٧ ـ ٣٦٨) وكتاب التوحيد (١ : ١٠٢ ـ ١٠٣) ولم يسقه كاملاً ، =

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : خَطَبنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فكان أكثر خطبته حديثاً حدَّثناه عن الدجال ،... الحديث ، وفيه : « فبينما أمامُهم قد تقدم يُصلِّي بهم الصبحَ ؛ إذ نزل عليهم عيسى ابنُ مريم الصبحَ ، فرجع ذلك الإمامُ ينكص ، يمشي القهقرى ، ليتقدم عيسى يُصلي بالناس ، فيضعُ عيسى يدَه بين كتفيه ، ثم يقول له : تقدَّم فصَلِّ ، فإنها لك أقيمت . فيصلي بهم إمامُهم ،... » . الحديث . رواه أبو داود برجال ثقات ـ ولم يسق لفظه ـ وابن ماجه ـ واللفظ له ـ وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1] .

وقد روى أحمد وابن أبي شيبة والطبراني والحاكم من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله تعالى عنه نحوَه[2] .

وعيسى عليه السلام أفضلُ من المهدي رضي الله تعالى عنه ، من حيث كونُ المسيح عليه السلام نبيّاً ورسولاً لله تعالى ، ومِنْ أولي العزم ، لكنه علَّل ذلك بقوله : « إن بعضَكم على بعضٍ أمراءُ ، تكرمةَ الله هذه الأمة » .

والمسيح عليه السلام ، حينما ينزل من السماء في آخر الزمان ؛ لا ينزل بشرع جديد ، أو يحكم بما كان قد نزل عليه ، بل يكون متَّبِعاً للنبيِّ الكريم

= والمستدرك (٤ : ٥٣٠) ومجمع الزوائد (٧ : ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .

(١) سنن أبي داود : كتاب الملاحم : باب خروج الدجال ، رقم (٤٣٢٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الفتن : باب فتنة الدجال ،... رقم (٤٠٧٧) والمستدرك (٤ : ٥٣٦ ـ ٥٣٧) والشريعة للآجري (٣٧٥ ـ ٣٧٦) مختصراً . والمعجم الكبير (٨ : ١٧١ ـ ١٧٣ من طريقين) والسنة (١ : ١٧١ ـ ١٧٢) ولم يسقه كاملاً . وانظر النهاية لابن كثير (١ : ٧٧ ـ ٨١) .

(٢) مسند أحمد (٤ : ٢١٦ ـ ٢١٧ ، ٢١٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ١٣٦ ـ ١٣٧) والمعجم الكبير (٩ : ٥١ ـ ٥٢) والمستدرك (٤ : ٤٧٨ ـ ٤٧٩) وقال الذهبي : هو المحفوظ ، ومجمع الزوائد (٧ : ٣٤٢) والدر المنثور (٢ : ٧٣٨ ـ ٧٣٩) .

صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومطبِّقاً لشرع النبيِّ المصطفى المختار صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو الإسلام[1].

وقد جاء هذا واضحاً في نصوص كثيرة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « والذي نفسي بيده ، ليوشِكن أن ينزلَ فيكم ابنُ مريم صلى الله عليه وسلَّم ؛ حكماً مُقْسِطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، حتى لا يقبله أحد ». متفق عليه[2].

فوضع الجزية : لأنه لا يبقى غير الإسلام . وكسر الصليب : لأنه كذب ، ويتضح ذلك بنزوله عليه السلام ، ومثل ذلك قتل الخنزير ، وكل ذلك علامةُ تطبيقِه لشرعِ الإسلام .

ويوضح هذا المعنى الحديث التالي :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « الأنبياءُ أُخوةٌ لعَلّاتٍ : أمهاتُهم شتى ، ودينُهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ ، وإنه نازل ،... فيدقُّ الصليبَ ، ويقتلُ الخنزيرَ ، ويضعُ الجزيةَ ، ويدعو الناسَ إلى الإسلام ، فيهلك اللهُ في زمانه المللَ كلَّها إلا الإسلام... ». الحديث .

---

(١) انظر : أشراط الساعة ، ومختصره ، فقد ذكرت الحكمة من نزوله عليه السلام ، وأنه لا يأتي بشرع جديد ، إنما يطبق الإسلام ، ويحكم بالإسلام ، وأنه عليه السلام يكون بمثابة المجدِّد لهذا الدين ، وهو خاتمهم ، والله تعالى أعلم .

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب قتل الخنزير ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً ،... رقم (٢٤٢ ـ ٢٤٣).

وفي رواية : « فيقاتل الناس على الإسلام ». رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وإسحق وأبو داود ، وابن حبان والحاكم وصحّحاه وأقره الذهبي ، وصححه الحافظ[1]. وأوله متفق عليه .

ولهذا إذا نزل عليه السلام فإنه سيحج .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « والذي نفسي بيده ، ليهلن ابنُ مريم بفجِّ الروحاء ؛ حاجاً أو معتمراً ، أو ليُثَنِّيَنَّهما ». رواه مسلم[2].

٧٢ ـ جُعلت صفوفُ أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم كصفوف الملائكة :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمة ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ـ : أن جعل تعالى صفوفَها في الصلاة كصفوف الملائكة .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فُضِّلنا على الناس بثلاثٍ ؛ جُعلت صفوفُنا كصفوف الملائكة ، وجُعلت لنا الأرضُ كلُّها مسجداً ، وجُعلت تربتُها لنا طهوراً ، إذا لم نجد الماء » وذكر خصلة أخرى . رواه مسلم[3].

---

(١) مسند الطيالسي (٣٣٥ رقم ٢٥٧٥) ومصنف عبد الرزاق (١١ : ٤٠١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ١٥٨ ـ ١٥٩) ومسند أحمد (٢ : ٤٠٦ ، ٤٣٧) ومسند إسحق (١ : ١٢٤ رقم ٤٣ ـ ٤٤) وسنن أبي داود : كتاب الملاحم : باب خروج الدجال ، رقم (٤٣٢٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ٢٨٧ ، ٢٨٩ ـ ٢٩٠) والمستدرك (٢ : ٥٩٥) والشريعة (٣٨٠) وفتح الباري (٦ : ٤٩٣) وصحيح البخاري : كتاب الأنبياء . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل ، رقم (١٤٣ ـ ١٤٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب إهلال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٢١٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٤).

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : « ألا تُصَفّون كما تُصَفُّ الملائكةُ عند ربها ؟ » قلنا : يا رسول الله ؛ وكيف تُصَفُّ الملائكةُ عندَ ربِّها ؟ قال : « يُتِمُّون الصفوفَ الأُوَل ، ويتراصُّون في الصفوف ». رواه مسلم[1].

إلى غير ذلك من الأحاديث .

٧٣ ـ أُحلَّت لها الغنائم :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ المرحومة وأكرمها ، وفضَّلها على غيرها ـ تكريما لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ـ : أن أحلَّ لها أن تأكل الغنائمَ ، ولم تحلَّ لأحدٍ من قبل ، وذلك أن من كان قبلنا على قسمين :

الأول منهم : من لم يُؤمر بجهادٍ ، لذا فلا غنائم عنده .

والثاني : مَن أُمر بجهادٍ ، لكن كان إذا غنمَ يَجمع الغنائمَ في مكان ، فإن كانت مقبولةً عند الله عز وجل نزلت نارٌ فأحرقتها ، وإن كان فيها غُلولٌ لم تنزل نار ، ولن تُحرق .

أما نحن فقد خفَّفَ اللهُ عز وجل علينا ، وعلِمَ ضعفَنا ، فأباحها لنا ، والحمد لله تعالى على فضله وإنعامه ، والله تعالى أعلم .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾[2].

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحدٌ قبلي ،... وأُحلت لي الغنائمُ ، ولم

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب الأمر بالسكون ،... رقم (١١٩).

(٢) سورة الأنفال (٦٩).

تحل لأحدٍ من قبلي ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : طلبت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ليلةً ، فوجدته قائماً يصلي ، فأطال الصلاةَ ، ثم قال : « أوتيتُ الليلة خمساً لم يُؤْتهن نبيٌّ قبلي ؛ أُرسلت إلى الأحمر والأسود ، ونُصرتُ بالرعب ، فيرعب العدو مني وهو على مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً ، وأُحلت ليَ الغنائمُ ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وابن المبارك والبزار في آخرين ، وصحَّحه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[2].

ورواه أحمد وابن أبي شيبة والبزار والطبراني بإسناد حسن[3] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، والله تعالى أعلم .

وقد جاء هذا الحديثُ عن عدد من الصحابة منهم : ابن مسعود وعلي

---

(١) سبق تخريجه عند بحث « نصر بالرعب مسيرة شهر » وَ « عموم رسالته » عند رقمي (١٥ وَ ٣٧).

(٢) مسند الطيالسي (٦٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦) ومسند أحمد (٥ : ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٦١ ـ ١٦٢) والزهد والرقائق (٣٧٧ ، ٥٦٣) وسنن الدارمي (٢ : ١٤٢ ـ ١٤٣) والمستدرك (٢ : ٤٢٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٢٧) والبحر الزخار (٩ : ٤٦١) وكشف الأستار (٤ : ١٦٦ ـ ١٦٧) وحلية الأولياء (٣ : ٢٧٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٤٧٣) وروى أبو داود في سننه قطعة منه ، برقم (٤٨٩) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٩) وعزاه لأحمد برجال الصحيح (١٠ : ٣٧١) وعزاه للبزار بإسنادين حسنين ، وكنز العمال (١١ : ٤٣٨) ونسبه للدارمي وسعيد بن منصور أيضاً .

(٣) مسند أحمد (١ : ٢٥٠ ، ٣٠١) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣) والمعجم الكبير (١١ : ٦١ ، ٧٣) وكشف الأستار (٤ : ١٦٦) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٨ ـ ٢٥٩) وعزاه لأحمد برجال الصحيح .

وابن عُمر وأبو موسى ، في آخرين ، رضي الله تعالى عنهم .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ ،... وأُحلت ليَ الغنائمُ ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لم تحلَّ الغنائمُ لأحدٍ سُودِ الرؤوس من قبلكم ، كانت تنزل نارٌ من السماء فتأكلها ،... ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والطيالسي وسعيد بن منصور وابن الجارود والنسائي والطحاوي والبيهقي وابن عبد البر برجال الصحيح ، وصحّحه الترمذي وابن حبان[2].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...فلم تحلَّ الغنائمُ لأحد من قبلنا ، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفَنا وعجزَنا فطَيَّبها لنا ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

وفي رواية البخاري « فأحلها لنا ».

---

(١) سبق تخريجه في « نصر بالرعب مسيرة شهر » وَ « عموم رسالته » عند رقمي (١٥ ، ٣٧).

(٢) مسند الطيالسي (٣١٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٣٨٧ ـ ٣٨٨) ومسند أحمد (٢ : ٢٥٢) وسنن سعيد بن منصور (٢ : ٣ : ٣٥٢ رقم ٢٩٠٦) والمنتقى لابن الجارود (٣٥٨) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : تفسير سورة الأنفال ، رقم (٣٠٨٥) وتفسير النسائي (١ : ٥٢٩) وشرح مشكل الآثار (٤ : ٢٩٢) وصحيح ابن حبان (٧ : ١٤٨) وموارد الظمآن ، رقم (١٦٦٨) والسنن الكبرى (٦ : ٢٩٠ ـ ٢٩١) والتمهيد (٦ : ٤٥٧) وتفسير الطبري (١٠ : ٣٢) وانظر الدر المنثور (٤ : ١٠٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وأحلت لي الغنائم ». وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب تحليل الغنائم ،... رقم (٣٢).

وعن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله تعالى عنهما ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجالٌ من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلّى وانصرف إليهم ، فقال لهم : « لقد أُعطيتُ الليلةَ خمساً ما أُعطيهن أحدٌ قبلي ،... وأُحلت لي الغنائمُ آكلها ، وكان من قبلي يُعظِّمون أكلَها ، وكانوا يحرقونها ،... ». الحديث ، وذكر مثلَ حديث جابر وأبي ذر وغيرهما ، رواه أحمد برجال ثقات ، وصححه الحافظ المنذري ، وقوّاه وجوَّده ابنُ كثير[1].

٧٤ ـ التيمم والصلاة على الأرض :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ ، وأفردها عن غيرها من الأمم ، وكرَّمها ـ تكريما لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ـ: أن جعل لها الأرضَ مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من المسلمين أدركته الصلاةُ ، ولم يجد الماءَ ، تَيَمَّمَ وصلَّى ، وصحتْ صلاته ولا إعادة عليه .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أُعطيت خمساً لم يُعطهُن أحدٌ قبلي ،... وجُعلتْ ليَ الأرضُ طَيِّبةً : طهوراً ومسجداً ، فأيُّما رجل أدركته الصلاةُ ، صلَّى حيث كان ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٢٢) ونسخة الشيخ أحمد شاكر ، رقم (٧٠٦٨) وتفسير ابن كثير (٢ : ٢٥٥) والترغيب والترهيب (٦ : ٢١٥ ـ ٢١٦) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٦٧).

(٢) سبق تخريجه عند رقم (١٥).

الله عليه وآله وسلَّم : « فُضِّلنا على الناس بثلاثٍ ؛ جُعلت صفوفُنا كصفوف الملائكة ، وجُعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجُعلت تربتُها لنا طهوراً ، إذا لم نجد الماء ». الحديث ، رواه مسلم[1].

وعن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله تعالى عنهما ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجالٌ من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلّى وانصرف إليهم ، فقال لهم : « لقد أُعطيتُ الليلةَ خمساً ما أُعطيهن أحدٌ قبلي ،... الحديث ، وفيه : وجُعلت لي الأرضُ مساجدَ وطهوراً ؛ أينما أدركتني الصلاةُ ، تمسَّحتُ وصلَّيتُ ، وكان مَن قبلي يعظِّمون ذلك ، إنما كانوا يصلُّون في كنائسهم وبيعهم ،... ». الحديث ، رواه أحمد بإسناد صحيح ، رجاله ثقات ، وصححه الحافظ المنذري[2].

ونحوُه حديثُ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وفيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن نبيٌّ قبلي ، ولا أقولهن فخراً ،... وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن أبي شيبة والطبراني والبزار ـ وزاد في روايته : « لم يكن من الأنبياء أحدٌ يصلي حتى يبلغَ محرابَه ». وإسناد أحمد وابن أبي شيبة حسن[3].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله

---

(١) سبق تخريجه عند رقم (٧٢).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٢٢) ورقم (٧٠٦٨) من نسخة أحمد شاكر ، وتفسير ابن كثير (٢ : ٢٥٥) والترغيب والترهيب (٦ : ٢١٥ ـ ٢١٦) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٦٧).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣) وَ (٢ : ٤٠٢ مختصراً) ومسند أحمد (١ : ٣٠١ ، وَ ٢٥٠ مختصراً) والمعجم الكبير (١١ : ٦١ ، ٧٣) بأسانيد أخرى ، وكشف الأستار (٤ : ١٦٦) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٨ ـ ٢٥٩) وعزاه لأحمد برجال الصحيح .

وسلَّم قال : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ : أُعطيتُ جوامعَ الكلِم ، ونُصرتُ بالرعب ، وأُحلتْ ليَ الغنائمُ ، وجُعلتْ ليَ الأرضُ طهوراً ومسجداً ، وأُرسلتُ إلى الخلق كافةً ، وخُتم بيَ النَّبيّون ». رواه مسلم[1].

وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أُعطيتُ ما لم يُعط أحدٌ من الأنبياء » فقلنا : يا رسول الله ؛ ما هو ؟ قال : « نُصرتُ بالرعب ،... وجُعلَ لي الترابُ طهوراً ، وجُعلت أُمتي خيرَ الأمم ». الحديث ، رواه أحمد وابن أبي شيبة والبزار ، وهو حديث حسن[2].

ونحوه حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه ؛ عند أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وابن المبارك ، وابن حبان والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، والبزار في آخرين ، وقد مر ذكره قبل قليل ، عند رقم (٧٣) وهو حديث صحيح .

وبدءُ التيمم الذي خص اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ ، وخفَّفَ عنها : إنما هو قصة العِقد الذي فقدته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها .

فعنها رضي الله تعالى عنها ، أنها استعارت من أسماءَ قِلادةً فهلكت ، فأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ناساً من أصحابه في طلبها ، فأدركتْهم الصلاةُ ، فصلُّوا بغير وُضوء ، فلما أتوا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم شَكَوْا ذلك إليه ، فنزلت آيةُ التيمم ، فقال أُسيْدُ بنُ حُضير ـ رضي الله تعالى عنه ـ : جزاكِ الله خيراً ، فوالله ما نزل بكِ أمرٌ قط إلا جعل اللهُ لكِ منه مخرجاً ، وجعل للمسلمين فيه بركة . متفق عليه .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٥).

(٢) انظر مسند أحمد (١ : ٩٨، ١٥٨) ونسخة الشيخ أحمد شاكر (٢ : ١١٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٤) والبحر الزخار (٢ : ٢٥١) وكشف الأستار (٣ : ١٤٧ ـ ١٤٨) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٢١٣ ـ ٢١٤) ومجمع الزوائد (١ : ٢٦٠ ـ ٢٦١) وَ (٨ : ٢٥٨).

وفي رواية لهما : فقال أُسيد بن الحُضير رضي الله تعالى عنه [وهو أحد النقباء] : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . فقالت عائشة : فبعثنا البعيرَ الذي كنتُ عليه ، فوجدنا العقد تحته[1]. وكان ذلك في سفر .

والآية التي نزلت هي قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[2].

٧٥ ـ خصَّهم الله تعالى بيوم الجمعة :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمة ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ـ : أن هداها ليوم الجمعةِ ، الذي هو خيرُ أيام السنةِ ، وأضلَّ اللهُ عز وجل عنه مَنْ كان قبلنا .

فعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أضل اللهُ عن الجمعة مَنْ كان قبلنا ، فكان لليهود يومُ السبت ، وكان للنصارى يومُ الأحد ، فجاء الله بنا ، فهدانا اللهُ ليوم الجمعة . فجعل الجمعةَ والسبتَ والأحدَ ، وكذلك هم تبعٌ لنا يومَ القيامة ، نحن الآخِرون من أهل الدنيا ، والأوَّلون يوم القيامة ، المقضيُّ لهم ـ وفي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التيمم : باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً ، والباب الأول أيضاً ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب التيمم ، رقم (١٠٨ ـ ١٠٩).

(٢) سورة المائدة (٦).

رواية : بينهم ـ قبل الخلائق ». رواه مسلم[1].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هُدينا إلى الجمعة ، وأضلَّ اللهُ عنها من كان قبلنا ». رواه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « نحن الآخِرون ، السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أُوتوا الكتابَ مِن قبلنا ، وأُوتيناه من بعدهم ، وهذا يومهم الذي فُرض عليهم ، فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فهم لنا فيه تبع ، اليهودُ غداً ، والنصارى بعد غدٍ ». متفق عليه[3].

فنحن آخر الأمم في الدنيا ، وأول الأمم يُقضى لهم يوم القيامة ، ولا تنتظر كما تنتظر الأمم الأخرى .

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إذ استأذن رجلٌ من اليهود ، فأذن له ، فقال : السَّامُ عليكم ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وعليك »... الحديث ، وفيه رد السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها على اليهودي ... وفي آخره : قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها ، وضلُّوا عنها ، وعلى القِبْلَة التي هدانا الله لها وضلُّوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين ». رواه أحمد برجال ثقات سوى

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، رقم (٢٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، رقم (٢٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجمعة : باب فرض الجمعة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابق ، رقم (١٩ ـ ٢١).

شيخه علي بن عاصم ، قال عنه : أُحدِّث عنه ، وحُدِّثنا عنه . ورواه البيهقي ـ مختصراً ـ من طريق آخر رجاله رجال الصحيح سوى محمد بن الأشعث ، فمن رجال أبي داود والنسائي ، وهو مقبول ، وثَّقه بعضُهم . لكن رواه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه وابن خزيمة برجال ثقات رجال الصحيح ، لكن ليس فيه ـ ذكر الجمعة ـ وله شاهد من حديث معاذ رضي الله تعالى عنه بسند حسن ، وآخر من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند ضعيف ، فالحديث صحيح[1]، والله تعالى أعلم .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أتاني جبريل وفي يده كالمرآة البيضاء ، فيها كالنُّكتة السوداء ، فقلت : يا جبريل ؛ ما هذه ؟ قال : الجمعة . قلت : وما الجمعة ؟ قال : لكم فيها خير ، قال : قلت : وما لنا فيها ؟ قال : يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ، ويكون اليهودُ والنصارى تبعاً لك ، قال : قلت : وما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل اللهَ فيها شيئاً من الدنيا والآخرة هو له قَسْمٌ إلا أعطاه إياه ، أو ليس بقَسْمٍ إلا ادَّخرَ له عنده ما هو أفضل منه... ». الحديث ، رواه ابن أبي شيبة والبزار والطبراني في الأوسط وأبو يعلى ، ورجال أبي يعلى رجالُ الصحيح ، وكذا رجال الطبراني ، غير عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان ـ وهو صدوق يخطئ ـ وصحح البوصيري سند أبي يعلى ، وجوَّد إسناده وإسناد الحارث والطبراني المختصرة ، وجوَّده المنذري[2].

---

(١) مسند أحمد (٦ : ١٣٤ ـ ١٣٥) والأدب المفرد (٣٣٢) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب الجهر بآمين ، رقم (٨٥٦) وصحيح ابن خزيمة (١ : ٢٨٨) (٣ : ٣٨ ـ ٣٩) والسنن الكبرى (٢ : ٥٦) ومجمع الزوائد (٢ : ١٥ ، ١١٢ ، ١١٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢ : ١٥٠ ـ ١٥١) ورواه بسند آخر ضعيف ، وكشف الأستار =

وسيأتي الحديث عن ساعة الجمعة في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

٧٦ ـ خصهم الله تعالى بساعة الإجابة يوم الجمعة :

ومما خصَّ الله تعالى به نبيَّه وصفيَّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ تكريماً له صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لأمته على غيرها ، ورحمةً بها ـ : أن أعطاه يوم الجمعة الساعةَ التي لا يوافقها عبدٌ مسلم مؤمنٌ يدعو اللهَ تعالى ، ويسأله خيراً ، إلا أعطاه الله عز وجل ما سأل ، واستجاب له دعوتَه ، وقد بلغت أحاديثُها مبلغَ التواتر[1] . والحمد لله تعالى على فضله ونعمائه .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذكر يومَ الجمعة فقال : « فيه ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ ، وهو قائمٌ يصلي ، يسأل اللهَ تعالى شيئاً ، إلا أعطاه إياه » وأشار بيده يُقَلِّلُها . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2] .

= (رقم٣٥١٩) ومختصر زوائد البزار (٢ : ٤٨٩ ـ ٤٩٠) ومسند أبي يعلى (٧ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩) والمعجم الأوسط (٢ : ٣١٤ ـ ٣١٥) (٧ : ١٥) والمطالب العالية (١ : ١٥٧ـ ١٥٩) ومجمع الزوائد (١٠ : ٤٢١ ـ ٤٢٢) وَ (٢ : ١٦٣ ـ ١٦٤) مختصراً ، وعزاه للطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ، ومجمع البحرين (٢ : ١٩٧ ـ ١٩٩) من طرق ، والترغيب والترهيب (٢ : ٧٥) وإتحاف الخيرة المهرة (٣ : ٦ ـ ٨) وانظر : الأم (١ : ١٨٥) وثلاثيات الإمام الشافعي (١٥٦ رقم ٦٩)، والله تعالى أعلم .

(١) فقد جاءت من أحاديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي لبابة ، وأبي موسى ، وعبد الله بن سلام ، وجابر ـ وقد ذكرتُ رواياتهم هنا ـ ومن حديث ابن عمر ، وسعد بن عبادة ، وعلي ، وأنس ، وفاطمة ، وميمونة بنت سعد ، وعوف بن مالك ، وعمرو بن عوف ، في آخرين رضي الله تعالى عنهم .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجمعة : باب الساعة التي في الجمعة . وصحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب في الساعة التي في يوم الجمعة ، رقم (١٣ ـ ١٥).

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ يومُ الجمعة : فيه خُلق آدمُ ، وفيه أُهبط من الجنة ، وفيه تِيب عليه ، وفيه تقوم الساعة... ». الحديث ، وفيه : « وفيه ساعة ، لا يصادفها عبدٌ مسلم ، وهو يصلي ، يسأل اللهَ شيئاً ، إلا أعطاه إياه ،... ». رواه مالك ـ واللفظ له ـ وأحمد والثلاثة والدارمي ، وصححه الترمذي والبغوي وابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[1].

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن يوم الجمعة سيدُ الأيام وأعظمُها ،... ». الحديث ، وفيه : « وفيه ساعةٌ لا يسألُ اللهَ العبدُ فيها شيئاً إلى أعطاه إياه ، ما لم يسأل حراماً ،... ». الحديث ، رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجه والطبراني بإسناد حسن[2] إن شاء الله تعالى .

وقد اختُلِف في تعيين هذه الساعة على ثلاثة وأربعين (٤٣) قولاً ،

---

(١) الموطأ : كتاب الجمعة : باب في الساعة التي في يوم الجمعة ، رقم (١٦) ومسند أحمد (٢ : ٤٨٦ ، ٥٠٤ ، ٥١٨ ـ ٥١٩) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، رقم (١٠٤٦) وسنن الترمذي : كتاب الجمعة : باب الساعة التي ترجى يوم الجمعة ، رقم (٤٩١) وسنن النسائي : كتاب الجمعة : باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة (٣ : ١١٣ ـ ١١٤) وسنن الدارمي (١ : ٣٠٦) وصحيح ابن حبان (٤ : ١٩١ ـ ١٩٣) والمستدرك (١ : ٢٧٨ ـ ٢٧٩) وشرح السنة (٤ : ٢٠٦ ـ ٢٠٨). والتمهيد (٢٣ : ٤٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢ : ١٥٠) ومسند ابن أبي شيبة (٢ : ٣١٣ ـ ٣١٤) ومسند أحمد (٣ : ٤٣٠) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب فضل الجمعة ، رقم (١٠٨٤) والمعجم الكبير (٥ : ٢٣ ، ٢٤) وحلية الأولياء (١ : ٣٦٦) وشعب الإيمان (٣ : ٩٠ ـ ٩١) ومصباح الزجاجة (١ : ١٢٩).

ذكرها الحافظُ ابنُ حجر رحمه الله تعالى في الفتح[1] أقتصر على ذكر أربع من تلك الروايات، إن شاء الله تعالى.

فعن أبي بردة بن أبي موسى رحمه الله تعالى قال: قال لي عبدُ الله بنُ عُمر: أسمعتَ أباك يُحدث عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلت: نعم، سمعته يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول: « هي ما بين أن يجلس الإمامُ إلى أن تُقضى الصلاة ». رواه مسلم[2].

وهذا ما رجحه الإمامُ مسلمٌ والبيهقيُّ وجماعةٌ رحمهم الله تعالى. وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: هو الصحيح، بل الصواب، والله تعالى أعلم.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لقيتُ عبدَ الله بن سلام، فذكرت له هذا الحديث، فقال: أنا أعلم بتلك الساعة، فقلت: أخبرني بها، ولا تَضْنُنَّ بها عليَّ. قال: هي بعد العصر إلى أن تغرب الشمس - وفي رواية: هي آخر ساعة في يوم الجمعة.

فقلت: كيف تكون بعد العصر؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: « لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو يصلي،... » وتلك الساعةُ لا يُصلَّى فيها؟ فقال عبد الله بن سلام: أليس قد قال رسول الله: « من جلس مجلساً ينتظر الصلاةَ فهو في صلاة »؟ قلت: بلى. قال: فهو ذاك. رواه مالك والثلاثة والبيهقي والبغوي، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[3]

---

(١) انظر: فتح الباري (٢: ٤١٦ - ٤٢١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجمعة: باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم (١٦).

(٣) الموطأ: كتاب الجمعة: باب في الساعة التي في الجمعة، رقم (١٦) ومسند أحمد (٥: =

وذكر ابنُ خزيمة أوله .

وقد رواه ابن ماجه عنه رضي الله تعالى عنه مرفوعاً بسند صحيح أيضاً .

وهذا القول رجحه الإمام أحمد وإسحاق وابن عبد البر ... وحكي عن نص الإمام الشافعي رحمهم الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يوم الجمعة ثنتا عشرةَ ساعةً ، ولا يوجد عبدٌ مسلمٌ يسأل اللهَ تعالى شيئاً إلا آتاه ، فالتمسوها آخرَ ساعةٍ بعد العصر ». رواه أبو داود والنسائي ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي[1].

وعن أبي سلمة رحمه الله تعالى قال : كان أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ يحدِّثُنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إن في الجمعة ساعةً لا يُوافقُها مسلمٌ وهو في صلاةٍ ؛ يسأل الله خيراً إلّا آتاه إياه » قال : وقلَّلها أبو هريرة بيده . قال : فلما تُوفِّي أبو هريرة ، قلت : والله لو جئتُ أبا سعيد ، فسألتُه عن هذه الساعة أن يكون عنده منها علم ، فأتيتُه ،...

قال : قلت : يا أبا سعيد ؛ إن أبا هريرة حدثنا عن الساعة التي في يوم

= ٤٥٠ ـ ٤٥٣) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، رقم (١٠٤٦) وسنن الترمذي : كتاب الجمعة : باب الساعة التي في يوم الجمعة ، رقم (٤٩١) وسنن النسائي : كتاب الجمعة : باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة (٣ : ١١٣ ـ ١١٥) والمستدرك (١ : ٢٧٨ ـ ٢٨٠) وصحيح ابن حبان (٤ : ١٩١ ـ ١٩٣) وشرح السنة (٤ : ٢٠٦ ـ ٢٠٨) والتمهيد (٢٣ : ٤٣ ـ ٤٤).

(١) سنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب الإجابة أية ساعة هي يوم الجمعة ، رقم (١٠٤٨) وسنن النسائي : كتاب الجمعة : باب وقت الجمعة (٣ : ٩٩ ـ ١٠٠) والمستدرك (١ : ٢٧٩) والتمهيد (١٩ : ٢٠) (٢٣ : ٤٤ ـ ٤٥).

الجمعة ، فهل عندك منها علمٌ ؟ فقال : سألنا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم عنها ، فقال : « إني كنتُ أُعْلِمتُها ، ثم أُنسِيتُها كما أُنسيتُ ليلةَ القدر » ثم خرجت من عنده فدخلت على عبد الله بن سلام ،... فذكر الحديث . رواه أحمد والبزار ـ برجال الصحيح ، وابن خزيمة والحاكم وصححاه وأقره الذهبي[1] .

فيكون صلى الله عليه وآله وسلَّم قد أُعلمها ، فأَعلَم بعضَ الأصحاب رضي الله تعالى عنهم بها ، ثم أخذ الله تعالى علمَها ، كما حصل بليلة القدر ، وقد بينتُه في فضائل المدينة المنورة ، والله تعالى أعلم .

٧٧ ـ خصَّهم الله تعالى بليلة القدر :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به نبيَّه وصفيَّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ تكريماً له صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لأمته على غيرها من الأمم ـ : أن منحها وأكرمها : فأعطاها ليلةَ القدر ؛ وهي تعدل ألف شهر ، ليس فيها ليلةُ القدر ، فمن قامها إيماناً واحتساباً ، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[2] .

ففي هذه السورة الكريمة قضايا مهمة ، يهمني منها : نزول القرآن الكريم في هذه الليلة المباركة ، وتعظيم هذه الليلة الشريفة ، وهي خيرٌ من ألف

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٦٥) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ١٢٢) والمستدرك (١ : ٢٧٩ـ ٢٨٠) وكشف الأستار (١ : ٢٩٦ ـ ٢٩٨) ومجمع الزوائد (٢ : ١٦٧) وفتح الباري (٢ : ٤١٧) وعزاه لابن خزيمة والحاكم .

(٢) سورة القدر (١ ـ ٥).

شهر لا يوجد فيها ليلة القدر ، ونزول الملائكة والروح بإذن الله تعالى فيها ، ثم السلام فيها طيلة هذه الليلة حتى الصباح .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في جوف الليل يصلي في المسجد ، فصلى بالناس ،... الحديث ،... وفيه : وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من قام ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ». رواه النسائي وابن حبان واللفظ لهما ورواه البخاري ومسلم مختصراً ولم يذكرا آخره[1]. لكنهما أخرجاه عن غيرها .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من قام ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً ، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه ». متفق عليه[2].

وفي رواية لمسلم : « من يقم ليلةَ القدر فيوافقُها إيماناً واحتساباً غُفر له ».

بل يُغفر للقائم ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر أيضاً .

فقد زاد أحمد والنسائي وقاسم بنُ أصبغ والحسينُ المروزي وهشام بن عمار ويوسف النجاحي وأبو عبد الله الجرجاني رحمهم الله تعالى بأسانيدهم في الحديث السابق : « غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر »[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب صلاة التروايح : باب فضل من قام رمضان ، وكتاب الجمعة : باب من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الترغيب في قيام رمضان ، رقم (١٧٨) وسنن النسائي : كتاب القيام : باب ثواب من قام رمضان (٤ : ١٥٥) والسنن الكبرى له (٢ : ٨٦) وصحيح ابن حبان (٤ : ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الترغيب في قيام رمضان ، رقم (١٧٥ ـ ١٧٦).

(٣) انظر : فتح الباري (٤ : ٢٥١ ـ ٢٥٢) والخصال المكفرة للذنوب له (٢٦ ـ ٢٧) وانظر =

وعن عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ليلةُ القدر في العشر البواقي ، من قامهن ابتغاءَ حسبتهن ، فإن الله يغفرُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ». الحديث .

وفي رواية : « هي في رمضان ، فالتمسوها في العشر الأواخر ،... فمن قامها إيماناً واحتساباً ـ ثم وقعت له ـ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ». رواه أحمد والطبراني في معجمه، وحسنه الحافظان، وقال الحافظ في الخصال المكفِّرة : هذا حديث رجاله ثقات . وكذا قال الحافظ الهيثمي عن الرواية الأولى ، وعزاه في الكنز للضياء أيضاً[1].

وقد اختُلِفَ في تحديد وقتها على (٤٧) سبعة وأربعين قولاً بل أكثر ، ذكرها الحافظُ رحمه الله تعالى في الفتح ، وذكر أصحابها وأدلتهم[2].

وأصح ما ورد في سبب رفع معرفة وقتها ـ مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أُعلمَ بها ، كما أُعلم بساعة الجمعة ـ تلاحي الصحابيين رضي الله تعالى عنهما . لكنها في الأوتار من العشر الأواخر من رمضان آكد .

فعن عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : خرج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ليخبرَنا بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجتُ لأخبركم بليلة القدر ؛ فتلاحى فلانٌ وفلانٌ فرُفِعتْ ، وعسى أن

= تعليق السيد عبد الله بن الصديق رحمه الله تعالى على التمهيد (٧ : ١٠٥) حيث لخّص ما ذكره الحافظ ، وذكر من أفرد ذلك في رسالة مستقلة .

(١) مسند أحمد (٥ : ٣١٨ ، ٣٢١) ومسند الشاميين (٢ : ١٦٦) ومسند الشاشي (٣ : ٢٠١ رقم ١٢٨٩) ومجمع الزوائد (٣ : ١٧٥) وفتح الباري (٤ : ١١٦) والخصال المكفِّرة (٢٧) وكنز العمال (٨ : ٥٤٤).

(٢) فتح الباري (٤ : ٢٦٢ ـ ٢٦٦).

يكون خيراً لكم ،... ». الحديث بطوله ، رواه البخاري[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : اعتكف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم العشرَ الأوسطَ من رمضان ، يلتمس ليلةَ القدر ، قبل أن تُبان له ، فلما انقضين ، أَمر بالبناء فقُوِّض ، ثم أُبينت له أنها في العشر الأواخر ، فأَمر بالبناء فأُعيد ، ثم خرج على الناس ، فقال : « يا أيها الناس ؛ إنها كانت أُبينت لي ليلةُ القدر ، وإني خرجتُ لأخبركم بها ، فجاء رجلان يَحْتَقَّان ، معهما الشيطان ، فَنُسِّيتُها ، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان ،... ». الحديث .

زاد في رواية أخرى : فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وإني أُريت أني أسجد في ماءٍ وطين ، فمن كان اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فليرجع » قال : فرجعنا ، وما نرى في السماء قَزَعَةً . قال : وجاءت سحابةٌ ، فمُطرنا ، حتى سال سقفُ المسجد ، وكان من جريد النخل ، وأُقيمت الصلاةُ ، فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يسجد في الماء والطين . قال : حتى رأيت أثر الطين في جبهته .

زاد في رواية : قال أبو سعيد الخدري : مُطرنا ليلةَ إحدى وعشرين ، فوكف المسجد في مصلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فنظرتُ إليه وقد انصرف من صلاة الصبح ، ووجهُه مبتلٌّ طيناً وماءاً .

وفي رواية أخرى : وإذا هي ليلةُ إحدى وعشرين من العشر الأواخر . رواها مسلم[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب خوف المؤمن أن يُحبط عمُله وهو لا يشعر ، وكتاب فضل ليلة القدر : باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصيام : باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها ، =

٧٨ ـ هذه الأمة شهداء الله تعالى في الأرض :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمة ـ إكراماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ـ : أن أضافها إليه ، إضافةَ تشريفٍ وتكريم ، وجعلها بمنزلةٍ عالية ، بحيث يقبل منها قولَها وشهادتها ، وإن لم تطابق الواقع .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : مرُّوا بجنازة ، فأثْنَوْا عليها خيراً ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وجَبت » ثم مرُّوا بأخرى ، فأَثْنَوْا عليها شرّاً . فقال : « وجَبت ».

فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ما وجَبتْ ؟ قال : « هذا أثنيتُم عليه خيراً ، فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتُم عليه شرّاً ، فوجبت له النارُ . أنتم شهداء الله في الأرض ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي لفظ للبخاري[2]: « المؤمنون شهداءُ الله في الأرض ».

وعند مسلم : « من أثنيتُم عليه خيراً ، وجبت له الجنةُ ، ومن أثنيتُم عليه شرّاً ، وجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض . أنتم شهداء الله في الأرض . أنتم شهداء الله في الأرض ».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : مرُّوا بجنازة على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأَثْنَوْا عليها خيراً ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم :

= رقم (٢١٣ ـ ٢١٧).

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ثناء الناس على الميت . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب فيمن يُثنى عليه خير أو شر من الموتى ، رقم (٦٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب تعديل كم يجوز .

« وجبت » ثم مرُّوا بجنازة أخرى ، فأَثْنَوْا عليها شرّاً ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وجبت » قالوا : يا رسول الله ؛ قولك الأولى والأخرى : وجبت ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « الملائكةُ شهداءُ الله في السماء ، وأنتم شهداءُ الله في الأرض ». رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود ـ بنحوه ـ والنسائي ـ واللفظ له ـ وابن ماجه وابن حبان برجال الصحيح ، وصححه البوصيري والهيثمي أيضاً[1].

وعن أبي الأسود رحمه الله تعالى قال : قدمتُ المدينةَ ـ وقد وقع بها مرض ـ فجلستُ إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فمرَّت جنازةٌ ، فأُثنيَ على صاحبها خيراً ، فقال عمر رضي الله تعالى عنه : وجبت ، ثم مُرَّ بأخرى ، فأُثني على صاحبها خيراً ، فقال عمر رضي الله تعالى عنه : وجبت ، ثم مُرَّ بالثالثة ، فأُثنيَ على صاحبها شرّاً ، فقال : وجبت .

فقال أبو الأسود : فقلت : ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت : كما قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أيُّما مسلم شهد له أربعةٌ بخير أدخله الله الجنةَ » فقلنا : وثلاثة ؟ قال : « وثلاثةٌ » فقلنا : واثنان ؟ قال : « واثنان » ،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٣٦٨ ـ ٣٦٩) ومسند أحمد (٢ : ٢٦١ ، ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ، ٥٢٨) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب في الثناء على الميت ، رقم (٣٢٣٣) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب الثناء (٤ : ٥٠) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب الثناء على الميت ، رقم (١٤٩٢) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٣٨٢) (١١ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣) والمعجم الأوسط (٣ : ٧١) وصحيح ابن حبان (٥ : ١٢) ومجمع البحرين (٢ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦) ومجمع الزوائد (٣ : ٤) وعزاه للطبراني في الأوسط مطولاً ، وللبزار مختصراً برجال الصحيح ، ومصباح الزجاجة (٢ : ٣٠) وكشف الأستار (١ : ٤١٠) وعند الطيالسي وأحمد ... بلفظ : « أنتم شهداء بعضكم على بعض ».

ثم لم نسأله عن الواحد . رواه البخاري[1] .

وعن أبي زهير الثقفيِّ رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « يا أيها الناس ؛ إنكم توشكون أن تعرفوا أهلَ الجنة من أهل النار ـ أو قال : خيارَكم من شراركم » قال : فقال رجل من الناس : بمَ يا رسول الله ؟ قال : « بالثناء السيء ، والثناء الحسن ، وأنتم شهداء الله ، بعضكم على بعض ». رواه أحمد وابن ماجه وعبدُ بن حُميد والبيهقي ، وابن حبان والحاكم ، وصححاه ، وأقره الذهبي ، وصححه البوصيري ، وحسنه الحافظ في الإصابة[2] .

ورواه ابن أبي شيبة والطبراني بلفظ : « أنتم شهداء الله في الأرض » .

وفي رواية أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه ، بلفظ : مرُّوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بجنازة فأَثْنَوا عليها خيراً في مناقب الخير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وجبت » ثم مرّوا عليه بجنازة أخرى ، فأَثْنَوا عليها شرّاً في مناقب الشر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وجبت ، إنكم شهداء الله في الأرض » .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ثناء الناس على الميت . ورواه أيضاً في كتاب الشهادات .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٤: ٥١٠) ومسند أحمد (٣ : ٤١٦) (٦ : ٤٦٦) والآحاد والمثاني (٣ :٢٤٠ ، ٢٤١) ومسند عبد بن حميد (١٦٤ رقم ٤٤٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب الثناء الحسن ، رقم (٤٢٢١) ومشكل الآثار (٤ : ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، ٢٩٠) والمعجم الكبير (٢٠ : ١٧٨ ـ ١٧٩) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٣٩) والمستدرك (١ : ١٢٠) (٤ : ٤٣٦) وصححه في الموضعين ، والكنى للدولابي (١ : ٣٢) والسنن الكبرى (١٠ : ١٢٣) ومصباح الزجاجة (٤ : ٢٤١) والإصابة (٧ : ١٥٥) وانظر مختصر زوائد البزار (٢ : ٥٠٧).

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما من مسلم يموت فيشهد له أربعةٌ من أهل أبياتِ جيرانه الأَدْنَيْن أنهم لا يعلمون منه إلا خيراً ، إلا قال الله تعالى وتبارك : قد قبلتُ قولَكم ـ أو قال : شهادتَكم ـ وغفرتُ له ما لا تعلمون ». رواه أحمد ، وأبو يعلى[1] برجال الصحيح ، لكن فيه مؤمل بن إسماعيل ، وحديثه حسن ، لكن الحديث صحيح ، وشواهده ما سبق ، وصححه ابنُ حبان والحاكم وأقره الذهبي ، وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة ، والله تعالى أعلم .

٧٩ ـ مَثَلُها في الكتب السابقة :

ومما أكرم اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمة ، وخصَّها به ـ إكراماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ـ : أن ضَرب مثلَها ـ تِبعاً له صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الكتب السماوية السابقة ، وجعل عند أهل الكتاب عِلْماً تامّاً بها ، حتى إذا رأوها عرفوها .

قال عز وجل : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٤٢) ومسند أبي يعلى (٦ : ١٩٩) والمقصد العلي (٤٢٤ ـ ٤٢٥) وصحيح ابن حبان (٥ : ١٢) والمستدرك (١ : ٣٧٨) وتاريخ بغداد (٧ : ٤٥٥ ـ ٤٥٦) بنحوه ، وحلية الأولياء (٩ : ٢٥٢) وشعب الإيمان (٧ : ٨٦) والمختارة (٥ : ٤٦) وموارد الظمآن (١٩١) والمطالب العالية (١ : ٢١١) ومجمع الزوائد (٣ : ٤) وكنز العمال (١٥ : ٦٥٨) وانظر : الدر المنثور (١ : ٣٤٩ ـ ٣٥١) فقد ذكر عدة روايات .

ﭐلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن اللهَ عز وجل يقول : يا عيسى ؛ إني باعثٌ من بعدك أمةً ، إن أصابهم ما يُحبّون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، ولا حلم ولا علم . قال : يا رب ؛ كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي ». رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط برجال الصحيح ، وحسنه البزار ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[2].

وعن الفلتان بن عاصم رضي الله تعالى عنه قال : كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم في المجلس ، فشخص بصره إلى رجل في المسجد يمشي ، فقال : « أيا فلان » قال : لبيك يا رسول الله ـ ولا ينازعه الكلام إلا قال : يا رسول الله ـ قال له : « أتشهد أني رسولُ الله » قال : لا . قال : « أتقرأ التوراةَ ؟ » قال : نعم . قال : « والإنجيلَ ؟ » قال : نعم . قال : « والقرآن ؟ » قال : والذي نفسي بيده ، لو أشاء لقرأته . ثم ناشده : « هل تجدني في التوراة والإنجيل؟ » قال : نجد مثلَك ومثلَ مَخْرجِك ومثلَ هيئتك ، فكنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجتَ ، خفنا أن تكون أنتَ هوَ ، فنظرنا ، فإذا أنتَ لستَ هو ، قال : « ولم ذلك ؟ » قال : معه من أمته سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ولا عذاب ، وإنما

---

(١) سورة الفتح (٢٩).

(٢) مسند أحمد (٦ : ٤٥٠) والتاريخ الكبير (٨ : ٣٥٥ ـ ٣٥٦) والمعجم الأوسط (٣ : ٣١١) ومسند الشاميين (٣ : ١٨٧) وحلية الأولياء (١ : ٢٢٧) (٥ : ٢٤٣) والمستدرك (١ : ٣٤٨) وكشف الأستار (٣ : ٣٢٦) وشعب الإيمان (٤ : ١١٥) (٧ : ١٩٠) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ : ٦٧ ـ ٦٨) وقال : رجاله رجال الصحيح ، ومجمع البحرين (٧ : ٤٥).

معك نفرٌ يسيرٌ . فقال : « والذي نفسي بيده ، لأنا هو ، وإنهم لأُمتي ، وإنهم لأكثرُ من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً ». رواه الطبراني والبزار وابن حبان ورجالهم ثقات[1].

٨٠ ـ لن تهلك بجوع ولا يُسلَّط عليها عدوٌّ من غيرها :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ ـ إكراماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتمييزاً لها عن غيرها ـ : ألّا تهلك بالسِّنين ، والغَرَقِ ، وألّا يُسَلَّط عليها عدوٌ من غيرها ، فيستبيح بيضتَهم ، حتى لو اجتمع عليها مَنْ بأقطارها ، فلن يستطيعوا القضاءَ عليها .

فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن اللهَ زوى لي الأرضَ ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها ، وإن أُمتي سيبلغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي منها ، وأُعطيتُ الكنزين الأحمرَ والأبيضَ ، وإني سألتُ ربي لأُمتي أن لا يُهلكَها بسَنَةٍ عامَّة[2]، وأن لا يُسلِّطَ عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم[3]، وإن ربي قال : يا محمد ؛ إني إذا قضيتُ قضاءً لا يُرد ، وإني أَعطيتُك لأُمَّتك أن لا أهلكَهم بسَنةٍ عامَّة ، وأن لا أُسلِّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتَهم ، ولو اجتمع عليهم

---

(١) المعجم الكبير (١٨ : ٣٣٢ ـ ٣٣٤) من طريقين ، وصحيح ابن حبان (٨ : ١٩٢) وكشف الأستار (٤ : ٢٠٧ ـ ٢٠٨). ودلائل النبوة (٦ : ٥٧٣) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٤٢) (١٠ : ٤٠٧ ـ ٤٠٨) والمطالب العالية (٤ : ٣٠ ـ ٣١ رقم ٣٨٨١).

(٢) قوله : « سَنَة عامَّة » أي قحط يعمهم ، والمراد ـ والله تعالى أعلم ـ لا أهلكهم بقحط يعمهم ، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة لباقي البلاد الإسلامية .

(٣) قوله : « يستبيح بيضتَهم » البيضة : العز والملك ، والجماعة والأصل ، والمراد به ـ والله تعالى أعلم ـ فيستأصل شأفتَهم ، ويقضي على جميعهم ، فيزول أصلُهم وعزُّهم وملكُهم .

مَنْ بأقطارها ـ أو قال : مَنْ بين أقطارها ـ حتى يكونَ بعضُهم يُهلك بعضاً ، ويَسْبي بعضُهم بعضاً ». رواه مسلم[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أقبل ذات يوم من العالِيَةِ ، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاويةَ ؛ دخل فركع ركعتين ، وصلَّينا معه ، ودعا ربَّه طويلاً ، ثم انصرف إلينا ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «سألتُ ربي ثلاثاً ، فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدةً . سألتُ ربي : أن لا يُهلكَ أُمتي بالسَّنَةِ ، فأعطانيها ، وسألته : أن لا يُهلك أمتي بالغَرَق فأعطانيها ، وسألته : أن لا يجعل بأسَهم بينهم فمنعنيها ». رواه مسلم[2].

ومسجد بني معاوية : يعرف الآن بمسجد الإجابة .

وعن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك رحمه الله تعالى ، أنه قال : جاءنا عبدُ الله بنُ عُمَر رضي الله تعالى عنهما في بني معاوية ـ وهي قريةٌ من قرى الأنصار ـ فقال : هل تدرون أين صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من مسجدكم هذا ؟ فقلتُ له : نعم ، وأشرت له إلى ناحيةٍ منه ، فقال : هل تدري ما الثلاثُ التي دعا بهن فيه؟ فقلت : نعم . قال : فأخبِرني بهن ، فقلت : دعا بأن لا يُظهرَ عليهم عدوّاً من غيرهم ، ولا يُهلكَهم بالسِّنين ، فأُعطيها ، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمُنعها ، قال : صدقت . رواه مالك وابن شبة . قال ابن عبد البر: كذا هو الصحيح في إسناد هذا الحديث .

ورواه أحمد في مسند جابر بن عتيك رضي الله تعالى عنه ، ورجاله ثقات أيضاً .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، رقم (١٩).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٠).

ورواه البغوي من طريق آخر، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما[1]، والله تعالى أعلم.

فالحديث من طريق عبد الله بن عبد الله ... مرسل، لأنه تابعي، ولكن تصديقَ ابنِ عُمَر رضي الله تعالى عنهما له دلالة على رفع الحديث ووصله، والله تعالى أعلم.

وعن خبّاب بن الأَرَت رضي الله تعالى عنه، أنه راقب رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الليلةَ كلَّها، حتى كان مع الفجر، فلما سلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من صلاته، جاءه خبّاب، فقال: يا رسول الله؛ بأبي أنت وأمي، لقد صليتَ الليلةَ صلاةً ما رأيتك صليتَ نحوها، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «أجل، إنها صلاةُ رَغبٍ ورَهَب، سألتُ ربي عز وجل أن لا يُهلكَنا بما أهلك به الأممَ قبلنا - وعند الترمذي: أن لا يُهلكَ أُمتي بسَنَةٍ - فأعطانيها، وسألتُ ربي عز وجل أن لا يُظهرَ علينا عدوّاً من غيرنا، فأعطانيها، وسألتُ ربي أن لا يُلْبسَنا شِيَعاً فمنعنيها». رواه أحمد والنسائي واللفظ له، وصححه الترمذي وابن حبان والطبراني[2].

---

(١) الموطأ: كتاب القرآن: باب ما جاء في الدعاء (١ : ٢١٦ رقم ٣٥) ورواية أبي مصعب الزهري (١ : ٢٤٦ - ٢٤٧ رقم ٦٢٤) ورواية ابن القاسم (٣٢٦ رقم ٣٠٠) والآحاد والمثاني (٤ : ١٥٦) وتاريخ المدينة (١ : ٦٧) ومسند أحمد (٥ : ٤٤٥) وشرح السنة (١٤ : ٢١٣ - ٢١٥) والمستدرك (٤ : ٥١٧) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٢١) وتجريد التمهيد (٩١) وتنوير الحوالك (٢ : ٢١٨) وانظر التمهيد (١٩ : ١٩٥-١٩٦).

(٢) مسند أحمد (٥ : ١٠٨ - ١٠٩) وسنن الترمذي: كتاب الفتن: باب سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ثلاثاً لأمته، رقم (٢١٧٥) وسنن النسائي: كتاب إحياء الليل: باب إحياء الليل (٣ : ٢١٦ - ٢١٧) والسنن الكبرى له (١ : ٤٢٠) من طريقين، وصحيح ابن حبان =

والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ ، والحمد لله تعالى على فضله ، ذكرتُ بعضَها في « فضائل المدينة المنورة »[1]. والحمد لله تعالى على نعمائه .

٨١ ـ خُصَّت بصلاة العشاء :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ دون غيرها ـ إكراماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتمييزاً لها عن غيرها ـ : أن أعطاها صلاةَ العِشاءِ .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : مكثنا ذاتَ ليلةٍ ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لصلاة العِشاء الآخرة ، فخرج إلينا حين ذهب ثُلثُ الليل ـ أو بعده ـ فلا ندري أشيءٌ شغله في أهله ، أو غيرُ ذلك ، فقال حين خرج : « إنكم لتنتظرون صلاةً ما ينتظرها أهلُ دينٍ غيرُكم ، ولولا أن يثقل على أُمتي لصلَّيتُ بهم هذه الساعة ،... ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : وافقنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنا وأصحابي ، وله بعضُ الشغل في أمره ، حتى أَعْتَم بالصلاة ، حتى ابهارَّ[3] الليلُ ، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فصلّى بهم ، فلما قضى صلاتَه ، قال لمن حضره : « على رِسْلِكُم[4]

= (٩ : ١٧٩ ـ ١٨٠) والمعجم الكبير (٤ : ٦٥ ـ ٦٧) وعزاه في الكنز (١١ : ١٢١ ـ ١٢٢) للضياء أيضاً .

(١) وانظر أيضاً : مجمع الزوائد (٧ : ٢٢١ ـ ٢٢٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المواقيت : باب النوم قبل العشاء لمن غلب . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب وقت العشاء وتأخيرها ، رقم (٢٢٠).

(٣) أي انتصف . وبهرة كل شيء وسطه .

(٤) على رسلكم : أمرٌ بالرفق والتأني . أي تأنَّوا .

أُعْلِمُكُم ، وأبشروا أن مِنْ نعمة الله عليكم : أنه ليس من الناس أحدٌ يصلي هذه الساعةَ غيرُكم ». أو قال : « ما صلّى الساعةَ أحدٌ غيركم... ».

قال أبو موسى : فرجعنا فَرِحين بما سمعنا من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . متفق عليه[1].

وسبب فرحهم ـ والله تعالى أعلمُ ـ : علمُهم باختصاصهم بهذه العبادة ، التي هي نعمة عظمى ، مستلزمة للمثوبة الحسنى ، مع ما انضاف إلى ذلك من تجميعهم فيها خلفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم.اهـ من الفتح[2].

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : أَعْتَم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ليلةً من الليالي بصلاة العشاء ـ وهي التي تُدعى العتمة ـ ... فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال لأهل المسجد ـ حين خرج عليهم ـ : « ما ينتظرها أحدٌ من أهل الأرض غيرُكم ». متفق عليه[3].

وفي رواية أخرى للبخاري[4]، عنها رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ...إنه ليس أحدٌ من أهل الأرض يصلي هذه الصلاةَ غيرُكم ».

وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : رقَبْنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في صلاة العِشاء ، حتى أبطأ ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المواقيت : باب فضل العشاء . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٢٤).

(٢) فتح الباري (٢ : ٤٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المواقيت : باب فضل العشاء . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢١٨).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور .

حتى قال القائلُ : قد صلَّى ولم يخرج ، والقائلُ يقول : لم يخرج . فخرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والقائل يقول : يا رسولَ الله ؛ ظننتُ أنك صليتَ ولم تخرج ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أعتِموا بهذه الصلاة ، فإنكم قد فُضِّلتم بها على سائر الأمم ، ولم تصلِّها أمةٌ قبلكم ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والفسوي والطبراني والبيهقي برجال ثقات[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أخَّر صلاةَ العشاء ، حتى انقلب أهلُ المسجد ،... الحديث ، وفيه : فقال لهم صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما صلّى صلاتكم هذه أمةٌ قط قبلكم ، ومازلتم في صلاةٍ بعدُ ». الحديث ، رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون[2].

وعن المنكدر بن عبد الله التيمي رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه خرج ذاتَ ليلة ، وقد أخَّر صلاةَ العشاء حتى ذهب من الليل هُنَيهةٌ أو ساعةٌ ، والناس ينتظرون في المسجد ، فقال : « ما تنتظرون ؟ » قالوا : ننتظر الصلاة . قال : « أما إنكم في صلاة ما انتظرتموها » ثم قال : « أما إنها صلاةٌ لم يصلِّها أحدٌ ممن كان قبلكم من الأمم ،... ». الحديث بطوله ،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١ : ٣٣١) (٢ : ٤٣٩ ـ ٤٤٠) ومسند أحمد (٥ : ٢٣٧) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب في وقت العشاء الآخرة ، رقم (٤٢١) والمعرفة والتأريخ (٢ : ٣١٣) والمعجم الكبير (٢٠ : ١٢٠) ومسند الشاميين (٢ : رقم ١٠٥٦) ومسند الشاشي (٣ : ٢٦٨رقم ١٣٦٩، ١٣٧٠) وحلية الأولياء (٩ : ٢٣٨) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٤٥١).

(٢) المعجم الكبير (١١ : ٥٣ ـ ٥٤) ومجمع الزوائد (١ : ٣١٣) وقال : له حديث في الصحيح في تأخير العشاء غير هذا .

رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة وابن قانع والحاكم ، برجال ثقات[1].

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : أَخَّرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، صلاةَ العشاء ، ثم خرج إلى المسجد ، والناسُ ينتظرون الصلاةَ ، فقال : « ليس من أهل هذه الأديان أحدٌ يذكر اللهَ عز وجل هذه الساعةَ غيرُكم ». رواه أحمد والنسائي وأبو يعلى والبزار والطبراني وابن حبان بأسانيد حسنة ، رجالهم ثقات ، سوى عاصم ، روى له الشيخان مقروناً ، وهو حسن الحديث[2].

ورواه أحمد برجال ثقات سوى عاصم ـ وهو صدوق ـ بلفظ : « إنه لا

---

(١) المعجم الكبير (٢٠ : ٣٦٠ ـ ٣٦١) والمعجم الأوسط (٧ : ٢٦٨) والمعجم الصغير (٢ : ١٦٦ ـ ١٦٧) وتاريخ بغداد (٣ : ٦٧ ـ ٦٨) ومعجم الصحابة (٣ : ١٢٠ ـ ١٢١) والمستدرك (٣ : ٤٥٧) ومجمع البحرين (٢ : ٤٦ ـ ٤٧) ومجمع الزوائد (١ : ٣١٢) وقال : رجاله ثقات .

قلت : والمنكدر ـ ولد في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وقد ذكره الطبراني وغيره في الصحابة ، وقال الحاكم : أدرك النبيَّ ﷺ وسمع منه.اهـ. وذكره ابن قانع وأبو نعيم ، والحافظ في القسم الأول من الصحابة . وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في الاستيعاب : حديثه مرسل . قلت : فعلى أي فالحديث صحيح ، للروايات والشواهد الأخرى ، والله تعالى أعلم . انظر معرفة الصحابة (٥ : ٢٦٠١) والإصابة (٦ : ٢٢٦).

(٢) مسند أحمد (١ : ٣٩٦) وتفسير النسائي (١ : ٣٢٠) والبحر الزخار (٥ : ٢١٦ ـ ٢١٧) وكشف الأستار (١ : ١٩٠ ـ ١٩١) ومسند أبي يعلى (٩ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧) والمقصد العلي ، رقم (١٩٦) والمعجم الكبير (١٠ : ١٦٢) ومسند الشاشي (٢ : ١٠٨ رقم ٦٣١) وصحيح ابن حبان (٣ : ٣٧) وحلية الأولياء (٤ : ١٨٧) وموارد الظمآن ، رقم (٢٧٤) وتفسير الطبري (٧ : ١٢٧ ـ ١٢٨) وأسباب النزول للواحدي (١١٤ ـ ١١٥) والدر المنثور (٢ : ٢٩٧) ومجمع الزوائد (١ : ٣١٢) وسكت عنه الهيثمي ، وقال عن الرواية الثانية : ثقات ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود ، وهو مختلف في الاحتجاج به . قلت : وإسناد أبي يعلى كإسناد أحمد .

يُصلي هذه الصلاةَ أحدٌ من أهل الكتاب ،... ». وسنده حسن أيضاً ، والله تعالى أعلم .

٨٢ ـ تؤمن بجميع الأنبياء عليهم السلام :

ومما خصَّ الله سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ ـ إكراماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتمييزاً لها عن غيرها من الأمم ـ : أنها تؤمن بجميع الأنبياء السابقين عليهم السلام ، بخلاف ما هو واقع في الأمم السابقة ، فاليهودُ : لا يؤمنون بالمسيح عليه السلام ، ولا يؤمنون بنبينا محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه ، والنصارى : لا يؤمنون بنبيِّنا صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بينما هذه الأمة تؤمن بجميع الأنبياء السابقين عليهم السلام ، ولا يصح إيمانُ واحدٍ حتى يؤمنَ بجميع الأنبياء ، على التخصيص بمن ذُكر منهم ، وعلى العموم بمن لم يُذكر منهم ، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2] .

وقال الله جل شأنه : ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ

---

(١) سورة البقرة (٢٨٥).

(٢) سورة البقرة (١٣٥ـ١٣٦).

وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

بينما أهل الكتاب :

فقد قال الله سبحانه وتعالى عنهم : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ * وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ * وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[3].

وقال جل شأنه أيضاً : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[4].

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على كفرِ أهل الكتاب ، وعلى عدم إيمانهم بالنبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والواقعُ أيضاً ينطق بذلك أيضاً ، حيث إن اليهود والنصارى لا يؤمنون به صلى الله عليه وآله وسلم ، واليهود لا يؤمنون بالمسيح عليه السلام ، وكتبُهم طافحةٌ بذلك .

---

(١) سورة آل عمران (٨٤).

(٢) سورة البقرة (٨٧ ـ ٨٩).

(٣) سورة البقرة (١٤٦).

(٤) سورة الأنعام (٢٠).

مع أن كتبهم طافحة بالبشائر به صلى الله عليه وآله وسلم ، واسمُه العلمُ الشريفُ ووصفُه موجودٌ في العهدين ، وخاصة إنجيل برنابا[1].

ولهذا نبّه صلى الله عليه وآله وسلَّم أن أيّما يهودي أو نصراني سمع به ولم يؤمن بالذي جاء به إلّا كان من أصحاب النار .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « والذي نفسُ محمدٍ بيده ، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة ؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به : إلا كان من أصحاب النار ». لفظ مسلم[2].

وفي رواية « والذي نفسُ محمد بيده ، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة ، ولا يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ،... ». الحديث ، رواه أحمد وأبو عوانة والبغوي بسند على شرطهما[3]. وهو ضمن صحيفة همّام ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بواو العطف . فيدخل في النص : العرب واليهود والنصارى .

ولهذا إذا جاء اليهودُ والنصارى يوم القيامة ؛ فإنه يوضع عليهم ما على المسلمين من الذنوب والآثام والخطايا ، ويُفك بهم المسلمون من النار . كما سيأتي من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عند مسلم ، عند رقم (٨٩).

---

(١) انظر : إظهار الحق (المجلد الثاني) ومحمد في الكتاب المقدس ، والرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى جميع الناس ، رقم (٢٤٠).

(٣) مسند أحمد (٢ : ٣١٧) ومسند أبي عوانة (١ : ٩٧ ، رقم ٣٠٧) وشرح السنة (١ : ١٠٤) وانظر صحيفة همّام (٤٠٩ ، رقم ٩١).

فهذه هي عقوبةُ الذين لم يؤمنوا بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، مع علمهم به ، ومعرفتهم به صلى الله عليه وآله وسلَّم المعرفةَ التامَّةَ ، لهذا استحقوا العذابَ الشديد ، والخلودَ في النار ، والله تعالى أعلم .

٨٣ ـ حفظها الله تعالى من التنقيص في حق ربها عز وجل :

إن أهلَ الكتاب من اليهود والنصارى قد تطاولوا حَدَّهم ، وجَرَوْا في هذيانهم ، وابتعدوا عن فطرتهم ، وتجاوزوا إنسانيتهم ، حتى طعنوا في ربِّهم عز وجل ، فادَّعَوْا له الأولادَ والزوجةَ والشريكَ ، وأنه سبحانه وتعالى فقيرٌ ، وهم أغنياء ، وأنّ يَدَيْه مغلولتان ، غُلَّتْ أيديهم ،... الخ ما قالوه .

بينما حفِظ اللهُ سبحانه وتعالى هذه الأمةَ ـ إكراماً لنبيِّها الكريمِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها ـ من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة ، فنَزَّهَتْ رَبَّها عز وجل عن الشريك والزوجة والولد ،...إلخ. كما وصفته ـ طبقاً لما جاء في كتاب الله تعالى ، وسنة نبيِّه وصفيِّه سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ بصفات الكمال المطلق ، ونزَّهته عن كل نقصٍ سبحانه وتعالى .

قال سبحانه وتعالى ـ عن اليهود والنصارى ـ : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

وقال الله جل شأنه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ

(١) سورة المائدة (١٨).

كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ ﴾[2].

وقال عز شأنه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ ﴾[4].

وقال جل جلاله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[6].

---

(١) سورة التوبة (٣٠ ـ ٣١).

(٢) سورة المائدة (٦٤).

(٣) سورة آل عمران (١٨١ ـ ١٨٢).

(٤) سورة المائدة (٧١ ـ ٧٢).

(٥) سورة المائدة (٧٣).

(٦) سورة المائدة (١١٦).

وأما تصويرُ ربهم سبحانه وتعالى ، ونفيُ الصفات عنه ، والكذبُ عليه سبحانه وتعالى ، وقتلُهم الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وادعاؤهم على أنبيائهم عليهم السلام من البهتان والافتراء ، واتهامُهم لهم بالزنا بالمحارم وغيرهن ، وادعاؤُهم على مريم رضي الله تعالى عنها البهتانَ العظيمَ ، وصناعةُ العجل ، وعبادتُه ، وتحريفُ الكتب ،... وكثيرٌ غيره ، فكل ذلك لا يستوعبه هذا المختصر ..

بينما عقيدة المسلمين :

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2].

والنصوص من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية الشريفة ؛ كثيرة جداً ، والحمد لله تعالى على نعمائه وفضله .

٨٤ ـ لا تزال طائفة منها على الحق :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ ـ إكراماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتمييزاً لها عن غيرها ـ : أن لا يجمعَها على ضلالة ، وأنه ستبقى منها طائفةٌ على الحق ، ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، حتى يقاتِلَ آخرُهم الدجالَ ، وحتى قيام الساعة . والحديث في هذا الموضوع متواتر[3]، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الشورى (١١).

(٢) سورة الإخلاص (١ ـ ٤).

(٣) ذكره الحافظ السيوطي في الأزهار المتناثرة (٣١ ـ ٣٢) وفي قطف الأزهار (٢١٦ ـ ٢١٨) =

فعن ابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، في آخرين ، رضي الله تعالى عنهم . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا يجمع اللهُ أمتي على ضلالة ». وهذا حديث مشهور عند عامة أهل العلم . ويُعتبر أصلاً في الإجماع ؟

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتيَ أَمرُ الله وهم كذلك ». رواه مسلم[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتِلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزلُ عيسى ابنُ مريمَ صلى الله عليه وسلَّم ، فيقول : أميرُهم : تعالَ صلِّ لنا ، فيقول : لا ، إن بعضَكم على بعضٍ أمراءُ ، تكرمةَ الله هذه الأمة ». رواه مسلم[2].

= من طريق أحد عشر صحابياً . وذكره الإمام الزبيدي في لقط اللآلئ (٦٨ ـ ٧١) من طريق اثني عشر صحابياً . وذكره شيخ شيوخي السيد الكتاني في نظم المتناثر (٩٣) من طريق ستة عشر صحابياً . وذكره السيد الغماري في الإتحاف (١٠٧) من طريق واحد وعشرين صحابياً . وكنت قد ذكرته في تعليقي على مسألة الاحتجاج بالشافعي (٤٤ ـ ٤٧) من طريق عشرين صحابياً . وأزيد الآن ستة آخرين ، وهم : معاذ بن جبل ، وأنس بن مالك ، وأبو الدرداء ، والنعمان بن بشير ، وعمرو بن العاص ، وقرة بن خالد ، رضي الله تعالى عنهم ، وجاء عن قتادة مرسلاً ، فبلغوا سبعة وعشرين ، ومن أراد معرفة أسماء العشرين فليرجع إلى مسألة الاحتجاج بالشافعي ،... ط. الرياض (١٤٠٠هـ). وهو من نشر رئاسة الإفتاء فيها .

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق »، رقم (١٧٠) وفي كتاب الفتن أيضاً .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد =

وعن معاويةَ بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرُّهم من خذلهم ، أو خالفهم ، حتى يأتيَ أمرُ الله ، وهم ظاهرون على الناس ». متفق عليه[1].

زاد في رواية البخاري : فقال معاوية : هذا مالك [بن يخامر] يزعم أنه سمع معاذاً يقول : « وهم بالشام ».

وعن عقبةَ بن عامرٍ رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا تزال عصابةٌ من أمتي يقاتِلون على أمر الله ، قاهرين لعدوِّهم ، لا يضرُّهم من خالفهم ، حتى تأتيَهم الساعةُ ، وهم على ذلك ». رواه مسلم[2].

وعن المغيرة بن شُعبةَ رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لن يزال قومٌ ـ وفي البخاري : طائفةٌ ـ من أمتي ظاهرين على الناس ، حتى يأتيَهم أمرُ الله ، وهم ظاهرون ». متفق عليه[3].

وعن جابر بنِ سَمُرَة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لن يبرحَ هذا الدينُ قائماً ، يقاتِلُ عليه عصابةٌ من المسلمين ، حتى

= صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٢٤٧) وكتاب الإمارة : الباب السابق ، رقم (١٧٣).

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب حدثنا محمد بن المثنى ، وكتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾. وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٧٤، ١٧٥) وفي كتاب الزكاة أيضاً .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : الباب السابق ، رقم (١٧٦).

(٣) صحيح البخاري : في كتب المناقب ، والتوحيد : الأبواب السابقة ، وكتاب الاعتصام أيضاً . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : الباب السابق ، رقم (١٧١).

تقومَ الساعةُ ». رواه مسلم[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: « لا يزال أهلُ الغَرْب ظاهرين على الحق، حتى تقومَ الساعةُ ». رواه مسلم[2].

والغَرْبُ يحتمل ثلاثة معاني:

- الغرب هو الدلو، ومعنى هذا أن أهل تلك الطائفة أهل زراعة.
- الغرب: هو الحد والقوة، من قولهم: حدُّ كل شيء غربه، يعني: أن أهل هذه الطائفة هم أهل جهاد ومرابطة،...
- هو من الجهة، يعني هم غرب الحجاز والجزيرة.

وكل هذا ينطبق على بلاد الشام، والله تعالى أعلم.

ويدل على هذا حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول: « لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين، إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابنُ مريم صلى الله عليه وسلَّم، فيقول أميرُهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضَكم على بعض أمراء، تكرمةَ الله هذه الأمة ». وقد مر ذكره قبل قليل.

فهذا صريح في وجود الطائفة آنذاك في بلاد الشام، لأنه عليه السلام، سينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فطلب أمير هذه الطائفة المنصورة منه عليه السلام أن يصلِّي بهم صلاة الفجر دلالة على وجودهم هناك آنذاك، والله تعالى أعلم.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: الباب السابق، رقم (١٧٢).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: الباب السابق، رقم (١٧٧).

ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن بوجود هذه الطائفة القائمةِ بالحقِّ إلى يوم القيامة : لا يحصلُ الاجتماع على الضلالة.اهـ من التلخيص الحبير .

وقد اختُلِفَ في تعيين هذه الطائفة :

ـ فذهب عدد من العلماء ، كابن المبارك ، وأحمد بن سنان ، ويزيد بن هارون ، وعلي ابن المديني ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري ،... في آخرين ، رحمهم الله تعالى : إلى أنهم أصحابُ الحديث ، وأطال الإمام الحاكم رحمه الله تعالى النَّفَس في الانتصار لهذا القول[1].

ـ لكن الذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ هو ما قاله الإمامُ النووي رحمه الله تعالى : بأنهم متفرقون في الأمة من المؤمنين ، فمنهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدِّثون ، ومنهم زهّاد ، وآمرون بالمعروف ، وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير .

ـ وأما مكان وجودهم ، فقد جاء في عدد من الروايات أنهم بالشام .

قلت : والذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أنهم متفرقون في البلدان ، ثم تبدأ بالتناقص ، وكلما اقترب الزمان من نهايته ، يكون رحيلُهم إلى بلاد الشام ، حتى إذا كانت الملحمة الكبرى كانوا متواجدين جميعاً في بلاد الشام ، فإذا نزل عيسى عليه السلام ـ في الشام ـ كانوا جنودَه ، فيَقْتُلون معه الدجالَ ، واليهودَ ، وذلك لأن الهجرةَ في آخر الزمان تكون إلى الشام[2].

---

(١) انظر هذه الأقوال : شرف أصحاب الحديث (٢٥ ـ ٢٧) ومسألة الاحتجاج (٤٧ ـ ٤٩) ومعرفة علوم الحديث (٢ـ٣) وسنن الترمذي (٤ : ٤٨٥ ، ٥٠٤ ـ ٥٠٥) وشرح صحيح مسلم للنووي (١٣ : ٦٧) شرح أربعين حديثاً من الصحيحين ، وفضائل بلاد الشام ، للمصنف .

(٢) لقد ذكرت الرأيين وأقوال العلماء في تعليقي على (مسألة الاحتجاج بالشافعي...) لكني =

ويؤيد هذا القولَ ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، والذي مرَّ قبل قليل ، وفيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلم : « فيقول أميرهم : تعال صلِّ لنا... ». الحديث ، رواه مسلم .

ووجه الاستدلال ـ والله تعالى أعلم ـ أن المسيح عليه السلام ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق[1]، وهي سرة بلاد الشام ، فكيف يطلب أمير هذه الطائفة منه أن يتقدّم ، فيصلّي بهم صلاةَ الصبح لو لم يكونوا موجودين آنذاك هناك ؟ ومعنى هذا أن هذه الطائفة إما أن تكون موجودةً أصلاً في بلاد الشام ، وإما أن تكون متفرقةً في البلدان ، لكنها في ذلك الزمان تكون قد تجمّعت من أقطار الأرض ، فإذا نزل كانوا متواجدين في بلاد الشام ، والله تعالى أعلم .

ومعتقد هذه الطائفة : هي المتبقِّيَةُ ـ عند اختلاف الأمة وتفرقها ـ على اتِّباعها للنبيَّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم ، والمتمسكة بنهجه ونهج أصحابه ،...

وقد جاء قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ : « افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقةً ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ». رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى ، وصحّحه الترمذي وابن حبان والحاكم ، وغيرهم[2].

= أطلت النفس في بيان وجود هذه الطائفة في بلاد الشام ، في (فضائل بلاد الشام) حيث ذكرت الروايات الواردة في ذلك ، والله تعالى المعين .

(١) انظر : أخبار الدجال ، أشراط الساعة ، ومختصره .

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣٣٢) والسنة (١ : ٣٣ ، ٣٤ رقم ٦٦ ، ٦٧) وسنن أبي داود : كتاب : =

تنبيه : قال الإمام الخطّابي رحمه الله تعالى[1]: فيه [أي في هذا الحديث] دلالة على أن هذه الفِرق كلّها غيرُ خارجة من الدِّين . إذ قد جعلهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم كلَّهم من أمَّته .

وفيه أن المتأوِّلَ لا يخرج من المِلَّة ، وإن أخطأ في تأوُّله.اهـ.

كما خصَّها سبحانه وتعالى بخصائص أخرى غير ما ذكرت ، كأن خاطبها بما خاطب به الرسلَ عليهم السلام ، وحفِظها من الغُلوِّ في نبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجعل عذابَها في الدنيا دون الآخرة ، وأن الأبدالَ فيها ، وأنه تعالى لن يعذبها ما دام فيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وما داموا يستغفرون الله عز وجل ،...إلخ، وقد ذكرت ذلك كله في الأصل ، والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

= باب السنة : باب شرح السنة ، رقم (٤٥٩٦) وسنن الترمذي : كتاب الإيمان : باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، رقم (٢٦٤٠) وسنن ابن ماجه : كتاب الفتن : باب افتراق الأمم ، رقم (٣٩٩١) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٣١٧ ، ٣٨١ـ٣٨٢ ، ٥٠٢) وصحيح ابن حبان (٨ : ٤٨ ، ٢٥٨) والمستدرك (١ : ١٢٨) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ٢٠٨).

(١) معالم السنن (٧ : ٤) ونقله الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في السنن (١٠ : ٢٠٨).

المبحث الثاني

ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به في أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم في الآخرة

لقد خصَّ الله سبحانه وتعالى هذه الأمةَ ـ تكرمةً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في الآخرة بخصائص جليلة وعظيمة وكثيرة ، أقتصر هنا على ذكر بعضها .

٨٥ ـ جعلها الله تعالى شاهدة للأنبياء عليهم السلام على أممهم :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمةَ شاهدةً للأنبياء عليهم السلام على أممهم ، عندما يُنكرون أنهم ما جاءهم من نذيرٍ ولا بشير ، وأنهم لم يُبَلَّغوا من قِبل أنبيائهم ، ويُنكرون على أنبيائهم ، فتشهد هذه الأمة للأنبياء السابقين عليهم السلام أنهم قد بلَّغوا ـ كما أن الله تعالى لم يجعل لأمة من الأمم يداً على هذه الأمة ، إنما الذي يشهد عليها ولها هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، نبيُّ الرحمة ، وهذا منتهى الإكرام ـ حيث يكونون شهداءَ الأنبياء والرسل الكرام على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، ويكون صلى الله عليه وآله وسلم هو المؤيِّد لها في شهادتها ، والذي لولاه صلى الله عليه وآله وسلَّم ما أُعطيت هذه المكرمة الرفيعة ـ ولذا جعلها الله عز وجل أمةَ العدل والوسط والخيار ، والله تعالى أعلم .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[١] .

---

(١) سورة البقرة (١٤٣).

وقال الله جل وعز أيضاً : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾[1] .

وقد بيَّنَ النبيُّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك بقوله أتمَّ وضوح .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يُدعى نوحٌ يوم القيامة ، فيقول : لبَّيْك وسَعْدَيك يا رب ، فيقول : هل بلغتَ ؟ فيقول : نعم . فيقال لأمته : هل بلَّغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذيرٍ . فيقول : من يشهدُ لك ؟ فيقول : محمدٌ وأمتُه ، فيشهدون أنه قد بلَّغ ، ويكون الرسول عليكم شهيداً ، فذلك قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ . رواه البخاري[2] .

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يُجاء بنوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغتَ؟ فيقول : نعم يا رب ، فتُسأل أمتُه : هل بلَّغَكُم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقول : مَنْ شهودُك ؟ فيقول : محمدٌ وأمتُه ، فيُجاء بكم ، فتشهدون » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ قال : عدلاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ . رواه البخاري[3] .

---

(١) سورة الحج (٧٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : تفسير سورة البقرة : باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ...﴾، وكتاب الأنبياء : باب ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ...﴾ .

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يجيء النبيُّ يومَ القيامة معه الرَّجلُ ، ويجيء النبيُّ معه الرجلان ، ويجيء النبيُّ معه أكثرُ من ذلك . فيقال له : هل بلَّغتَ قومَك ؟ فيقول : نعم . فيُدعون ، فيُقال : هل بلَّغكُم ؟ فيقولون : لا . فيقال : من يشهد لك ؟ فيقول : أمَّةُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فتُدعى أمَّةُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فيقال : هل بلَّغ هذا ؟ فيقولون : نعم . فيقال : وما علمُكم بذلك ؟ فيقولون : أخبرنا نبيُّنا صلى الله عليه وآله وسلم أن الرسلَ قد بلَّغوا فصدَّقناه ، فذلك قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ ». رواه أحمد وسعيد بن منصور والنسائي وابن ماجه والإسماعيلي بإسناد صحيح[1].

وله روايات أخرى ، فيها زيادات لطيفة ومفيدة .

٨٦ ـ هم أول من يجتاز الصراط :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ يوم القيامة ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها ـ : أنها تكون معه صلى الله عليه وآله وسلَّم أولَ من يجتاز الصراطَ من الأمم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن ناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : يا رسول الله ؛ هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ فقال رسولُ الله

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٥٨) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ٢٩٢) والتفسير له (١ : ١٩٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٤٢٨٤) وسنن سعيد بن منصور (٢ : ٦١٨ ـ ٦١٩ رقم٢٢٢) وفتح الباري (٨ :١٧٢) وانظر الدر المنثور (١ : ٣٤٩).

صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هل تضارُّون في رؤيةِ القمر ليلةَ البدر؟ ،... » الحديث ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ويُضرب الصراط بين ظَهْرَي جنهم ، فأكون أنا وأمتي أولَ من يجيزُ ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن أولَ من يُجيز على الصراط يوم القيامة : هم فقراءُ المهاجرين رضي الله تعالى عنهم .

فعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ورضي الله تعالى عنه قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء حبرٌ من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد . فدفعته دفعةً كاد يُصرع منها ـ ... الحديث بطوله في قصة سؤال الحَبْرِ عن عدة أمور ـ .

وفيه : فقال اليهودي : أين يكون الناسُ يوم تُبَدَّل الأرضُ غيرَ الأرض والسمواتُ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هم في الظلمة دون الجسر » قال : فمَن أولُ الناس إجازةً ؟ قال : « فقراءُ المهاجرين ،... ». الحديث ،...

قال اليهودي : صدقتَ ، وإنك لنبيٌّ ، ثم انصرف فذهب .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ، وما لي علمٌ بشيء منه ، حتى أتاني الله به ». رواه مسلم[2] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الصراط جسر جنهم . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، رقم (٢٩٩).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب صفة مني الرجل والمرأة ، رقم (٣٤).

٨٧ ـ هم أول من يدخل الجنة ، وأنها مُحَرَّمةٌ على الناس حتى تدخلها هذه الأمة :

والذي هو أول من يجتاز الصراط : هو أولُ من يدخل الجنة أيضاً ، فأول من يدخل الجنة على الإطلاق رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن الأمم أُمَّتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأولها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ثم فقراؤها قبل أغنيائها ، والله تعالى أعلم[١].

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نحن الآخِرون ، ونحن السابقون يومَ القيامة ... ». الحديث متفق عليه[٢].

وفي لفظ لمسلم[٣] عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نحن الآخِرون ، الأوَّلون يوم القيامة ، ونحن أولُ من يدخل الجنة ، بيد أنهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا ، وأُوتيناه من بعدهم ،... ».

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أضلَّ اللهُ عن الجمعة مَنْ كان قبلنا ، فكان لليهود يومُ السبت ، وكان للنصارى يومُ الأحد ،... نحن الآخِرون من أهل الدنيا ، والأوَّلون يوم القيامة ، المقضيُّ لهم [وفي رواية : المقضيُّ بينهم] قبل الخلائق ». رواه مسلم[٤].

---

(١) انظر : النهاية لابن كثير (٢ : ٣١٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجمعة : باب فرض الجمعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب هداية الله هذه الأمة ليوم الجمعة ، رقم (١٩ـ ٢١).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : الباب السابق ، رقم (٢٠).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : الباب السابق ، رقم (٢٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « الجنةُ حُرِّمت على الأنبياء حتى أدخلها ، وحُرِّمت على الأمم حتى تدخلَها أمتي ». رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، بإسناد حسن ، ورواه الدارقطني في الأفراد ، والضياء في المختارة ، وصححه الحافظ على شرط الحاكم[1].

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هل تدرون أولَ من يدخل الجنةَ من خلق الله عز وجل ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « أولُ من يدخل الجنة من خلق الله فقراءُ المهاجرين ، الذين تُسَدُّ بهم الثغور ، وتُتَّقى بهم المكاره ، ويموت أحدُهم وحاجتُه في صدره ، لا يستطيع لها قضاءً ،... ». الحديث ، رواه أحمد وعبد بن حميد وابن أبي عاصم ، وابن حبان والحاكم ، وصححاه ، وأقره الذهبي ، والبزار والطبراني والبيهقي ، ورجالهم ثقات[2].

وعنه رضي الله تعالى عنهما قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن فقراءَ المهاجرين يسبقون الأغنياءَ يوم القيامة إلى الجنة

---

(١) المعجم الأوسط (١ : ٥١٢ ـ ٥١٣) ومجمع الزوائد (١٠ : ٦٩) وكنز العمال (١١ : ٤٣٦) ومجمع البحرين (٧ : ٤٧ ـ ٤٨) وجامع الأحاديث (٣ : ٧٦٠) وفيهما تصحيح الحافظ . وذكر سندَه ابنُ القيم في حادي الأرواح (٧٧) وعزاه ابنُ كثير في النهاية (١ : ٢٤) للضياء .

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٦٨) ومسند عبد بن حميد (١٣٨ ـ ١٣٩) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٥٤) والمستدرك (٢ : ٧١ ـ ٧٢) وحلية الأولياء (١ : ٣٤٧) وصفة الجنة (١ : ١١٢ ـ ١١٣) وكشف الأستار (٤ : ٢٥٦ ـ ٢٥٧) والبعث والنشور (٣٤٢) وشعب الإيمان (٧ : ٣٠٠) والأوائل لابن أبي عاصم (٧٥ رقم ٥٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٢٥٩).

بأربعين خريفاً ». رواه مسلم[1].

وأما كون أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه أول من يدخل الجنةَ من هذه الأمة ، فيوضِّحه ما يلي :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أتاني جبريل فأراني بابَ الجنة الذي تدخل منه أمتي » فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ وددتُ أني كنتُ معك حتى أنظرَ إليه . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أما إنك يا أبا بكر أولُ من يدخل الجنةَ من أمتي ». رواه أبو داود وخيثمة ، وعبد الله بن أحمد في زوائد الفضائل وصححه الحاكم وأقره الذهبي، لكن في إسنادهم جميعاً (أبو خالد الدالاني) وثقه أبو حاتم ، وقال يحيى وأحمد والنسائي : لا بأس به ، وقال البخاري : صدوق ، إنما يهم في الشيء ، وقال الحاكم : إن الأئمةَ المتقدمين شهدوا له بالصدق والإتقان ، وجرَّحه آخرون . فالحديث حسن[2].

وتكون وجوه الطائفة التي تكون أولَ من يدخل الجنة من هذه الأمة : كالقمر ليلة البدر ، أو كالشمس في شدة نورها ، ثم التي تليها تكون كأضوأ نجم في السماء ،...

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، رقم (٣٧).

(٢) سنن أبي داود : كتاب السنة : باب في الخلفاء ، رقم (٤٦٥٢) ومن حديث خيثمة (١٤٣) وفضائل الصحابة (١ : ٢٢١ - ٢٢٢ ، ٣٩٢) والمستدرك (٣ : ٧٣) وانظر حادي الأرواح (٧٧ - ٧٨) والنهاية لابن كثير (١ : ٢٤) وانظر لترجمة أبي خالد : تهذيب الكمال (٣٣ : ٢٧٤ - ٢٧٥) ومختصر سنن أبي داود (٧ : ٣٠) مع تهذيب ابن القيم ، وتهذيب التهذيب (١٢ : ٨٢ - ٨٣) والحديث له شواهد في دخول الصديق رضي الله تعالى عنه من أبواب الجنة كلها ، وهو في الصحيح ، وسيأتي ذكره في الفقرة القادمة إن شاء الله تعالى .

فعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إذا كان يوم القيامة ؛ قامت ثُلَّةٌ من الناس يسدُّون الأفقَ ، نورُهم كالشمس ، فيقال : النبيُّ الأُمِّيُّ ، فيتحشحش[1] لها كلُّ نبيٍّ ، فيقال : محمدٌ وأمتُه ، ثم تقوم ثُلَّةٌ أخرى تسدُّ ما بين الأفق ، نورُهم مثلُ كلِّ كوكب في السماء ، فيقال : النبيُّ الأُمِّيُّ ، فيتحشحش لها كل نبيٍّ ، ثم يحثي حثيتين ، فيقال : هذا لك يا محمد ، وهذا مني لك يا محمد ، ثم يوضع الميزان ، ويؤخذ في الحساب ». رواه الطبراني[2]. وشاهده ما بعده ، فهو به حسن .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن أولَ زمرةٍ تدخل الجنة [وفي لفظ مسلم : « من أمتي » ، وفي لفظ آخر له : « أول من يدخل الجنة »] على صورة القمر ليلةَ البدر ، ثم الذين يلونهم على أشدِّ نجم في السماء إضاءة ، ثم هم بعد ذلك منازل ،... ». الحديث متفق عليه[3].

والأحاديث في ذلك كثيرة .

قال العلّامةُ ابنُ القيم رحمه الله تعالى[4]: فهذه الأمة أسبقُ الأمم خروجاً من الأرض ، وأسبقُهم إلى أعلى مكان في الموقف ، وأسبقُهم إلى ظل العرش ،

---

(١) قوله : « فيتحشحش » التحشحش : التحرك للنهوض ، يقال : سمعتُ له حشحشة وخشخشة : أي حركة . النهاية (١ : ٣٨٨).

(٢) المعجم الكبير (٨ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، ٢٢٢ ـ ٢٢٣) مجمع الزوائد (١٠ : ٤٠٨ ـ ٤٠٩) وقال الهيثمي : رجاله قد وثِّقوا .

(٣) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب ما جاء في صفة الجنة . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : باب أول زمرة تدخل الجنة ،... رقم (١٤ـ١٦).

(٤) حادي الأرواح (٧٧).

وأسبقُهم إلى الفصل والقضاء بينهم ، وأسبقُهم إلى الجواز على الصراط ، وأسبقُهم إلى دخول الجنة ، فالجنةُ مُحرَّمة على الأنبياء حتى يدخلها محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومُحرَّمة على الأمم حتى تدخلها أمته . صلى الله عليه وآله وسلَّم.اهـ.

٨٨ ـ انفرادها بدخول الباب الأيمن من الجنة :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمَّة المحمدية دون غيرها ـ إكراماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ، وتمييزاً لها عن من سواها ـ : أن جعل الزمرةَ الأولى منها ـ وهي التي لا حساب عليها ولا عقاب ـ تدخل الجنةَ من الباب الأيمن ، وهم شركاءُ الناس في بقية أبواب الجنة ، وفي هذا من التكريم والامتنان والإحسان ما لا يخفى على فطن .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة ، فرفعت إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منها نهسةً ، وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ،... ». الحديث بطوله في الشفاعة وفي آخره يقول صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فأَنْطِلقُ ، فآتي تحت العرش ، فأقعُ ساجداً لربي ، ثم يفتحُ الله عليَّ ، ويلهمُني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد من قبلي ، ثم يقال : يا محمد ؛ ارفع رأسَك ، سَلْ تُعطه ، اشفع تشفَّع . فأرفع رأسي ، فأقول : يا رب ؛ أُمتي ، أُمتي ، فيقال : يا محمد ؛ أَدخِل الجنةَ من أُمتِك مَنْ لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاءُ الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ،... ». الحديث . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : تفسير سورة الإسراء : باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ =

كما أن فيها من يُدعى من جميع أبواب الجنة الثمانية ، ومن هؤلاء أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه وأرضاه وقد فعل .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله ، نُودِيَ في الجنة : يا عبدَ الله ؛ هذا خير . فمن كان من أهل الصلاة ، دُعِيَ من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد ، دُعيَ من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة ، دُعيَ من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام ، دُعيَ من باب الريان ».

قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ؛ ما على أحد يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم ». متفق عليه[1] .

وفي رواية لهما[2] : « ...دعاه خزنةُ الجنة ـ كلُّ خزنةِ بابٍ ـ أي فُلْ ، هلم » أي يا فلان ، والله تعالى أعلم .

٨٩ ـ سيفديها الله تعالى بغيرها من الأمم :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ أيضاً ، وفضَّلها على غيرها من الأمم ، وأكرمها ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتمييزاً

=نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ . وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧).

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب الريان للصائمين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب من جمع الصدقة وأعمال البر ، رقم (٨٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل النفقة في سبيل الله . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم(٨٦).

لها عن غيرها ـ : أنه سيُفدي من يستحقُّ العذابَ والعقاب منها بغيرهم من الأمم السابقة ، من النصارى واليهودِ وغيرهم من الأمم . سواء يجعلهم فداءً للمسلمين ، أو يضعُ عليهم ذنوبَ المسلمين ، فيدخلهم نيابةً عنهم في نار جهنم ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال :قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إذا كان يومُ القيامة ، دفع الله عز وجل إلى كلِّ مسلم يهوديّاً أو نصرانيّاً ، فيقول : هذا فكاكك من النار ». رواه مسلم[1].

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا يموت رجلٌ مسلمٌ إلا أدخل اللهُ مكانه النارَ يهوديّاً أو نصرانيّاً ».

وفي رواية أخرى عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يجيء يومَ القيامة ناسٌ من المسلمين بذنوبٍ أمثالِ الجبال ، فيغفرها لهم ، ويضعُها على اليهود والنصارى ». رواهما مسلم[2].

ذلك لأنهم أهلُ الكتاب ، وقد أُخذ عليهم العهد بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واتباعه وطاعته ، وعندهم العلم بذلك ، لكنهم كفروا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ مع علمهم التام به ـ وحرَّفوا ما في كتبهم ، وطعنوا بربهم تعالى ، وقتلوا أنبياءَهم عليهم السلام ، وافتروا عليهم وطعنوا فيهم ، لذا استحقوا العذاب الأليم ، والله تعالى أعلم .

٩٠ ـ تأتي غرّاً مُحَجَّلِين :

ومما خُصَّت به هذه الأمةُ من بين الأمم ـ إكراماً لنبيِّها الكريم صلى الله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب التوبة : باب قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله ، رقم (٤٩).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٠ ـ ٥١).

عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها ـ : أنها تأتي يوم القيامة غرّاً مُحَجَّلِين من آثار الوضوء ، فهي علامةٌ خاصَّةٌ بهم ؛ يعرفهم النبي المصطفى الرحيم صلى الله عليه وآله وسلم بها ، ولا يلتبس أمرهم بأحد ، وليس هذا لأحدٍ من الأمم الأخرى ، لذا حثَّ صلى الله عليه وآله وسلم على إطالتها .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن أُمتي يأتون يوم القيامة غرّاً مُحَجَّلِين من أثرِ الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يُطيل غرته فليفعل ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[١].

وفي رواية لمسلم[٢] عنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن حوضي أبعدُ من أَيْلَةَ منْ عَدَنٍ[٣] لهو أشدُّ بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل باللبن ، ولَآنيتُه أكثرُ من عدد النجوم ، وإني لأصدُّ الناسَ عنه ، كما يَصدُّ الرجلُ إبلَ الناس عن حوضه » قالوا : يا رسول الله ؛ أتعرفنا يومئذ؟ قال : « نعم ، لكم سِيما[٤] ليست لأحد من الأمم ، تَرِدون عليَّ غرّاً مُحَجَّلِين من أثرِ الوضوء ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء . باب فضل الوضوء . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، رقم (٣٥).

(٢) في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٦ ـ ٣٧).

(٣) قوله : « أيلة ، وعدن » مدينتان ساحليتان ، الأولى في شمال البحر الأحمر ـ وهي (إيلات) ويعرف الخليج بها ، والثانية في الجنوب ـ وهي عاصمة اليمن الجنوبي سابقاً ـ والمراد أن حوضه صلى الله عليه وآله وسلَّم كبير واسعٌ ، بُعد ما بين طرفيه كما بين إيلات وعدن ، والله تعالى أعلم .

(٤) قوله : « سِيما » أي علامة .

وزاد في الرواية الثالثة بعد قوله : « من آثار الوضوء » : « ليست لأحدٍ غيركم ».

وفي رواية له[1] عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنتم الغرُّ المُحَجَّلون يومَ القيامة ،... ». الحديث .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن حوضي لأَبْعَدُ من أَيْلَةَ من عَدَنْ ، والذي نفسي بيده ، إني لأذود عنه الرجالَ ؛ كما يذود الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضه » قالوا : يا رسول الله ؛ وتَعْرفنا ؟ قال : « نعم ، تردون عليَّ غُرّاً مُحجَّلين من آثار الوضوء ، ليست لأحد غيركم ». رواه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أتى المقبرةَ ، فقال : « السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين ، وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون ، وددتُ أنّا قد رأينا إخوانَنا » قالوا : أولسنا إخوانَك يا رسول الله ؟ قال : « أنتم أصحابي ، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعد » فقالوا : كيف تعرفُ من لم يأتِ بعدُ مِنْ أمتك يا رسول الله ؟ فقال : « أرأيتَ لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلةٌ ، بين ظَهْري خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ[3] ، ألا يعرفُ خيلَه ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « فإنهم يأتون غُرّاً محجَّلين من الوضوء ، وأنا فَرَطُهم على الحوض ،... ». الحديث ، رواه مسلم[4].

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٤).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٨).

(٣) قوله : « خيل دهم بهم » أي سود لم يخالط لونَها لونٌ آخر . بخلاف الغُرِّ المحجَّلين ، فالغرُ ما كان فيه بياض في الجبهة ، والمحجَّل : ما كان فيه بياض في الأيدي والأرجل .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب استحباب إطالة الغُرة والتحجيل في الوضوء ، =

وعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله ؛ كيف تعرف من لم ترَ من أمتك ؟ قال : « هم غُرٌّ مُحجَّلون ، بُلقٌ من آثار الوضوء ». رواه ابن أبي شيبة والطيالسي وأحمد وابن ماجه وابن حبان ، وأبو يعلى والبزار والطبراني ، برجال الصحيح ، وهو حسن[1].

قلت : وهذا الحديث [مجيء هذه الأمة يوم القيامة غرّاً محجَّلين] هو متواتر ، فقد جاء أيضاً من حديث أبي الدرداء ، وأبي سعيد ، وأبي أمامة ، وعبد الله بن بُسر ، وأبي ذر ، وجابر ، وابن عباس ، ووفد عبد القيس ،... رضي الله تعالى عنهم[2] ، والله تعالى أعلم .

٩١ ـ هم أكثر أهل الجنة :

ومما خُصَّت به هذه الأمة عن غيرها من الأمم ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها ـ : أنها ستكون أكثر أهل الجنة ، من سائر الأمم ، بحيث إنها ستكون ثلثي أهل الجنة .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : خطبنا رسولُ الله

= رقم (٣٩).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١ : ٦) والمسند له (١ : ١٩٢رقم ٢٨٢) ومسند الطيالسي (٤٨ رقم ٣٦١) ومسند أحمد (١ : ٤٠٣ ، ٤٥١ ـ ٤٥٢ ، ٤٥٣) وسنن ابن ماجه : كتاب الطهارة : باب ثواب الطهور ، رقم (٢٨٤) ومنحة المعبود (١ : ٤٩) ومسند أبي يعلى (٨ : ٤٦٢) (٩ : ٢٠٣) والبحر الزخار (٥ : ٢٠٨ ـ ٢٠٩) والمعجم الأوسط (٣ : ٣٦٦) وصحيح ابن حبان (٢ : ١٩٢) (٩ : ١٨٢ ـ ١٨٣) ومصباح الزجاجة (١ : ٤٢).

(٢) انظر : مسند ابن مبارك (٦٤) ومسند أحمد (١ : ٢٨١ ـ ٢٨٣ ، ٢٩٥ ـ ٢٩٦) (٣ : ٤٣١) (٤ : ٢٠٧) (٥ : ١٩٩ ، ٢٦٢) والمستدرك (٢ : ٤٧٨) مجمع الزوائد (١ : ٢٥٥) (١٠ : ٣٤٤) وكنز العمال (٩ : ٢٩٢ ـ ٢٩٣).

صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأسند ظهره على قبَّةِ أَدم فقال : « ألا لا يدخل الجنةَ إلا نفسٌ مسلمةٌ . اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد . ألا تُحبّون أنكم ربعُ أهل الجنة ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : « أتحبون أن تكونوا ثلثَ أهل الجنة ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : « إني لأرجو أن تكونوا شَطْرَ أهلِ الجنة ، ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرةِ السوداء في الثور الأبيض ، أو كالشعرةِ البيضاء في الثور الأسود ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « والذي نفسي بيده إني لأطمعُ أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة » قال : فحمدنا الله وكبَّرنا . ثم قال : « والذي نفسي بيده إني لأطمعُ في أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة ،... ». ثم ساق بنحوه ، متفق عليه[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أنه سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إني لأرجو أن يكون مَنْ تبعني من أمتي ربعَ أهل الجنة » قال : فكبَّرنا ، ثم قال : « أرجو أن يكونوا ثُلثَ أهل الجنة » قال : فكبَّرنا ، ثم قال : « أرجو أن يكونوا الشَطْرَ ». رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط برجال الصحيح[3]. وقال ابن القيم : إسناده على شرط مسلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الحشر . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، رقم (٣٧٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب قوله تعالى : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : الباب السابق ، رقم (٣٧٩).

(٣) مسند أحمد (٣ : ٣٤٦ ، ٣٨٣) والمعجم الأوسط (٩ : ٤٠ ـ ٤١ بنحوه) ومجمع البحرين (٨ : ١٦٧) وكشف الأستار (٤ : ٢٠١) ومجمع الزوائد (١٠ : ٤٠٢ ـ ٤٠٣) وقال : ورجال البزار رجال الصحيح ، وكذلك أحد إسنادي أحمد . وحادي الأرواح (٨٥).

بل جاء في عدد من الأحاديث ما هو أكثر من النصف : إنما هو الثلثان ، ويكون الثلثُ الباقي من سائر الأمم . وكل ذلك فضل الله تعالى يعطيه من يشاء ، ويكون الله سبحانه وتعالى أعطى نبيَّه وصفيَّه الكريمَ سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم الربعَ ، ثم أعطاه الثلث ، ثم أعطاه النصف ، ثم أعطاه الثلثين . وبذلك يكون جميعُ أمته في الجنة ـ كما سيأتي عند رقم (٩٤) ـ ويحتمل أن يكون ذلك بعدد الداخلين ، فيكتمل لها الثلثان ، بدخول آخر هذه الأمة ممن يشفع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى أعلم .

فعن بُريدةَ بن الـحُصَيْب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أهلُ الجنة عشرون ومائةُ صفٍّ : ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم » أخرجه ابن أبي شيبة والدارمي وأحمد ، والترمذي وحسنه ـ وفي بعضها وصححه ـ وابن ماجه والطحاوي ، وصحّحه الحاكم وابن حبان[1] وقال ابن القيم : إسناده على شرط الصحيح .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال لنا رسولُ الله

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٠ ـ ٤٧١) وسنن الدارمي (٢ : ٢٤٣رقم ٢٨٣٨) ومسند أحمد (٥ : ٣٤٧ ، ٣٥٥ ، ٣٦١) وسنن الترمذي : كتاب صفة الجنة : باب ما جاء في وصف أهل الجنة ، رقم (٢٥٤٦) وقال : حديث حسن . لكن قال الحافظ في الفتح (١١ : ٣٨٨) : وصححه ، ولعله اختلاف نسخ . وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٤٢٨٩) وشرح مشكل الآثار (١ : ١٥٦ ـ ١٥٧) والمعجم الأوسط (٢ : ٧٧ ، ١٦٨) (٨ : ٢٣٢) والمستدرك (١ : ٨١ ـ ٨٢ ، ٨٢) وصححه على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٧٤ ـ ٢٧٥) وموارد الظمآن ، رقم (٢١٥٥) وزيادات الزهد لابن المبارك (رقم١٥٧٢) وأخبار أصبهان (١ : ٢٧٥) وحسن الظن بالله (رقم ٧٤) وحادي الأرواح (٨٤).

صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كيف أنتم وربعُ أهل الجنة ، لكم ربعُها ، ولسائر الناس ثلاثةُ أرباع ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « فكيف أنتم وثلثُها ؟ » قالوا : فذاك أكثر ، قال : « فكيف أنتم والشطرُ ؟ » قالوا : فذاك أكثر . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أهلُ الجنة يوم القيامة عشرون ومائةُ صفٍّ ، أنتم منها ثمانون صفاً ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والطحاوي والبزار وأبو يعلى والطبراني ـ في الثلاثة ـ وأبو نعيم والحاكم[1].

وفي إسنادهم : الحارث بن حصيرة ، وَثَّقَه ابنُ معين والنسائي والعجلي وابن نمير وابن حبان وابن شاهين ، وقال أبو داود : شيعي صدوق . وقد ضعَّفه آخرون ، لكن هذا من رواية عبد الواحد بن زياد البصري عنه . فالحديث من طريقه حسن ، لكن يشهد له حديثُ بُريدةَ وغيره ، فالحديث صحيح ، والله تعالى أعلم .

وقد جاء هذا الحديث عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، منهم : ابن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو أمامة ، ومعاوية بن حيدة ،... رضي الله تعالى عنهم ، والله تعالى أعلم .

٩٢ ـ سيرضي نبيه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ من سائر الأمم ـ تكريماً

---

(١) مسند أحمد (١ : ٤٥٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧١) وشرح مشكل الآثار (١ : ١٥٦) وكشف الأستار (٤ : ٢٠١) ومسند أبي يعلى (٩ : ٢٤١ ـ ٢٤٢) والمعجم الكبير (١٠ : ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، ٢٢٧) والمعجم الأوسط (١ : ١٧٢) والمعجم الصغير (١ : ٦٧ ـ ٦٨) ومجمع البحرين (٨ : ١٦٧ ـ ١٦٨) وصفة الجنة (٢ : ٧٦ ـ ٧٧ ، رقم ٢٣٩) والمستدرك (١ : ٨٢) ومجمع الزوائد (١٠ : ٤٠٣) وانظر تهذيب الكمال ، وتهذيب التهذيب ، لترجمة الحارث بن حصيرة .

لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم : أنه سيرضي نبيَّه وصفيَّه وحبيبَه سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، وأنه تعالى لا يسوؤه فيها ، وهذا غايةُ الإكرام والتبجيل ، من المولى سبحانه وتعالى الكريم لنبيِّه وصفيِّه الحبيب صلى الله عليه وآله وسلَّم .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[1].

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾ الآية[2]. وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3]. فرفع يديه وقال : « اللهم أمتي أمتي » وبكى . فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فَسَلْهُ : ما يُبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فسأله ، فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بما قال : ـ وهو أعلم ـ فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ، فقل : إنا سنُرْضيكَ في أُمَّتِك ولا نسوؤك ». رواه مسلم[4].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « عُرِضت عليَّ الأنبياءُ الليلةَ بأممها ، فجعل النبيُّ يمرُّ

---

(١) سورة الضحى (٥).

(٢) سورة إبراهيم (٣٦).

(٣) سورة المائدة (١١٨).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم لأمته ، رقم (٣٤٦).

ومعه الثلاثة ، والنبيُّ ومعه العصابةُ ، والنبيُّ ومعه النفر ،... ». الحديث ، وفيه : « ثم قيل لي : انظر عن يسارك ، فنظرتُ ، فإذا الأفقُ قد سُدَّ بوجوه الرجال ، فقيل : لي أرضيتَ ؟ فقلت : رضيتُ يا رب ، رضيتُ يا رب ،... ». الحديث ، رواه أحمد وعبد الرزاق والطبراني والبزار وأبو يعلى ، وابن حبان والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، وصححه ابنُ كثير وابنُ القيم والحافظ ابن حجر ، ورجال أحمد وأبي يعلى والبزار رجالُ الصحيح[1] أيضاً .

وعن حذيفةَ بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : غاب عنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوماً ، فلم يخرج حتى ظننّا أنه لن يخرج ، فلما خرج سجد سجدةً ، فظننّا أن نَفْسَه قد قُبضت منها ، فلما رفع رأسَه قال : « إن ربي تبارك وتعالى استشارني في أمتي ، ماذا أفعلُ بهم ، فقلت : ما شئتَ أي ربِّ ، هم خلقُك وعبادُك ، فاستشارني الثانيةَ ، فقلت له كذلك ، فقال : لا أحزنك ـ وفي مجمع الزوائد : لا نخزيك ـ في أمتك يا محمد .

وبشَّرني أن أولَ من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً ، ليس عليهم حساب .

ثم أرسل إليَّ فقال : ادع تُجَبْ ، وسَلْ تُعْطَ ، فقلتُ لرسوله : أوَ مُعْطي ربي سؤْلي ؟ فقال : ما أرسلني إليكَ إلا ليعطيك . ولقد أعطاني ربي عز وجل

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠ : ٤٠٨ ـ ٤٠٩) ومسند أحمد (١ : ٤٠١ ـ ٤٠٢) والمعجم الكبير (١٠ : ٥ ـ ٨) ومسند أبي يعلى (٩ : ٢٣١ ـ ٢٣٣) والبحر الزخار (٤ : ٢٧٠ ـ ٢٧٢) وكشف الأستار (٤ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ١١٥ ـ ١١٦) (٩ : ٢٢٠) والمستدرك (٤ : ٥٧٧ ـ ٥٧٨) وتفسير ابن كثير (١ : ٣٩٢ ـ ٣٩٣) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٠٤ ـ ٣٠٥) (١٠ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦) وفتح الباري (١١ : ٤٠٧) وحادي الأرواح (٨٩ ـ ٩٠).

ولا فخر ، وغَفر لي ما تقدَّم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حياً صحيحاً ، وأعطاني أن لا تجوعَ أُمتي ، ولا تُغلب ، وأعطاني الكوثر ـ وهو نهرٌ من الجنة ، يسيل في حوضي ـ وأعطاني العِزَّ والنصرَ ، والرعبَ يسعى بين يَدَي أُمتي شهراً . وأعطاني أني أَوَّلُ الأنبياء أدخل الجنةَ ، وطيَّب لي ولأمتي الغنيمةَ ، وأحلَّ لنا كثيراً مما شدَّدَ على مَنْ قبلنا ، ولم يجعل علينا من حرج ». رواه أحمد بسند حسن[1]. وحسنه ابن كثير أيضاً .

ورواه الطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين[2] من حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ، بلفظ : « قال : إني لا أحزنك في أمتك ... » لكنه منقطع ، وهو من رواية بَقِيَّة ، وقد رواه بالعنعنة ، وشاهده ما تقدم ، والله تعالى أعلم .

فهذه الأمة : منها من يدخل الجنةَ بغير حساب ولا عذاب ، ومنها من يدخل الجنة بعد الحساب اليسير ، والباقي يدخلونها بالشفاعة ، حتى يكون جميعُهم إلى الجنة بإذن الله تعالى ، والله تعالى أعلم ، كما سيأتي برقم (٩٤) ، والحمد لله على نعمائه .

٩٣ ـ زيادة الثواب مع قلة العمل :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ دون غيرها من الأمم ، وأفردها عنهم ، وأكرمها ـ إكراماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم ـ : أنه سبحانه وتعالى يُعطيها من الثواب

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٣٩٣) ومجمع الزوائد (١٠ : ٦٨ـ٦٩) والنهاية (٢ : ١٥) وكنز العمال (١١ : ٤٤٨).

(٢) المعجم الكبير (٢٠ : ١٠٢) ومسند الشاميين (٢: ١٢٢ـ١٢٣) ومجمع الزوائد (٢: ٢٨٨).

أكثرَ مما يُعطي غيرَها من الأمم السابقة ، مع أنّ عملَها أقلُّ من أعمال تلك الأمم ، وأعمارَها أقصرُ من أعمار الأمم السابقة ، وبقاءَها في هذه الدنيا أقلُّ من بقاء من سبقها ؛ إنما هو من العصر إلى المغرب بالنسبة لنهار العالم ، ولكن الفضل بيد الله تعالى يعطيه من يشاء ، والله تعالى أعلم .

فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إنما أَجَلُكم - في أجلِ مَن خلا من الأمم - ما بين صلاةِ العصر إلى مغرب الشمس .

وإنما مَثَلُكم ومثلُ اليهود والنصارى : كرجل استعمل عُمّالاً ، فقال : مَن يعملُ لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهودُ إلى نصف النهار على قيراط قيراط . ثم قال : من يعملُ لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر ، على قيراط قيراط ، ثم قال : مَن يعملُ لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين . ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين . ألا لكم الأجرُ مرتين .

فغضبت اليهودُ والنصارى ، فقالوا : نحن أكثرُ عملاً وأقلُّ عطاءً ! قال الله : هل ظلمتُكم من حقِّكم شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : فإنه فضلي أُعطيه من شئت ». رواه البخاري[1] .

وفي رواية له[2] عنه رضي الله تعالى عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله صلى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

(٢) صحيح البخاري : كتاب مواقيت الصلاة : باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ، والحديث رواه في كتب : الإجارة ، وفضائل القرآن ، والتوحيد .

الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إنما بقاؤكم فيما سَلف قبلَكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس . أُوتي أهلُ التوراةِ التوراةَ ، فعملوا بها ، حتى إذا انتصف النهار عجزوا ، فأُعطوا قيراطاً قيراطاً . ثم أُوتي أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ ، فعملوا إلى صلاة العصر ، ثم عجزوا ، فأُعطوا قيراطاً قيراطاً . ثم أوتينا القرآنَ ، فعملنا إلى غروب الشمس ، فأُعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهلُ الكتابَيْن : أي ربَّنا أعطيتَ هؤلاء قيراطين قيراطين ، وأعطيتَنا قيراطاً قيراطاً ، ونحن كنا أكثرَ عَمَلاً ؟ قال : قال الله عز وجل : هل ظلمتُكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا . قال : فهو فضلي أُوتيه من أشاء ».

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « مَثَلُ المسلمين واليهود والنصارى ، كمَثلِ رجلٍ استأجر قوماً ؛ يعملون له عملاً ، يوماً إلى الليل ، على أجرٍ معلومٍ ، فعملوا له نصفَ النهار ، فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطتَ لنا ، وما عملنا باطل ، فقال لهم : لا تفعلوا ، أكمِلوا بقيةَ عملكم ، وخذوا أجرَكم كاملاً ، فأبَوا وتركوا .

واستأجر آخَرين بعدهم ، فقال : أكملوا بقيةَ يومكم هذا ، ولكم الذي شرطتُ لهم من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاةِ العصر ، قالوا : لك ما عملنا باطلٌ ، ولك الأجرُ الذي جعلتَ لنا فيه . فقال لهم : أكمِلوا بقيةَ عملكم ، فإنَّ ما بقي من النهار شيءٌ يسير . فأَبَوْا .

فاستأجر قوماً أن يعملوا بقيةَ يومهم ، فعملوا بقيةَ يومهم حتى غابت الشمسُ ، واستكملوا أَجْرَ الفريقين كليهما ، فذلك مَثَلُهم ومَثَلُ ما قَبِلُوا من

هذا النور ». رواه البخاري[1].

وفي رواية الإسماعيلي[2] : « فذلك مثلُ المسلمين الذين قبلوا هدى الله وما جاء به رسولُه ، ومثلُ اليهود والنصارى ، تركوا ما أمرهم اللهُ ».

فالطائفة الأولى : هم اليهود . والثانية : هم النصارى . والثالثة التي لها الأجرُ مرتين : هم المسلمون . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله تعالى أعلم .

٩٤ ـ كلها تدخل الجنة :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ المرحومة وأكرمها ، وفضَّلها على سائر الأمم ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتمييزاً لها على غيرها من الأمم : أنها تدخل الجنةَ كلُّها ، وذلك أن منهم من يدخل الجنةَ بلا حساب ولا عقابٍ ، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخلها ، والقسم الآخر يدخلون الجنة بالشفاعة ، وبرحمة الله سبحانه وتعالى ، بعد أن يَحطَّ عنهم ما عليهم من الذنوب والخطايا ، ويجعلها على اليهود والنصارى ، ويدفع لكل واحدٍ من هؤلاء المسلمين المستحقِّين العقوبة واحداً من اليهود والنصارى ؛ فكاكاً له من النار .

بينما الأمم الأخرى فهم ـ قبل بعثة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ قسمان : قسم منها في الجنة ، وقسم منها في النار ، وأما بعد بعثته صلى الله عليه وآله وسلم فكلهم في النار ـ إلّا من آمن به واتَّبعه صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهم خالفوا العهدَ المأخوذَ عليهم من قِبل أنبيائهم عليهم السلام . وذلك كله فضلٌ من الله عز وجل ورحمة .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإجارة : باب الإجارة من العصر إلى الليل .

(٢) فتح الباري (٤ : ٤٤٩).

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كلُّ أمتي يدخلون الجنةَ إلا من أبى » قالوا : يا رسول الله ؛ ومن يأبى؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى ». رواه البخاري[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كلُّكم يدخلون الجنةَ ، إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير ». رواه الحاكم وصححه على شرطهما[2] وصححه الحافظ أيضاً .

وقد بيَّن صلى الله عليه وآله وسلم من هو الذي يأبى أن يدخلَ الجنةَ .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « والذي نفسي بيده لتدخلن الجنةَ كلُّكم ، إلا من أبى وشرد على الله كشرود البعير » قالوا : يا رسول الله ؛ ومن يأبى أن يدخلَ الجنةَ ؟ فقال : « من أطاعني دخل الجنةَ ، ومن عصاني فقد أبى ». رواه ابن حبان ـ واللفظ له ـ والطبراني برجال الصحيح[3].

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ـ وقد سأله خالدُ بنُ يزيد بنِ معاويةَ عن أَلين كلمةٍ سمعها من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال ـ : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « ألا كلُّكم يدخل الجنةَ ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

(٢) المستدرك (١ : ٥٥) (٤ : ٢٤٧) وفتح الباري (١٣ : ٢٥٤) ومجمع الزوائد (١٠ : ٤٠٣).

(٣) صحيح ابن حبان (١ : ١١١) وموارد الظمآن ، رقم (٢٣٠٦) والمعجم الأوسط (١ : ٤٤٩ ـ ٤٥٠) ومجمع البحرين (١ : ١٧١) ومجمع الزوائد (١٠ : ٧٠) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

إلا من شرد على الله شرادَ البعير على أهله ». رواه أحمد ـ واللفظ له ـ والحاكم والطبراني[1].

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : « لا يبقى أحدٌ من هذه الأمة إلا دخل الجنةَ ، إلا من شرد على الله عز وجل كشراد البعير السُّوء على أهله ، فمن لم يصدقْني فإن الله تعالى يقول : ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ كذَّب بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم وتولى عنه ». رواه الطبراني في الكبير[2].

وهذه الأمة تحشر على ثلاث زمر ؛ الأولى تدخل الجنة من غير حساب ، والثانية تحاسب حساباً يسيراً ، ثم تدخل الجنة ، والثالثة تدخل النار ، ثم يضع الله تعالى عنهم ذنوبَهم ، ويضعها على اليهود والنصارى .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « تُحشر هذه الأمةُ على ثلاثة أصناف : صنف يدخلون الجنةَ بغير حسابٍ ، وصنف يحاسَبون حساباً يسيراً ، ثم يدخلون الجنة ، وصنف يجيئون على ظهورهم أمثالُ الجبال الراسيات ذنوباً ، فيسألُ اللهُ عنهم ـ وهو أعلمُ بهم ـ فيقول : ما هؤلاء ؟ فيقولون : هؤلاء عبيدٌ من عبادك ،

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٥٨) والمستدرك (١ : ٥٥ ـ ٥٦) (٤ : ٢٤٧) وعزاه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ : ٧٠ ـ ٧١ ، ٤٠٣) لأحمد ، وقال : رجاله رجال الصحيح ، غير علي بن خالد ـ وهو ثقة . وعزاه (١٠ : ٧١) للطبراني في الأوسط ، وحسنه (١٠ : ٤٠٣) ومجمع البحرين (١ : ١٧٠) وجوَّد الحافظُ سندَه في الفتح (١٣ : ٢٥٤) وصححه السيوطي في الجامع الصغير أيضاً (٢ : ٢٨٩).

(٢) المعجم الكبير (٨ : ٢٠٦) ومجمع الزوائد (١٠ : ٧١) وحسنه . وَ (١٠ : ٤٠٣).

فيقول : حطُّوها عنهم ، واجعلوها على اليهود والنصارى ، وأدخلوهم برحمتي الجنَّةَ ». رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي[١]. وعزاه في كنز العمال للطبراني في الكبير ، ومسند أبي موسى رضي الله تعالى عنه مفقود .

وأما وضع ما عليهم من الذنوب والخطايا على اليهود والنصارى :

ففي رواية لمسلم[٢] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يجيء يوم القيامة ناسٌ من المسلمين بذنوبٍ أمثالِ الجبال ، فيغفرُها اللهُ لهم ، ويضعها على اليهود والنصارى ،... ».

وفي رواية ثانية عنه[٣] رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا يموت رجلٌ مسلمٌ إلا أدخل اللهُ مكانَه النارَ يهوديّاً أو نصرانيّاً ».

وفي رواية ثالثة له عنه[٤] رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إذا كان يومُ القيامة دفع اللهُ عز وجل إلى كل مسلمٍ يهوديّاً أو نصرانيّاً فيقول : هذا فكاكُك من النار ».

فهذه هي عقوبةُ الذين لم يؤمنوا بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، مع علمهم به ، ومعرفتهم به صلى الله عليه وآله وسلَّم المعرفةَ التامَّةَ ، وقد أُخذ عليهم العهد بذلك ، لهذا استحقوا العذابَ الشديد ، والخلودَ في النار ، والله تعالى أعلم .

---

(١) المستدرك (١ : ٥٨) (٤ : ٢٥٣ ، ٦٠٧).

(٢) صحيح مسلم : كتاب التوبة : باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، رقم (٥١).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٠).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٩).

وعلى هذا فيكون الموصوفُ بالإباء « إلّا من أبى » ـ وهو الامتناع ـ إن كان كافراً ـ وهو ما يفهم من حديث أبي أمامة ـ فهو لا يدخل الجنةَ أصلا . وأما إن كان مسلماً ، فالمراد : منعُه من دخولها مع أول داخل من هذه الأمة ، إلّا من شاء الله تعالى[1]، والله تعالى أعلم .

٩٥ ـ كثرة الشفاعات في أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما أكرم اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ ، وخصّها به ، وميَّزها عن غيرها ـ إكراماً لنبيِّه وصفيِّه وحبيبه سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ : أن جعل بعضَهم يشفعُ في الأعداد الكثيرة من الناس ، سوى ما يقوم به النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من شفاعات في هذه الأمة

فعن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله تعالى عنه ـ في حديث الرؤية والعرض والحساب ـ وفي آخره : يقول صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ثم يُضرب الجسرُ على جهنم ، وتحل الشفاعةُ ، ويقولون : اللهم سلِّم سلِّم » قيل : يا رسول الله ؛ وما الجسرُ؟ قال : « دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ؛ فيه خطاطيف وكلاليب ، وحَسَك ـ تكون بنجدٍ فيها شُويكة ، يقال له : السعدان ـ فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناجٍ مُسَلَّم ، ومخدوشٌ مرسَل ، ومكدوسٌ في نار جنهم .

حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدَّ مناشدةً لله ، في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ، ويُصَلُّون ، ويَحُجُّون .

فيقال لهم : أَخْرِجوا من عرفتم ، فتُحَرَّمُ صُورُهم على النار ، فيُخرِجون

---

(١) انظر : فتح الباري (١٣ : ٢٥٤).

خلقاً كثيراً ، قد أخذت النارُ إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتَيْه ، ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتَنا به .

فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينار من خير (وعند البخاري : إيمان) فأَخْرِجوه ، فيُخرِجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نَذَر فيها أحداً ممن أمرتَنا .

ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينار من خيرٍ فأَخرِجوه . فيُخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نَذَر فيها ممن أمرتَنا أحداً .

ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خير (وعند البخاري : إيمان) فأَخْرِجوه ، فيُخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نَذَر فيها خيراً ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعن عبد الله بن شقيق قال : كنتُ مع رهطٍ بإيلياء[2] فقال رجل منهم : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « يدخل الجنةَ بشفاعة رجلٍ من أمتي أكثرُ من بني تميم » قيل : يا رسول الله ؛ سواك ؟ قال : « سواي » فلما قام ، قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا ابنُ أبي الجدعاء . رواه أحمد والترمذي ـ واللفظ له ـ وابن ماجه والدارمي وأبو يعلى ، وصحّحه الترمذي وابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، رقم (٣٠٢).

(٢) أي بيت المقدس .

(٣) مسند أحمد (٣ : ٤٦٩ ـ ٤٧٠) وَ (٥ : ٣٦٦) وسنن الدارمي (٢ : ٣٢٨ رقم ٢٨١١) =

وعن الحارث بن أُقَيْشٍ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الرجل منْ أُمتي مَنْ يدخلُ الجنةَ بشفاعته أكثرُ من مضر ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه وأبو يعلى والطبراني وابن المبارك وعبد بن حميد وهنَّاد بن السري ، والحاكم وصححه على شرط مسلم ، وصححه الحافظ أيضاً ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات[1]. وشاهده ما قبله وما بعده .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن الرجل من أمتي ليشفع للفئام[2] من الناس ، فيدخلون الجنةَ بشفاعته . وإن الرجلَ ليشفع للقبيلة من الناس ، فيدخلون الجنةَ بشفاعته . وإن الرجل ليشفع للرجل وأهلِ بيته ، فيدخلون الجنةَ

= وسنن الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب (١٢) يدخل من هذه الأمة سبعون ألفاً دون حساب ، رقم (٢٤٣٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب ذكر الشفاعة ، رقم (٤٣١٦) والمستدرك (١ : ٧٠ ، ٧٠ ـ ٧١) (٣ : ٤٠٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٣٣ ـ ٢٣٤) وموارد الظمآن ، رقم (٢٥٩٨) ومسند أبي يعلى (١٢ : ٢٨٠) والتاريخ الكبير (٥ : ٢٦) وكتاب التوحيد (٣١٣) ودلائل النبوة (٦ : ٣٧٨).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٦٣) (١٣ : ١٦٢ ـ ١٦٣) ومسند ابن المبارك (٦٦ ـ ٦٧) والطبقات الكبرى (٧ : ٦٧ ولم يذكر السند) ومسند أحمد (٤ : ٢١٢) (٥ : ٣١٢ ـ ٣١٣) والتاريخ الكبير (٢ : ٢٦١) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب صفة النار ، رقم (٤٣٢٣) وكتاب الزهد لهناد (١ : ١٤١) ومسند عبد بن حميد (١٦٤) والآحاد والمثاني (٢ : ٢٩٤) ومعجم الصحابة (١ : ١٨٤) وكتاب التوحيد (٣١٣ ـ ٣١٤) والمعجم الكبير (٣ : ٣٠١ ـ ٣٠٢) ومسند أبي يعلى (٣ : ١٥٣ ـ ١٥٤) والمستدرك (١ : ٧١) (٤ : ٥٩٣) والإصابة (١ : ٥٦٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٨).

(٢) قوله : « الفئام » أي الجماعة الكثيرة (النهاية : ٣ : ٤٠٦).

بشفاعته ». رواه أحمد ـ واللفظ له ـ والترمذي وحسنه ، وابن أبي شيبة وأبو يعلى ـ مختصراً[1].

وفي رواية الترمذي زيادة : « ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة ».

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « ليدخلن الجنَّةَ بشفاعة رجل ، ليس بنبيٍّ مثلُ الحيَّين ربيعةَ ومضر ». فقال رجل : يا رسول الله ؛ أوَمَا ربيعةُ من مضر؟ قال : « إنما أقول ما أقول ». رواه أحمد والطبراني برجال الصحيح[2].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، والله تعالى أعلم .

٩٦ ـ تمني الكفار لو كانوا مسلمين :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها : أنه إذا رأى الكفارُ ما يُكرِم اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ تَمَنَّوْا أن لو كانوا منها ، فينالوا ما نالته من فضل وتكريم وإحسان .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ * رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾[3].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٠ ، ٦٣) وسنن الترمذي : كتاب صفة القيامة ، رقم (٢٤٤٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٦٣ ـ ٤٦٤) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٩٢).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٧) والمعجم الكبير (٨ : ١٦٩ ، ٢٨٠ ، ٣٣٠) وانظر مجمع الزوائد (١٠ : ٣٨١ ، ٣٨١ ـ ٣٨٢).

(٣) سورة الحجر (١ ـ ٢).

وذلك حين يدخل أهلُ الخطايا من المسلمين ـ مع المشركين ـ في النار ، فذلك حين يقول : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن ناساً من أمتي يعذَّبون بذنوبهم ، فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يعيِّرُهم أهلُ الشرك ، فيقولون لهم : ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نَفَعكم ، لما يريد الله أن يُريَ أهلَ الشرك من الحسرة ؛ فلا يبقى موحِّدٌ إلا أخرجه الله ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هذه الآية : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾. رواه النسائي والطبراني في الأوسط برجال الصحيح ، سوى بسام بن عبد الله الصيرفي ، وهو ثقة . وابنُ مردويه بسند صحيح كما قال الحافظ السيوطي أيضاً[2].

وعن صالح بن أبي طريف رحمه الله تعالى قال : قلت لأبي سعيدٍ الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ : أسمعتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول في هذه الآية ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾؟ فقال : نعم . سمعته يقول : « يُخرج الله أناساً من المؤمنين من النار ، بعدما يأخذ اللهُ نقمتَه منهم ، قال : لـمّا أدخلهم اللهُ النارَ مع المشركين ؛ قال المشركون : أليس كنتم تزعمون في الدنيا أنكم أولياء ، فما لكم معنا في النار ؟ فإذا سمع اللهُ تعالى ذلك منهم ، أذن في الشفاعة ، فيتشفع لهم الملائكةُ والنَّبيّون ، حتى

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٢ : ٥٤٥) فقد ذكر الأحاديث في تفسير هذه الآية .

(٢) تفسير النسائي (١ : ٦٢٦ ـ ٦٢٨) ومجمع البحرين (٨ : ١٢١) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٩) والدر المنثور (٥ : ٦٢).

يُخرَجوا بإذن الله ، فلما أُخْرِجوا ، قالوا : يا ليتنا كنا مثلَهم ، فتدركنا الشفاعةُ ، فنُخرَج من النار ، فذلك قول الله جل وعلا : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾... ». الحديث ، رواه ابن حبان وصححه ، وعزاه السيوطي في الدُّرِّ لإسحاق بن راهويه والطبراني وابن مردويه[١].

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه ـ في حديث الشفاعة الطويل ـ وفيه : « ...وفرغ اللهُ من حساب الناس ، وأدخل مَنْ بقي من أمتي النارَ مع أهل النارِ ، فيقولُ أهلُ النار : ما أغنى عنكم ، أنكم كنتم تعبدون اللهَ عز وجل ، لا تشركون به شيئاً ؟ فيقول الجبار عز وجل : فبعزتي لأعتقنَّهم من النار ، فيرسل إليهم فيُخرَجون ،... ». الحديث ، رواه أحمد والدارمي وسعيد ابن منصور وابن خزيمة والبيهقي ، برجال الصحيح ، وقد مر أوله عند رقم (٥٥) ، وأصله في الصحيحين ، وقد مر أولُه عند رقم (٤٩).

زاد في رواية ابن أبي عاصم[٢]: « إذا أخرج اللهُ أهلَ النار من النار بشهادة أن لا إله إلا الله : تمنى الآخرون لو كانوا مسلمين ».

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إذا اجتمع أهلُ النار في النار ، ومعهم من أهل القِبلة

(١) صحيح ابن حبان (٩ : ٢٦١ ـ ٢٦٢) وتفسير ابن كثير (٢ : ٤٥٦) وعزاه للطبراني ، والدر المنثور (٥ : ٦٣).

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٤٤) وفيه خطأ مطبعي في السند . وسنن الدارمي (١ : ٣١) والسنن الكبرى (٤ : ٤٠١) وشعب الإيمان (٢ : ١٨١) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٤٧٩ ـ ٤٨٠) والإيمان لابن مندة (٣ : ٨٢٥ ـ ٨٢٦) وكتاب التوحيد (٢ : ٧١٠ ـ ٧١٢ من طريقين) والمختارة (٦ : ٣٢٣ ـ ٣٢٥) وعزاه في الكنز (١١ : ٤٣٣) للخرائطي و(١١ : ٤٠٤ ـ ٤٠٥) لسعيد بن منصور ، وانظر مسند أبي يعلى (٧ : ٦٨ ، ٢٨١) ومسند الحميدي (٢ : ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

مَن شاء الله ، قالوا : ما أغنى عنكم إسلامُكم ، وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا : كانت لنا ذنوبٌ ؛ فأُخِذْنا بها . فسمع الله ما قالوا ، قال : فأمر بمن كان في النار من أهل القِبلة فأُخرجوا . فيقول الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين ، فنخرج كما أُخرجوا ، قال : وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ * رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾. مثقلة ، رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وابن أبي عاصم والطبري والطبراني وابن مردويه والبيهقي ، قلت : لكن في إسناده خالد بن نافع ، وفيه ضعف ، لكن يشهد للحديث ما سبق فهو بها صحيح[1] ، والله تعالى أعلم .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : ما يزال الله يشفع ، ويُدخل الجنة ، ويرحم ويشفع ، حتى يقول : من كان من المسلمين فليدخل الجنة ، فذاك حين يقول : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾. رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ، ورواه هناد بن السري ، والآجري ، والبيهقي في البعث ، والطبري . وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور وابن المنذر أيضاً[2].

وهناك نصوص كثيرة ، والله تعالى أعلم .

٩٧ ـ هم الآخِرون السابقون :

ومما خُصَّت به هذه الأمة ، وتميَّزت به عن غيرها ـ تكريماً لنبيِّها الكريم

---

(١) المستدرك (٢ : ٢٤٢) والسنة (٢ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦) وتفسير الطبري (١٧ : ٦١) والبعث والنشور (٩١ رقم ٧٩) ومجمع الزوائد (٧ : ٤٥) والدر المنثور (٥ : ٦٢) وكنز العمال (١٤ : ٥٤١).

(٢) المستدرك (٢ : ٣٥٣) والزهد لهناد (١ : ١٤٣) وتفسير الطبري (١٧ : ٦٢ ـ ٦٣) والشريعة (٣٣٧) والبعث والنشور (٨٩) والدر المنثور (٥ : ٦٢).

صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأمم : أنها آخِرُ الأمم في الوجود ، وهي أولُ الأمم في البعث ، والحسابِ ، ودخول الجنة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « نحن الآخِرون ، السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا ، وأُوتيناه من بعدهم ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم[2] عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نحن الآخِرون ، الأوَّلون يوم القيامة ، ونحن أولُ من يدخلُ الجنة ، بيد أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ،... ».

وعن أبي هريرةَ وحذيفةَ رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...نحن الآخِرون من أهل الدنيا ، والأوَّلون يومَ القيامة ، المقضيُّ لهم - وفي رواية : المقضيُّ بينهم - قبل الخلائق ». رواه مسلم[3].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « نحن آخِرُ الأمم ، وأولُ من يُحاسب ، يقال : أين الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ ونبيُّها ؟ فنحن الآخِرون ، الأولون ». رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، ورواه أحمد والطيالسي وأبو يعلى والبيهقي ضمن حديث طويل[4].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجمعة : باب فرض الجمعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، رقم (١٩ ، ٢١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، رقم (٢٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، رقم (٢٢).

(٤) مسند الطيالسي (٣٥٣ - ٣٥٤ رقم ٢٧١١) ومسند أحمد (١ : ٢٨٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٤٢٩٠). ومسند أبي يعلى (٤ : ٢١٣ - ٢١٦) ودلائل النبوة (٥ : ٤٨١ - ٤٨٣) ومصباح الزجاجة (٤ : ٢٥٦) وفتح =

فهم الآخِرون زماناً ، الأوَّلون منزلةً ، بأنهم أولُ من يُحشر ، وأولُ من يقف تحت العرش ، وأول من يُحاسب ، وأولُ من يُقضى بينهم ، وأولُ من يدخلُ الجنَّة ، وكل ذلك دالٌّ على تكريمهم ، وتفضيلهم ، ومنحهم من المولى الكريم سبحانه وتعالى ، إكراماً لنبيِّه وصفيِّه الكريم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

٩٨ ـ دخول العدد الكثير منها الجنة بغير حساب :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى هذه الأمة ، وميّزها عن غيرها ، وفضّلها على غيرها ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ : أنه سيُدخل منها أعداداً كثيرةً الجنةَ ، من غير حساب ولا عذاب ، وتكون وجوههُم كالشمس أو القمرِ ليلةَ البدر[١].

فعن أبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يدخل من أمتي الجنةَ سبعون ألفاً بغير حساب... ». متفق عليه[٢].

وفي لفظ لهما[٣] : « تُضيء وجوهُهم إضاءَةَ القمر ليلةَ البدر ».

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبيِّ صلى الله عليه

= الباري (١١ : ٤٥٢).

(١) حديث دخول سبعين ألفاً الجنة ومضاعفاته : متواتر ، فقد ذكره ابن كثير في النهاية (٢ : ١٠١ ـ ١١٠) من طريق عشرين صحابياً ، وانظر : الأزهار (٤٢) وقطف الأزهار (٣٠١ ـ ٣٠٢) ولقط اللآلئ (٢٠٠ ـ ٢٠١) ونظم المتناثر (١٥٥ رقم ٣٠٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، رقم (٣٦٧ ـ ٣٧٠).

(٣) انظر العزو السابق ، حيث روياه في الكتابين والبابين السابقين .

وآله وسلَّم قال : « عُرضت عليَّ الأممُ ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهَيْط ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان ، والنبيَّ ليس معه أحد ، إذ رُفع لي سوادٌ عظيمٌ ، فظننتُ أنهم أُمتي ، فقيل لي : هذا موسى صلى الله عليه وسلَّم وقومُه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ ، فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سوادٌ عظيمٌ ، فقيل لي : هذه أمَّتُك ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنةَ بغير حساب ولا عذاب... ». الحديث ، متفق عليه[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : نجيء نحن يوم القيامة ... الحديث ، وفيه : « ثم ينجو المؤمنون ، فتنجو أولُ زمرةٍ وجوهُهم كالقمر ليلة البدر ، سبعون ألفاً لا يُحاسَبون ، ثم الذين يلونهم كأضوء نجمٍ في السماء ، ثم كذلك ، ثم تحل الشفاعة ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[2] وهو موقوفٌ صورةً ، مرفوعٌ حكماً ، لأن مثلَ هذا الحديث ليس للعقل فيه مسرح ، ولا للاجتهاد فيه مجال ، ولا يؤخذ إلّا بالتوقيف ، والله تعالى أعلم .

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يدخل الجنةَ من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب » قالوا : من هم يا رسول الله؟ قال : « هم الذين لا يَسْتَرقُون ، ولا يَتَطيَّرون ، ولا يَكْتَوون ، وعلى ربهم يتوكَّلون ». رواه مسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٧٤) وهو حديث عرض الأنبياء على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣١٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، رقم (٣٧١ ـ ٣٧٢).

وعن رِفاعة بن عَرابَةَ الجهنيِّ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...والذي نفس محمدٍ بيده ، ما منكم من أحدٍ يؤمن بالله ثم يسدِّدُ إلا سُلِك به في الجنة ، ولقد وَعدني ربي أن يُدخل من أمتي الجنةَ سبعين ألفاً ؛ لا حساب عليهم ولا عذاب ، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤوا أنتم ومن صَلَحَ من أزواجكم وذراريكم مساكنَ في الجنة ،... ». رواه أحمد والطيالسي وابن ماجه والطبراني في الكبير والبزار برجال الصحيح ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والضياء المقدسي[1].

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ليدخلَّن الجنةَ من أمتي سبعون ألفاً ـ أو سبعُمائة ألفٍ ـ متماسكون ، آخذٌ بعضُهم بعضاً ، لا يدخلُ أوَّلُهُم حتى يدخل آخِرُهم ، وجوهُهم على صورة القمر ليلة البدر ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وأما ما زاد على السبعين ألفاً ، فيوضِّحه ما يلي :

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٦) ومسند الطيالسي (١٨٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٨٣ مختصراً) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب بيان صفة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٤٢٨٥) وكتاب التوحيد (١٣٢ ـ ١٣٣ والطبعة الجديدة ١ : ٣١٢ ـ ٣١٤) والمعجم الكبير (٥ : ٤٣ ـ ٤٦) بأرقام (٤٥٥٦ ـ ٤٥٥٩) وحلية الأولياء (٦ : ٢٨٦) وصحيح ابن حبان (١ : ٢١٧) وكشف الأستار (٤ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧) ومجمع الزوائد (١ : ٢٠ ـ ٢١) (١٠ : ٤٠٨) وقال : ورجال بعضها عند الطبراني والبزار رجال الصحيح ، وَ (١ : ٢٠ ـ ٢١) وفتح الباري (١١ : ٤٠٩) والنهاية لابن كثير (٢ : ١٠٨) وذكر الدارميُّ (١ : ٢٨٦ ـ ٢٨٧) والنسائيُّ في عمل اليوم والليلة (٣٣٧ ـ ٣٣٨) سندَه وآخرَ الحديث ، وكنز العمال (١٠ : ٤٧٧ ـ ٤٧٨).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٧٣).

لقد مر حديثُ حذيفةَ بن اليمان رضي الله تعالى عنهما ، عند رقم (٩٢) وفيه قولُه صلى الله عليه وآله وسلم : « وبشَّرني أن أولَ من يدخلُ الجنةَ من أمَّتي سبعون ألفاً ، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً ، ليس عليهم حساب ،... ». رواه أحمد بإسناد حسن ، وحسَّنه ابنُ كثير .

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « وعدني ربي أن يُدخل الجنةَ من أمتي سبعين ألفاً ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً ، وثلاثُ حثياتٍ من حثياته ». رواه أحمد وابن أبي عاصم وابن أبي شيبة ، والترمذي وحسنه ـ واللفظ له ـ وابن ماجه والطبراني وابن حبان والبيهقي[1]. وقال الهيثمي : رجال أحمد وبعض رجال الطبراني رجال الصحيح .

قلت : وكذا رجال ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم وابن حبان .

ورواه الطبراني في الكبير والأوسط[2] ـ بنحوه ـ عن أبي سعد الأنصاري

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧١) ومسند أحمد (٥ : ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، ٢٦٨) والسنة (١ : ٢٦٠ ، ٢٦١) حيث روياه بإسنادين صحيحين ، والآحاد والمثاني (٢ رقم ١٢٤٧ ، ١٢٤٨) وسنن الترمذي : كتاب القيامة : باب منه ، رقم (٢٤٣٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم رقم (٤٣٨٦) والمعجم الكبير (٨ : ١٢٩ ـ ١٣٠ ، ١٨١ ـ ١٨٢ ، ١٨٧) ومسند الشاميين (٢ : ٧ ـ ٨ ، ٨٠ ـ ٨١) (٣ : ١٤٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ١٨٤) وموارد الظمآن (٦٥٦ ، رقم ٢٦٤٢) والأسماء والصفات (٣٢٩) والبعث والنشور (١١٨) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٦٢ ـ ٣٦٣) والنهاية لابن كثير (٢ : ١٠٦) حيث عزاه للضياء .

(٢) المعجم الكبير (٢٢ : ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، ٣٠٥) ومسند الشاميين ، برقم (٣ : ١٠٧ ـ ١٠٨) ومجمع البحرين (٨ : ١٦٩ ـ ١٧٠) والإصابة (٧ : ١٧٦ ـ ١٧٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٤٠٩ ـ ٤١٠).

رضي الله تعالى عنه ، ورجاله ثقات ، وصححه الحافظ رحمه الله تعالى في الإصابة .

وهناك روايات كثيرة في الزيادة على سبعين ألفاً ، والله تعالى أعلم .

فيكون الله عز وجل قد أعطاه في بادئ الأمر : سبعين ألفاً، ثم زاده تعالى بعد ذلك ، تفضُّلاً منه وتكرُّماً ، والله تعالى أعلم .

٩٩ ـ لها علامة تعرف بها ربها عز وجل :

ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمةَ ، وأفردها بالعطاء ، ومنحها وميّزها ـ تكريماً لنبيِّها الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيلاً لها على غيرها ـ : أن جعل لها علامةً تعرف بها ربَّها عز وجل يوم القيامة ، بعد أن تذهبَ كلُّ أمةٍ إلى مَن كانت تعبدُه في الحياة الدنيا .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[1] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن ناساً في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : يا رسول الله ؛ هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟... الحديث ، وفيه : ثم قال : « إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذِّنٌ ؛ ليتبع كلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحدٌ كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلّا يتساقطون في النار . حتى إذا لم يبق إلّا من كان يعبد اللهَ مِن بَرٍّ وفاجر ، وغُبَّرِ أهل الكتاب .

فيُدعى اليهود فيُقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عُزَيرَ ابنَ الله . فيقال : كذبتم ، ما اتَّخذ الله من صاحبة ولا ولد ،... فيُحشرون إلى النار ؛

---

(١) سورة القلم (٤٢).

كأنها سرابٌ يحطم بعضُها بعضاً ، فيتساقطون في النار .

ثم يُدعى النصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابنَ مريم . فيقال لهم : كذبتم ، ما اتَّخذ الله من صاحبة ولا ولد ،... فيُحشرون إلى النار ؛ كأنها سرابٌ يحطم بعضُها بعضاً ، فيتساقطون في النار .

حتى إذا لم يبق إلّا من كان يعبد الله تعالى من بَرٍّ وفاجر ، أتاهم ربُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورةٍ من التي رأوه فيها . قال : فما تنتظرون ؟ تتبع كلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبد . قالوا : يا ربَّنا ؛ فارقنا الناسَ في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم . [وإنما ننتظر ربَّنا ،...] فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم . فيُكشفُ عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلّا أَذِن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد لله اتقاء ورياء إلّا جعل الله ظهرَه طبقةً واحدة ،... ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم(1) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يجمع اللهُ الأوَّلين والآخِرين لميقات يومٍ معلوم ،... قال : فينادي منادٍ : أيها الناس ؛ ألم ترضَوْا من ربكم ؛ الذي خلقكم ورزقكم ، [وصوَّركم] وأمركم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، أن يولِّي كلَّ أناسٍ منكم ما كانوا يتولَّوْن ويعبدون في الدنيا ؟ أليس ذلك عدلاً من ربكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فينطلقُ كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون في الدنيا ، فمنهم من ينطلق إلى الشمس ، ومنهم من ينطلقُ إلى القمر ، وإلى الأوثان من الحجارة ، وأشباهِ ما كانوا يعبدون ، قال : ويتمثَّلُ لمن كان يعبد عيسى شيطانُ عيسى ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، رقم (٣٠٢).

ويتمثل لمن كان يعبد عُزَيْراً شيطانُ عُزَيْرٍ .

ويبقى محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلَّم وأمَّتُه ، قال : فيتمثَّلُ الربُّ عز وجل ، فيأتيهم ، فيقول : مالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس ؟ قال : فيقولون : إن لنا لإلهاً ما رأيناه بعد ، فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : إن بيننا وبينه علامة ، إذا رأيناها عرفناها ، قال : فيقول : ما هي؟ فيقولون : يُكشَف عن ساقٍ . قال : فعند ذلك يُكشف عن ساقٍ ، فيخرُّ كلُّ من كان بظهره طبق ،... ». الحديث ، رواه الطبراني برجال الصحيح ، والدارقطني في الرؤية ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وحسنه ابن القيم[1].

وروى أحمد وعبد بن حُميد والدارقطني وابن أبي عاصم وابن خزيمة والآجري نحوَه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، وفي إسنادهم علي بن زيد أخرج له البخاري في الأدب ، ومسلمٌ والأربعة ، وروى مسلم ـ بسند آخر وكذا الطيالسي وأحمد وأبو عوانة وابن حبان ـ آخرَ الحديث[2]، والله تعالى أعلم .

---

(١) المعجم الكبير (٩ : ٤١٦ ـ ٤٢١) ورؤية الله (١٣٤ ـ ١٤١) من طرق ، والبعث والنشور (٢٥٢ ـ ٢٥٤) والمستدرك (٢ : ٣٧٦ ـ ٣٧٧) (٤ : ٥٨٩ ـ ٥٩٠) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٤٠ ـ ٣٤٣) من طرق وقال : ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة ، والمطالب العالية (٤ : ٥٨٩ ـ ٥٩٢) والسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١٧٧ ـ ١٨١) وحادي الأرواح (٢١٢ ـ ٢١٥) وانظر الدر المنثور (٨ : ٢٥٧) حيث عزاه لإسحاق وعبد بن حميد .

(٢) مسند أحمد (٤ : ٤٠٢ ، ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ، ٤٠٩ ـ ٤١٠) ومسند عبد بن حُميد (١٩١) والسنة (١ : ٢٨٠) ورؤية الله (٦٤ ـ ٦٥ رقم٤٩) والشريعة (٢٦٢ ـ ٢٦٣) والتوحيد (١٥٣ ـ ١٥٤) وانظر : صحيح مسلم : كتاب التوبة : باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، رقم (٤٩ ـ ٥١) ومسند الطيالسي (٦٨ رقم ٤٩٩) وصحيح ابن حبان (٢ : ١٣) وإتحاف المهرة (١٠ : ٩٧).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن ناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : يا رسول الله ؛ هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هل تضارُّون في رؤيةِ القمر ليلةَ البدر؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « هل تضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فإنكم ترونه كذلك ، يجمعُ اللهُ الناسَ يوم القيامة ، فيقولُ : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيَتْبَعُ من كان يعبد الشمسَ الشمسَ ، ويتبَعُ من كان يعبد القمرَ القمرَ ، ويتبعُ من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها ، فيأتيهم اللهُ تبارك وتعالى ، في صورة غيرِ صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكانُنا حتى يأتيَنا ربُّنا ، فإذا جاء ربُّنا عرفناه ، فيأتيهم اللهُ تعالى في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربُّنا فيتبعونه ،... ». الحديث ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[١].

وأما رؤيةُ المؤمنين من هذه الأمة لربها سبحانه وتعالى يوم القيامة ؛ فإنه متواتر أيضاً ، حيث رواه ثمانية وعشرون صحابياً[٢]، والله تعالى أعلم .

١٠٠ ـ فيها سادات أهل الجنة :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى في هذه الأمة سيِّدَيْ شبابِ أهل الجنة ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الصراط جسر جنهم . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، رقم (٢٩٩).

(٢) انظر : نظم المتناثر (١٥٥رقم٣١٠) وإتحاف ذوي الفضائل (١٥٠) وتفسير ابن كثير ، وحادي الأرواح (٢٠٥ وما بعد) ورؤية الله عز وجل للإمام الدارقطني حيث خصصه لهذا الموضوع ، ذكر فيه (٣١٦) حديثاً وأثراً . وذكر فيه أحاديث الرؤيا من طريق (٢١) إحدى وعشرين صحابياً ، بروايات متعددة بلغت (٢٢٩) حديثاً . عدا روايات التابعين .

وسيِّدَيْ كهولِ أهل الجنة ، وسيدةَ نساءِ أهل الجنة ، وسيدَ الشهداء ،... وهذا كله تكريم من الله تعالى لهذه الأمة .

فعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « الحسنُ والحسينُ سيدا شباب أهل الجنة ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والترمذي والنسائي والفسوي والطحاوي والطبراني وأبو يعلى ، وصححه الترمذي والحاكم وابن حبان ، ورواه غيرهم[1]. وانظر ما بعده .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أما رأيت العارضَ الذي عَرَضَ لي ؟ » قلت : بلى ، قال : هو مَلَكٌ من الملائكة ، لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة ، استأذن رَبَّه أن يسلِّم عليَّ ، وبشَّرني أن الحسنَ والحسينَ سيدا شباب أهل الجنة ، وأن فاطمةَ سيدةُ نساء أهل الجنة ». رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن أبي شيبة والطبراني والخطيب ، وحسنه الترمذي ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، ورجال أغلبهم رجال الصحيح ثقات[2].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٩٦) ومسند أحمد (٣ : ٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٨٢) وفضائل الصحابة له (٢ : ٧٧١ ، ٧٧٤ ، ٧٧٩ ـ ٧٨٠) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام ، رقم (٣٧٦٨) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٥٠) وفضائل الصحابة له (٩١) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٦٤٤) وشرح مشكل الآثار (٢ : ٣٩٣) ومسند أبي يعلى (٢ : ٣٩٥) والمعجم الكبير (٣ : ٢٨ ـ ٢٩) من خمس طرق ، والمستدرك (٣ : ١٦٦ ـ ١٦٧) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٥) والموارد ، رقم (٢٢٢٨) وحلية الأولياء (٥ : ٧١) وتاريخ بغداد (٤ : ٢٠٧) (١١ : ٩٠) وإسناد عدد منهم ثقات رجال الصحيح ، انظر : مجمع الزوائد (٩ : ٢٠١).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٩١ ـ ٣٩٢) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب الحسن =

وعن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لأبي بكر وعمر : « هذان سيدا كُهولِ أهل الجنة من الأوَّلين والآخِرين ، إلا النَّبيِّين والمرسلين ». رواه الترمذي وحسنه ، وابن أبي عاصم وعبد الله في زوائد الفضائل ، والطحاوي والبغوي والضياء في المختارة[1].

= والحسين رضي الله تعالى عنهما ، رقم (٣٧٨١) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٩٥) وفضائل الصحابة له (١٧٢ ، ٢٠٠ ، رقم ١٩٣ ، ٢٦٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٩٦) والمعجم الكبير (٣ : ٢٧ ـ ٢٨) من طرق . وتاريخ بغداد (٦ : ٣٧٢ ـ ٣٧٣) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٥) والموارد ، رقم (٢٢٢٩) والمستدرك (٣ : ٣٨١) (٣ : ١٥١).

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة . فقد ذكره السيوطي في الأزهار (٣٩) وقطف الأزهار (٢٨٦ ـ ٢٨٧) من طريق ستة عشر صحابياً . والزبيدي في لقط اللآلئ (١٤٩ ـ ١٥١) من طريق خمسة عشر صحابياً ، والسيد الكتاني في نظم المتناثر (١٢٥) والسيد الغماري في الإتحاف (١٣٢) من طريق سبعة عشر صحابياً .

وهؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم هم : عمر بن الخطاب ، علي بن أبي طالب ، الحسن بن علي ، الحسين بن علي ، عبد الله بن عمر ، أبو هريرة ، جابر بن عبد الله ، أسامة بن زيد ، عبد الله بن مسعود ، البراء بن عازب ، عبد الله بن عباس ، أنس بن مالك ، مالك بن الحُويرث ، قرة بن إياس ، وبُريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنهم . إضافة إلى أبي سعيد وحذيفة رضي الله تعالى عنهم جميعاً .

قلت : ووجدت حديثين آخرين : الأول من رواية أبي رمثة رضي الله تعالى عنه ، رواه ابن عساكر ، كما في الكنز (١٢ : ١٢٠ ـ ١٢١) رقم (٣٤٢٨٩) والثاني : جهم ـ غير منسوب ـ أخرج حديثَه ابن منده وأبو نعيم وابن عساكر ، ويروي عنه ذو الكلاع ، انظر : الحديث في الإصابة (١ : ٥٢٢) وكنز العمال (١٣ : ٦٦٥ رقم ٣٧٦٩٣) فزاد العدد إلى تسعة عشر صحابياً ، والله تعالى أعلم .

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما =

ورواه أيضاً ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والترمذي وابن ماجه وعبد الله بن أحمد والطحاوي والبزار وأبو يعلى والآجري والدلاوبي والطبراني والضياء من طرقٍ عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه[1].

وعن أبي جُحَيفَةَ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة ، من الأوَّلين والآخِرين ، إلا النَّبِيِّين والمرسلين ». رواه ابن ماجه وابن حبان والدولابي في الكنى والطبراني في الكبير ، رووه بإسنادين حسنين ، فهو بهما صحيح لغيره[2] إن شاء الله تعالى .

وقد ورد هذا الحديث أيضاً عن كلِّ من : أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله

= كليهما ، رقم (٣٦٦٤) والسنة (٢ : ٦١٧) وفضائل الصحابة (١ : ١٤٨ـ ١٤٩) وشرح مشكل الآثار (٢ : ٣٩١ ـ ٣٩٢) وشرح السنة (١٤: ١٠٢ ـ ١٠٣) والشريعة (٤ : ١٨٤٩ ـ ١٨٥٠ ، ١٨٥٠) والمعجم الصغير (٢ : ١٧٣ رقم ٩٧٦) والمختارة (٦ : ٢٤٤).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ١١) ومسند أحمد (١ : ٨٠) والسنة (٢ : ٦١٧) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٦٦٥ ـ ٣٦٦٦) بسندين مختلفين ، في الأول : الوليد بن محمد . وفي الثاني : الحارث . وسنن ابن ماجه : المقدمة ، رقم (٩٥) وشرح مشكل الآثار (٢ : ٣٩٢) والمعجم الأوسط (٢ : ٢٠٧) والبحر الزخار (٢ : ١٣٢) ومسند أبي يعلى (١ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ، ٤٥٩ ـ ٤٦٠ رقم ٥٣٣ ، ٦٢٤) وفضائل الصحابة (١ : ١٢٣ ـ ١٢٤ ، ١٥٨ـ ١٥٩ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣) والكنى (٢ : ٩٩) والشريعة (٤ : ١٨٤٦ ـ ١٨٤٩من طرق) (٥ : ٢١٤٢ ـ ٢١٤٣) من الطبعة الجديدة ، والمختارة (٢ : ١٦٧ ، ١٦٨) ومن حديث خيثمة (٢٠٣) ومسانيد فراس بن يحيى لأبي نعيم (٨٧ ـ ٨٩) وإسناد عدد منهم حسن .

(٢) سنن ابن ماجه : المقدمة : فضل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، رقم (١٠٠) وصحيح ابن حبان (٩: ٢٥) والموارد (٥٣٨) والكنى (١ : ١٢٠) والمعجم الكبير (٢٢ : ١٠٤).

تعالى عنه عند البزار والطبراني في الأوسط وغيرهم ، ومن حديث ابن عُمر رضي الله تعالى عنهما عند البزار وابن عساكر والآجري والحاكم ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند عبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة ـ وهو حسن ـ والخطيب البغدادي ، ومن حديث ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما عند خيثمة والآجري والخطيب وابن عساكر ، ومن حديث جابر بنِ عبدِ الله رضي الله تعالى عنهما عند البزار والطبراني في الأوسط بسند حسن ، ومن حديث الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما عند ابن عساكر ، وعن غيرهم أيضاً[1] فالحديث صحيح ، والله تعالى أعلم .

وعن جابر بن عبدِ الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « سيدُ الشهداء عند الله يوم القيامة : حمزةُ بنُ عبد المطلب ،... » . رواه الحاكم ـ من طريقين ـ والضياء في المختارة ، والديلمي ، والطبراني في الأوسط والخطيب في تاريخ بغداد من طريق آخر ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ، ورواه الطبراني في الأوسط ـ بسند فيه ضعف ـ من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، ورواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير من حديث عليٍّ رضي الله تعالى عنه ، والحديث حسن[2] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر : فضائل الصحابة (١ : ١٨٨ ، ٤٤١) وكشف الأستار (٣ : ١٦٨) ومختصر زوائد البزار (٢ : ٢٨٨) وتاريخ بغداد (١٤ : ٢١٦ ـ ٢١٧) ومن حديث خيثمة (١٩٩) ومجمع البحرين (٦ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠) والشريعة ، بأرقام (١٦٢١ ـ ١٦٢٩) وكنز العمال في مواطن متعددة .

(٢) المستدرك (٢ : ١٢٠) (٣ : ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٩) والمعجم الكبير (٣ : ١٦٥) والمعجم الأوسط (١ : ٢٨١) (٤ : ٢٣٨) وتاريخ بغداد (٦ : ٣٧٧) ومسند الفردوس (٢ : ٣٢٤) =

وعن فاطمةَ رضي الله تعالى عنها قالت : أسرَّ إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أن جبريلَ كان يعارضني القرآنَ كلَّ سنةٍ مرةً ، وإنه عارضني العامَ مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي ، وأنتِ أولُ أهلِ بيتي لحاقاً بي » فبكيتُ ، فقال : « أما تَرْضَيْنَ أن تكوني سيدةَ نساءِ أهل الجنة ـ أو نساء المؤمنين ـ فضحكتُ لذلك . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي رواية الحاكم ـ وصححه وأقره الذهبي[2] ـ عن عائشةَ رضي الله تعالى عنها ، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال ـ وهو في مرضه الذي توفي فيه ـ : « يا فاطمةُ ؛ ألا تَرْضَينَ أن تكوني سيدةَ نساءِ العالمين ، وسيدةَ نساءِ هذه الأمة ، وسيدةَ نساءِ المؤمنين ؟ » .

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نزل مَلَكٌ من السماء ، فاستأذن اللهَ أن يُسلِّمَ عَلَيَّ ، لم ينزل قبلها ، فبشَّرني : أن فاطمةَ سيدةُ نساء أهل الجنة » . رواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، وقد رواه آخرون ذكرتهم في بدء هذه الفقرة[3] .

= ومجمع البحرين (٦ : ٣١٣ ـ ٣١٤) (٧ : ٢٣٥) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٦٦ ، ٢٧٢) (٩ : ٢٦٨) والجامع الصغير (٢ : ٥٩) وكنز العمال (١١ : ٦٧٥) .

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٩٨ ـ ٩٩) .

(٢) المستدرك (٣ : ١٥٦) .

(٣) المستدرك (٣ : ١٥١) وقال : هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي ، وقد رواه ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي والطبراني والخطيب ، وحسنه الترمذي ، وصحّحه ابن حبان والحاكم ، ورجال أغلبهم رجال الصحيح ، وانظر أماكن وجوده في بدء هذه الفقرة .

فهذه الرواية ترجِّحُ ما وقع من الشك في رواية البخاري ، والله تعالى أعلم .

وهناك غير هذا ، والحمد لله تعالى على فضله ونعمائه ، والقصد التنبيه ، لا الاستقصاء ، والذي ذكرتُه كافٍ للدلالة على رفعة مكانته صلى الله عليه وآله وسلَّم عند ربه عز وجل ، وعلوِّ قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم عنده ، وتميُّزِه على غيرِه من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، لأن رفع الأمة وتفضيلها وتميُّزها ،... هو رفع له صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيل وتميُّز ، لأنه لولا أنها أمَّتُه ما نالت تلك المزايا ، والله تعالى أعلم .



الخاتمة ، أحسن الله ختامنا

إن الذي ذكرتُه من صفات وأخلاق وخصائص وفضائل ومزايا ،... انفرد بها عليه وآله الصلاة والسلام عن غيره من الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ أو انفردت بها أمتُه ـ إنما هو نقطةٌ في بحر فضله ، وحسنةٌ في خضم إحسانه ، وواحدةٌ في محيط اتصافه ، وقطرةٌ من جميل حياته صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وكيف أستطيع أن أصف أو أفرد مَن أثنى اللهُ سبحانه وتعالى عليه ، وفرَّدَه وأَفْرَدَه ، لولا تطاول العبيد ، ولولا الإشعار بالأمر بذلك .

وكيف أستطيع أن أحيط بجمال خَلَقه وخُلقه ،... وهو الذي خُصَّ بالإمامة والكرامة .

وكيف أستطيع أن أحوي خصائصَه ومزاياه ، والأنبياءُ عليه وعليهم الصلاة والسلام تحت لوائه ، وهو سيدهم ، وإمامُهم ، وخطيبُهم ، وكانوا يدعون بدعوته ، وله مِنْ قبل ظهوره .

بل كيف أستطيع أن أحصر ما له من فضل وتقديم ومنزلة ، وقد مدحه ربُّه عز وجل وأثنى عليه ، وجعله القدوةَ الحسنة ، والأُسوةَ الصالحة لجميع الخلق ، وقد أخذ الله تعالى له العهدَ والميثاق على جميع الأنبياء عليهم السلام بوجوب الإيمان به واتباعه ونصرته ،...

بل كيف يمكنني أن أجمع شمل ما لَه وما فيه ، وأولو العزم عليهم السلام يُصَلُّونَ خلف أتباعه في الدنيا، ويعترفون بنبوته ورسالته ، وهو أولى بهم من

أممهم ، وبالمؤمنين من أنفسهم ، صلى الله عليه وآله وسلَّم .

بل كيف يمكنني أن أسطِّر فضل نعمائه صلى الله عليه وآله وسلم ، وله المنَّةُ بعد الله تعالى على جميع الخلق - من أولهم إلى آخرهم - حيث صار أماناً لهم في الدنيا ، وهم يفزعون إليه يوم القيامة ليخَلِّصَهم من هول ما هم فيه ، حتى إن أولي العزم عليه وعليهم الصلاة والسلام ممن يرغب إليه آنذاك .

بل كيف أستطيع أن أقوم بحقه ، وقد أَخبر هو عن نفسه صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه سيدُ الأولين والآخِرين ، وأنه خيرةُ الخَلْق أجمعين .

بل كيف أستطيع أن أتطاول في المدح والثناء ، وهو الرحمةُ المهداةُ ، التي شملت جميعَ الخلق ، على اختلاف الألوان والأفكار والأجناس.

بل ... وَ ... إلخ.

إنني أسطِّر هذا الكتاب لجميع الخلق ؛ حتى يعرفوا قَدْرَ هذا الحبيب المحبوب ، هذا النبي الكريم ، هذا الشافع والمشفَّع ، هذا الرسول الكريم ، الذي هو رسولُ رب العالمين . حتى يعرفوا قدرَه ومكانتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم - ولو لم يستطيعوا الحصر والتقدير ، ولم يقدروه قَدْرَه وحقَّه - ولكن يعرفوا قدرَ طاقتهم ، فيُشمِّروا عن ساعد الجد والاجتهاد ، في الاتباع والاقتداء ، والسعي والاقتفاء ، فيجعلونه القدوةَ ، والمنارَ الأعلى ، فيقلِّدونه ويتِّبعونه ، ولا يقتدون بغيره ممن ذهبوا يميناً وشمالاً ، إذ في اتباعه الهدايةُ والاستقامةُ ، والسعادةُ والرخاء ، والأجر الجزيل ، والنعيم المقيم في الدنيا والآخرة ، بينما اتِّباعُ غيره انحراف أو ضلالٌ ، وسلوكٌ في متاهات الحياة ، وخروجٌ بالإنسان عن الجادّة الحقة المستقيمة .

ولعل من يستطيع فرضَ ذلك ـ وبيده الأمر ـ أن يتخذ منه القدوةَ في الحياة والسلوك والعبادة والفكر ،... وَ ... وَ ... .

فالناس مأمورون باتباعه واقتفاء أثره صلى الله عليه وآله وسلَّم في كل مرافق الحياة ، لأنه القدوةُ الصالحةُ ، والأُسوةُ الحسنةُ ، الحريصُ على هداية الخلق ، فيبشِّر من أطاعه ، ويُنذر من عصاه وخالفه . ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ وَ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ وَ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

ولعلي قدَّمتُ في هذه الورقات ـ وهو مختصر لتلك الخصائص ـ الدليلَ الساطعَ ، والبرهانَ القاطعَ ، على أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو أولى الناس بالاتباع والاقتداء به من جميع الخلق ، بما فيهم الرسل الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام ، بما حباه وحواه ، وانفرد به عنهم من الخصائص والفضائل والمكرمات والمميزات .

فإن استطعتُ تقديمَ هذا الهدف ، فهو من فضلِ الله وحسن توفيقه ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت الجهد ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

وإنني إذ أكتب هذا الكتاب ، أرجو من الله تعالى أن يجعل ما بذلته فيه خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كلَّ مَن يقرأ فيه أو يسمع ، وأن يجعله زاداً خالصاً نافعاً .

كما أسأله تعالى أن يرزقنا حبَّه وحبَّ نبيِّه وصفيِّه وحبيبِه صلى الله عليه

وآله وسلَّم ، وأن يجعل ذلك أحبَّ إلينا من أنفسنا وأهلينا ، ومن الماء البارد على الظمأ ، وأن يحشرنا تحت لوائه ، وأن يجعل هذا الكتاب وغيره مما كتبت ذخيرةً نافعةً مُدَّخرةً لنا ليوم الدين ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ، وأن يغفر لي ولوالدي ولوالد والدي ولزوجي وأولادي وأخواني ولمشايخي ، ولمن له حق عليَّ ، وللمتسبب في طبعه ، ونشره ، ولجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات . آمين . ثم آمين .

وصلى الله على سيدِنا ومولانا وحبيبِنا ونبيِّنا محمدٍ ، وعلى آله الطَّيِّبين الطّاهرين ، وصحبِه الكرام المبجَّلين ، وعلى من اتبعه إلى يوم الدِّين ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم بن مُلّا خاطر العزّامي

نزيل المدينة المنورة



مصادر ومراجع الكتاب

- القرآن الكريم .

(أ)

- آداب الشافعي ومناقبه ، لابن أبي حاتم ، ت الشيخ عبد الغني عبد الخالق ، ط القاهرة .
- الآحاد والمثاني ، لابن أبي عاصم ، ت د. باسم الجوابرة ، نشر دار الراية .
- إتحاف الخيرة المهرة ، للبوصيري ، ت عبد الرحمن سعد والسيد محمود إسماعيل ، مكتبة الرشد ، بالرياض .
- إتحاف المهرة ، للحافظ ابن حجر ، مركز خدمة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة ، للشيخ عبد العزيز الغماري، مطبوع مع الأزهار
- إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ، للإمام الزبيدي .
- الأحاديث المختارة ، للحافظ ضياء الدين المقدسي ، ت الشيخ عبد الملك بن دهيش .
- أخبار أصبهان ، للحافظ أبي نعيم ـ نشر الدار العلمية ـ الهند .
- الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، تقديم وترتيب كمال يوسف الحوت ، ط عالم الكتب ، بيروت .
- الأربعون النووية ، للإمام النووي ، بشرح ابن دقيق العيد .
- أسباب النزول ، للإمام الواحدي ، ت الأستاذ سيد صقر ، دار القبلة بجدة .
- أسد الغابة ، لابن الأثير الجزري ، دار الفكر ، بيروت .

- الأسماء والصفات ، للإمام البيهقي . ت الشيخ محمد زاهد الكوثري ، ط القاهرة .
- الإصابة في معرفة الصحابة ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، دار نهضة مصر - القاهرة .
- أعلام الحديث ، للإمام الخطابي ، ت الدكتور محمد سعود عبد الرحمن ، نشر مركز إحياء التراث الإسلامي ، بجامعة أم القرى - مكة المكرمة .
- إكمال المُعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض ، ت.د يحيى إسماعيل ، دار الوفاء ، مصر .
- الأمثال ، للرامهرمزي ، ت أمة الكريم القرشية ، باكستان .
- الأوائل ، للإمام أبي عاصم ، ت محمد ناصر العجمي ، دار الخلفاء - الكويت .
- الإيمان ، للحافظ ابن منده ، ت الدكتور علي ناصر الفقيهي - نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ب)

- البحر الزخار= مسند البزار ، ت الدكتور محفوظ الرحمن زين الله ، نشر مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم .
- البعث والنشور ، للإمام البيهقي ، ت الشيخ عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للحافظ الهيثمي ، ت الدكتور حسين أحمد الباكري ، نشر مركز خدمة السنة ، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ت)

- تاريخ بغداد ، للإمام الخطيب البغدادي ، ط الخانجي ، مصر .
- تاريخ جرجان ، للسهمي ، نشر دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

- التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
- تاريخ المدينة ، للإمام ابن شبة ، ت فهمي شلتوت ، نشر السيد حبيب محمود ، المدينة المنورة .
- تجريد التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، مكتبة القدسي ، القاهرة .
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للحافظ المزي ، ت عبد الصمد شرف الدين ، ط دار الكتب القيمة .
- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين ، للإمام الشوكاني ، دار الكتب العملية - بيروت .
- الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، دار الفكر ، ببيروت .
- تركة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للإمام حماد بن إسماعيل ، ت الدكتور أكرم العمري .
- تغليق التعليق ، للحافظ ابن حجر ، ت سيد عبد الرحمن القزقي .
- تفسير ابن أبي حاتم ، ت أسعد محمد الطيب ، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة .
- تفسير الطبري - طبعتان .
- تفسير عبد الرزاق ، ت.د محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تفسير القرطبي = جامع أحكام القرآن = نشر دار الكاتب العربي القاهرة .
- تفسير ابن كثير الدمشقي - دار الفكر - بيروت .
- تفسير النسائي ، ت سيد الجليمي ، وصبري الشافعي ، مكتبة السنة - القاهرة .
- التلخيص الحبير ، للحافظ ابن حجر ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .

ـ تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، وهو بحاشية المستدرك .
ـ التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف ـ المغرب .
ـ تنوير الحوالك ، للحافظ السيوطي ، نشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة .
ـ تهذيب الآثار ، للطبري ، ت محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، مصر .
ـ تهذيب التهذيب ، للحافظ ابن حجر ، دائرة المعارف النظامية ـ الهند .
ـ تهذيب الكمال ، للحافظ المزي ، ت الدكتور بشار عواد ، مؤسسة الرسالة .

(ث)

ـ الثقات ، للإمام ابن حبان ، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند .

(جـ)

ـ جامع الأصول ، للإمام ابن الأثير الجزري ، ت الشيخ عبد القادر أرناؤوط . ط الملاح وغيره .
ـ الجامع الصغير ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ـ بيروت .
ـ جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة .
ـ الجرح والتعديل ، للإمام أبي حاتم ، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند .
ـ جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للإمام ابن قيم الجوزية .

(حـ)

ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن القيم الجوزية ، مكتبة المتنبي ـ القاهرة .
ـ حاشية السندي على سنن النسائي .
ـ حسن الظن بالله ، لابن أبي الدنيا ، ت مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن الكريم ، القاهرة .

ـ حلية الأولياء ، للحافظ أبي نعيم ، مكتبة الخانجي والسعادة ـ مصر .
ـ حياة الأنبياء ، للإمام البيهقي ، ت الشيخ محمد محمد الخانجي ، مطبعة التضامن الأخوي ، القاهرة .

(خـ)

ـ الخصائص الكبرى ، للحافظ السيوطي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة ، للحافظ ابن حجر ، ت محمد رياض المالح .

(د)

ـ الدر المنثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
ـ دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، ت الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ دلائل النبوة ، للإمام أبي نعيم ، ت الدكتور محمد رواس قلعجي ، المطبعة العربية ـ حلب .

(ر)

ـ روضة الطالبين ، للإمام النووي ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .
ـ رؤية الله عز وجل ، للإمام الدارقطني ، ت مبروك إسماعيل مبروك ـ نشر مكتبة القرآن ـ القاهرة .

(ز)

ـ الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ الزهد ، لابن أبي عاصم ، ت د. عبد العلي الأزهري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ الزهد والرقائق للإمام عبد الله بن المبارك ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .

ـ الزهد ، لهناد بن السري ، ت عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ـ نشر دار الخلفاء ، الكويت .

(س)

ـ السنة ، للإمام ابن أبي عاصم ، ت الشيخ ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

ـ السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، ط القاهرة .

ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين ، تصوير المكتبة الإسلامية ـ ورجعت إلى نسخة تحفة الأحوذي .

ـ سنن الدارقطني ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .

ـ سنن الدارمي ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني ـ المدينة المنورة .

ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية .

ـ سنن سعيد بن منصور ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .

ـ السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

ـ السنن الكبرى ، للإمام النسائي ، ت الدكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ـ دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ سنن ابن ماجه ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة .

ـ سنن النسائي ، بحاشيتي السيوطي والسندي .

ـ سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، نشر مؤسسة الرسالة .

ـ السير والمغازي ، للإمام ابن إسحاق . ت الدكتور سهيل زكار ـ دار الفكر .

ـ السيرة النبوية ، لابن حبان ، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت .

ـ السيرة النبوية ، للإمام ابن كثير ، ت مصطفى عبد الواحد ـ دار المعرفة ـ بيروت .
ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الروض الأنف .

(ش)

ـ شرح أربعين حديثاً ، خليل إبراهيم مُلّا خاطر ـ مخطوط .
ـ شرح السنة ، للإمام البغوي ، نشر المكتب الإسلامي ـ بيروت .
ـ شرح الشفا ، لملا علي القاري ، بحاشية الخفاجي .
ـ شرح شمائل الترمذي ، لملا علي القاري ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
ـ شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، مطبعة حجازي ـ القاهرة .
ـ شرح مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي ، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند . ورجعت إلى نسخة الشيخ شعيب ، في الساقط من الأولى .
ـ شرح معاني الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت محمد زهدي النجار ـ القاهرة .
ـ شرف أصحاب الحديث ، للإمام الخطيب البغدادي ، ت الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي ـ تركيا .
ـ الشريعة ، للإمام الآجري ، ت محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ورجعت إلى التي حققها الدكتور الدميجي في موضعين الساقطين من الأولى .
ـ شعب الإيمان ، للإمام البيهقي ، ت محمد سعيد زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ورجعت إلى الطبعة الهندية .
ـ الشفا ، للقاضي عياض ، ت البجاوي ، ط عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .
ـ الشمائل النبوية = الأنوار في شمائل النبي المختار ـ للإمام البغوي ، ت الشيخ إبراهيم اليعقوبي ، نشر دار الضياء ، بيروت .
ـ الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي .

ـ الشمائل المحمدية ، للإمام ابن كثير الدمشقي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

(ص)

ـ صحيح الإمام البخاري ، بشرح فتح الباري .
ـ صحيح ابن حبان = الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، ت الأستاذ كمال .
ـ صحيح ابن خزيمة ، ت الدكتور مصطفى الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي .
ـ صحيح الإمام مسلم ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .
ـ صفة الجنة ، للإمام أبي نعيم ، ت علي رضا عبد الله ـ نشر دار المأمون للتراث .

(ط)

ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ت الدكتور إحسان عباس ، نشر دار صادر ، دار بيروت ـ ببيروت .
ـ طبقات المحدثين بأصبهان ، لأبي الشيخ ، ت الدكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ـ دار الكتب العلمية ، ورجعت إلى النسخة الأخرى .
ـ طرح التثريب ، للحافظ العراقي ، دار الفكر العربي .

(ع)

ـ عمل اليوم والليلة ، للإمام ابن السني ، ت عبد الرحمن البرني ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
ـ عمل اليوم والليلة ، للإمام النسائي ، ت الدكتور فاروق حمادة ـ المغرب .

(ف)

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

ـ الفتح الرباني ، للبنا الساعاتي ، القاهرة .
ـ الفتح الكبير ، للنبهاني ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
ـ فردوس الأخبار ، للحافظ الديلمي ـ المسندة ـ ت فواز الزمرلي ، ومحمد المعتصم البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
ـ فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، للإمام أحمد بن حنبل ، ت وصي الله محمد عباس ، نشر مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة .
ـ فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، للإمام النسائي ، ت الدكتور فاروق حمادة ـ المغرب .
ـ فضائل المدينة المنورة ، للإمام الجندي ، ت محمد مطيع الحافظ وغزوة بدر ـ دار الفكر ـ دمشق .
ـ فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم مُلّا خاطر ـ نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن ، ودار التراث .
ـ فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للقاضي إسماعيل ، ت الشيخ ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .
ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ للحافظ المناوي ـ القاهرة .

(ق)

ـ قطف الأزهار المتناثرة في أخبار المتواترة ـ للحافظ السيوطي ـ نشر المكتب الإسلامي ـ بيروت .

(ك)

ـ الكامل ، لابن عدي ، دار الفكر ـ بيروت .
ـ كتاب التوحيد ، للإمام ابن خزيمة .

ـ كتاب الفتاوى ، للإمام العز بن عبد السلام ، ت عبد الرحمن عبد الفتاح ـ دار الباز ، بمكة المكرمة .
ـ كشف الأستار عن زوائد البزار ـ للحافظ الهيثمي ـ ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ـ مؤسسة الرسالة .
ـ الكنى ، للإمام البخاري ، ط دائرة المعارف العثمانية ـ الهند .
ـ الكنى ، للإمام الدولابي ، تصور دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ كنز العمال ، للمتقي الهندي ، نشر مكتبة التراث الإسلامي ـ حلب .

(ل)

ـ لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للإمام الزبيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(م)

ـ مجمع البحرين بزوائد المعجمين ، للحافظ الهيثمي ، ت عبد القدوس محمد نذير ، مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ مجمع الزوائد ، للحافظ الهيثمي ، نشر دار الكتاب ـ بيروت .
ـ محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد ـ خليل إبراهيم مُلّا خاطر ـ نشر مكتبة دار الفكر العربي ـ حلب .
ـ مختصر زوائد البزار ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ت صبري عبد الخالق ـ مؤسسة الكتب الثقافية .
ـ مختصر سنن أبي داود ، للحافظ المنذري ـ مطبوع مع معالم السنن .
ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند عليه والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي ، ت خليل إبراهيم مُلّا خاطر ـ ط الرياض .

ـ المستدرك ، للإمام الحاكم النيسابوري ـ نشر مكتبة النصر بالرياض عن النسخة الهندية .
ـ مسانيد فراس بن يحيى الكوفي ، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ـ ت محمد الحسن المصري ـ القاهرة .
ـ مسند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، للمروزي ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي .
ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ت الشيخ أحمد شاكر ـ دار المعارف ـ مصر .
ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تصوير بيروت ـ دار صادر والمكتب الإسلامي .
ـ مسند الحميدي ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط باكستان .
ـ مسند الشاشي ، للهيثم بن كليب الشاشي ، ت د. محفوظ الرحمٰن زين الله ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .
ـ مسند الشاميين ، للإمام الطبراني ـ ت الشيخ حمدي السلفي ـ مؤسسة الرسالة .
ـ مسند الشهاب ـ للقضاعي ـ ت الأستاذ حمدي السلفي ـ مؤسسة الرسالة .
ـ مسند ابن أبي شيبة ، ت عادل العزازي وأحمد المزيدي ، دار الوطن ، الرياض .
ـ مسند الطيالسي ، تصوير بيروت ـ عن الطبعة الهندية .
ـ مسند عبد الله بن المبارك ـ ت السيد صبحي السامرائي .
ـ مسند عبد بن حميد = المنتخب = ت السيد صبحي السامرائي .
ـ مسند علي بن الجعد ، ت الدكتور عبد المهدي عبد الهادي ، نشر مكتبة الفلاح ـ الكويت .
ـ مسند أبي عوانة ، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند .
ـ مسند أبي يعلى الموصلي ، ت الأستاذ حسين أسد ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق .

ـ مصباح الزجاجة ، للإمام البوصيري ، ت محمد المنتقى الكشناوي .
ـ مصنف ابن أبي شيبة ـ نشر الدار السلفية ـ الهند .
ـ مصنف عبد الرزاق ـ ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ـ بيروت .
ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ـ نشر الكويت . والنسخة الثانية المسندة .
ـ المعجم ، لابن الأعرابي ، ت عبد المحسن إبراهيم الحسيني ، دار ابن الجوزي ، السعودية .
ـ المعجم الأوسط ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ الدكتور محمود طحان ـ نشر دار المعارف ـ الرياض . والنسخة الثانية المحققة بدار الحرمين .
ـ معجم الصحابة ، لابن قانع ، ت صلاح المصراتي ، المدينة المنورة .
ـ المعجم الصغير = الروض الداني ، للإمام الطبراني ، ت الأستاذ شكور إمرير .
ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني ، ت الأستاذ حمدي السلفي ـ ط بغداد .
ـ معرفة الصحابة ، للحافظ أبي نعيم ، ت د. محمود راضي عثمان ، نشر مكتبة الدار ، ومكتبة الحرمين .
ـ معرفة علوم الحديث ، للإمام الحاكم النيسابوري ، نشر المكتب التجاري ـ بيروت .
ـ المعرفة والتاريخ ، للإمام الفسوي ، ت الدكتور أكرم العمري .
ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، للحافظ العراقي ـ بحاشية إحياء علوم الدين .
ـ المقصد العلي ، للحافظ الهيثمي ، ت الدكتور نايف الدعيس .
ـ من حديث خيثمة ، ت الدكتور عمر عبد السلام تدمري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .
ـ المنتقى ، للإمام ابن الجارود ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني ـ المدينة المنورة .

ـ منحة المعبود إلى ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ، للشيخ الساعاتي ـ ط القاهرة .
ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، للحافظ الهيثمي ، المطبعة السلفية ـ القاهرة .
ـ المواهب اللدنية ، للإمام القسطلاني ، ت الأستاذ صالح الشامي ، المكتب الإسلامي ـ القاهرة .
ـ الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، رواية يحيى بن يحيى الليثي ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .
ـ الموطأ ، رواية ابن القاسم ، ت.د محمد علوي المالكي ، دار الشروق ، جدة .
ـ الموطأ ، رواية أبي مصعب الزهري ، ت.د بشار عواد ومحمود خليل ، مؤسسة الرسالة .

(ن)

ـ نسخة وكيع عن الأعمش ، للإمام وكيع بن الجراح ، ت عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي .
ـ نسيم الرياض ، في شرح الشفا ، للعلامة الخفاجي ـ دار الفكر .
ـ نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ، للحافظ الزيلعي ، ط القاهرة .
ـ النظم المتناثر في الحديث المتواتر ، السيد جعفر الكتاني ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ النكت الظراف على الأطراف ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، مع تحفة الأشراف .
ـ النهاية ، للإمام ابن كثير الدمشقي ، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري ـ ط الرياض .
ـ النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير الجزري ، ت الدكتور الطناحي .

☆☆☆☆☆

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة الحادية عشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات (بين يديك).

٣ ـ شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . الطبعة الثانية ، وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الرابعة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، نشر دار القبلة .

١٨ ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . الطبعة الثانية .

١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).

٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثالثة . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).

٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . طبعة ثانية .

٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).

٢٤ ـ الرحمة المهداة ﷺ ، نشر دار القبلة .

٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).

٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ والمدينة المنورة) ، نشر دار القبلة . طبعة ثالثة .

٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).

٢٨ ـ رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار ، نشر دار القبلة ، جدة .

٢٩ ـ واجب الأمة نحو نبيّ الرحمة ﷺ ، نشر دار القبلة .

٣٠ ـ مناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب (تحت الطبع).
٣١ ـ دلائل النبوة في غزوة الخندق ، نشر دار القبلة ، جدة .

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٣٢ ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).
٣٣ ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .
٣٤ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .
٣٥ ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .
٣٦ ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .
٣٧ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).
٣٨ ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٣٩ ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٤٠ ، ٤١ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).
٤٢ ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .
٤٣ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض .
٤٤ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).
٤٥ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٦ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .

٤٧ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .

٤٨ ـ شرح أربعين حديثاً مما في الصحيحين (تحت الطبع).

٤٩ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .

٥٠ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق ، نشر دار القبلة .

٥١ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٥٢ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة (تحت الطبع).

٥٣ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .

٥٤ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).

٥٥ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة . طبعة ثانية .

٥٦ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .

٥٧ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٥٨ ـ الحديث المتواتر .

٥٩ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولى .

٦٠ ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .

٦١ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .

٦٢ ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).

٦٣ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).

٦٤ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).

٦٥ ـ خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع ، نشر دار القبلة ، جدة .

٦٦ ـ تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين (تحت الطبع).

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٦٧ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .

٦٨ ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٦٩ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ الحديث الموضوعي :

٧٠ ـ من صفات المؤمنين في ضوء السنة النبوية .

٧١ ـ الجهاد في ضوء السنة النبوية .

٧٢ ـ تحريم الخمر والمسكرات في ضوء السنة النبوية .

٧٣ ـ تنبيه الذات بهادم اللذات (الموت والقبر في ضوء السنة النبوية).

٧٤ ـ علاج الإسلام لمشكلة البطالة في ضوء السنة النبوية .

٧٥ ـ صلة الأرحام في ضوء السنة النبوية .

٧٦ ـ الرفق بالحيوان في ضوء السنة النبوية .

ز ـ بين الإنسان والجماد :

٧٧ ـ الإدراك عند الجمادات .

٧٨ ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٧٩ ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .

٨٠ ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ح ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٨١ ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٨٢ ـ حقوق الزوجين .

٨٣ ـ المرأة في القرآن .

٨٤ ـ الإحسان في القرآن .

٨٥ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٨٦ ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٨٧ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٨٨ ـ خمس محاضرات في مناهج المفسرين (تحت الطبع).

ط ـ الفتن وأشراط الساعة :

٨٩ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة . (تحت الطبع).

٩٠ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٩١ ـ أشراط الساعة . (تحت الطبع).

٩٢ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٩٣ ـ أخبار الدجال .

٩٤ ـ الردة قديمها وحديثها .

٩٥ ـ الردة قديمها وحديثها (المحاضرة).

٩٦ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

٩٧ ـ الترابي والمفاهيم الخاطئة (تحت الطبع).

☆☆☆☆☆